المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد السابع والسبعين

١ يوليو سنة ١٩٣٠ — ٥ صفر سنة ١٣٤٩

العلم والله

حوار علمي فلسفي بين

اينشتين صاحب نظرية النسبية — ومستر مرفي كاتب انكليزي

وصحافي مشهور — وملبسه عالم رياضي ومؤلف كتب علمية عامرة

مرفي : في الاجتماع الذي عقده مجمع تقدم العلوم الاميركي سنة ١٩٢٨ صرح احد الخطباء بانهُ قد آن الاوان لان يضع العلماء (العلم) تعريفاً جديداً لله

اينشتين : امر غريب مضحك !

مرفي : ولكن شيئاً اكثر غرابة نجم عنهُ . ذلك ان جدالاً عنيفاً دار على هذا المحور بين الكتّاب والعلماء والوعاظ في الصحف والمساجد وعلى المنابر العامة. فذهب الوعّاظ الى ان اقحام الله في الجدال العلمي عمل في غير محلّه . لان الصلة بين العلم والدين مقطوعة الاسباب

اينشتين : اني اعتقد ان موقف الفريقين يتمُّ على نظر غير بعيد الغور في العلم والدين

مرقي : ولكن المظهر الخطير في هذا الجدال هو ان العلماء نطقوا بلسان الجمهور . فالناس في انحاء الارض وخصوصاً في المانيا واميركا يتطلعون الى العلم لعلهم يجدون فيه الالهام والقوت الروحي الذين لا يجدونهما في الدين المنظم . فالى اي مدى تستطيع الفلسفة العلمية ان تحقق هذه الرغبة . هي هذه النقطة التي اريد ان اجعلها مدار البحث

البحث العلمي والشعور الديني

اينشتين : ما زلنا نتكلم عن الروح التي تتغلغل في كل المباحث العلمية الحديثة فانا ارى ان كل المباحث الدقيقة في ميدان العلم تنبعث من شعور ديني بعيد الغور في الطبيعة البشرية ، وانهُ لولا هذا الشعور لما كانت هذه المباحث تثمر ثمراً ما . وارى كذلك ان هذا المظهر من مظاهر التدين الذي يبدو في البحث العلمي الحديث هو العمل الديني المبدع الوحيد في هذا العصر . لانهُ قلما نستطيع أن نقول ان فن اليوم يعرب عن طمأنينة الدينية

صلفن : ولكن أيصح القول بان المباحث العلمية تعبر عن شعور ديني ؟ ألا ينشأ الشعور الديني من محاولة الانسان الكشف عن معنى الحياة ؟ الا ينبعث من وجود الالم في الحياة ؟

اينشتين : ان هذا النظر الى الدين لا يبدو لي نظراً سامياً . وعندي ان الرجال المتدينين العظام لم ينظروا الى الدين هذه النظرة

صلفن : لا بدَّ انك تتفق معي ايها الاستاذ ان دستيوفسكي كاتب ديني عظيم

اينشتين : نعم

صلفن : ويظهر لي ان المشكلة الاساسية التي عني بها هي مشكلة الالم

اينشتين : اظن انك لا تستطيع أن تعرض المسألة كما عرضتها . لانها ليست كذلك . لا ريب في ان دستيوفسكي يصف لنا الحياة . وغرضهُ أن يصفها مضمناً تضاعيف وصفه لها سرَّها الروحي من غير تعليق عليه او عليها . فهو لا يعالج مشكلة لان لا مشكلة امامهُ تحتاج الى علاج

غرض البحث العلمي العالي

مرقي : والعلم الحديث قلما يتجه الى معالجة مشكلة معينة . واريد بالعلم الحديث فروع البحث العلمي العالي . فابحاثك يا استاذ ومباحث زملائك كبلانك وشرويدنغر وهيزنبرغ وادنتون ولمكن لها غرضٌ اعلى واوسع نطاقاً من مباحث بعض العلماء السابقين الذي جعلوا همهم وغرضهم الكشف عن نواميس الطبيعة لاستخدامها في خدمة الانسان . ان العامة لا تزال في عصرنا تسأل : ما الفائدة من مذهب النسبية ؟ وذلك لان عقل العامة لا يدرك ان مذهب النسبية انما هو وجهٌ واحد من وجوه مباحثكم — انت وزملائك — التي ترمي الى تشييد فلسفة علمية هي في الواقع نظام عقلي كوني شامل، يحلُّ فيه التحقيق والامتحان محلَّ الاستيحاء والتأمل . وعليه لا بدَّ ان تحلَّ هذه الاعتبارات

الموضوعية محل الاعتبارات الذاتية التي قامت عليها فلسفة افلاطون وأرسطوطاليس وكل ما عرف باسم الفلسفة الى عصرنا هذا . فالى اي مدى تستطيع الفلسفة العلمية التي تنبأ انت وزملاؤك ان تتحول الى فلسفة عملية تتناول الحياة من جميع وجوهها وترفع النفوس مثلاً عملية جديدة على انقاض الاغراض الدينية القديمة المتداعية ؟ هذا هو مدار بحثنا ؟

العلم وادب السلوك

اينشتين : يقصد بالفلسفة العملية فلسفة تتناول السلوك . وأنا لا اعتقد ان العلم يستطيع ان يعلم الناس ادب النفس او أدب السلوك . انا لا اعتقد اننا نستطيع ان نشيّد فلسفة ادبية على اساس علمي . انك لا تستطيع ان تعلم جمهور الناس مثلاً ان يواجهوا الموت دفاعاً عن حقيقة علمية . ليس للعلم اثر من هذا القبيل في النفس الانسانية . اما تقدير الحياة والاعراب عن هذا التقدير اعراباً نبيلا فلا يتأتى الا عن توق النفس الى معرفة مصيرها . وكل سعي لتحويل ادب النفس الى قواعد علمية مقضيٌّ عليه بالفشل . اني ممتنع بذلك كل الامتناع . ولكن يقابل ذلك ان البحث العلمي والعناية بالمذاهب العلمية وفلسفتها لهما اثر كبير فعّال في ارشاد الناس الى تقدير شؤون الروح تقديراً اصحّ وأنبل . اما حقائق العلم بحد ذاتها فلا تعدّنا بأساس ما نبني عليه قواعد سلوكنا

مرفي : ومع ذلك ترى الناس يتطلعون الى العلم بشيء كثير من التوق الديني الذي يتحول احياناً الى نوع من التعصب . أسمعت بالازدحام الشديد الذي وقع في نيويورك وكيف دأب الناس بعضهم بعضاً في طريقهم الى ردهة عامة لسماع محاضرة في «مذهب النسبية» ؟ اني اعتقد ان هذه الجماهير ظنت انها تتمكن من الحصول على شيء من الالهام لدى تأملها في حقيقة غامضة «كالنسبية» . فلما قرأتُ وصف هذه الحادثة تصورت المعارك التي خاضتها الجماهير والجنود في عصور المسيحية الاولى في سبيل بعض المذاهب المجردة التي تدور حول الثالوث

الدين وحاجات العصر النفسية

اينشتين : لم قرأت وصف هذه الحادثة . وأنا اعتقد ان عناية الجمهور بشؤون العلم وما لهُ من المقام العالي في نفوسهم من اقوى الادلة على حاجات العصر النفسية . انه يدل على ان الناس قد سئموا المادية بمعناها المعروف . انهُ يدل على انهم يرون في الحياة فراغاً وانهم يبحثون عن شيء من وراء مصالح الشخص واغراض الساعة . ان عناية الجماهير بالمذاهب العلمية تتناول كل قوى النفس العالية وكل ما يتناول هذه القوى لهُ مقام سام في رفع مستوى الآداب الانسانية

مرفي : تُرى اذا درّسنا شباننا وشاباتنا المذاهب العلمية من وجهتها الفلسفية والثقافية فما يكون اثر ذلك في نفوسهم ؟

اينشتين . لا بدَّ من تضافر الملكات الروحية الملهمة والمبدعة حين يحاول العقل

الفهم وتضافر الملكات

فهم الحقيقة العلمية . انك تستطيع ان تبني طناً بطوب المنطق وطين البحث والامتحان. ولكن فهم مغازيه واغراضه بعد بنائه يقتضي تضافر كل ملكات الفنان المبدعة . انك لا تستطيع ان تبني داراً بطوب وطين فقط . بل انت تحتاج الى ملكات المهندس والمزين والمؤثث وذوق السيدة . وفي ميدان العلم اعتقد أن المقام الاعلى يجب ان يمنح للملكات الفهم . وبذلك اعني ان ميولنا الادبية وغرائزنا الدينية واحساسنا بالجمال قوى لا بدَّ من تضافرها مع القوة العاقلة لتحقيق اسمى الاعمال العقلية — الفهم . هذا هو مقام « الطبيعة الادبية » التي عني بها سبنوزا عناية خاصة في فلسفته. فترى اذاً اني متفق معك اذ تشير الى اركان العلم الادبية (moral) ولكنك لا تستطيع ان تقلب المعنى وتشير الى اركان الادب morality العلمية

[وعلى ذكر اسم سبنوزا تنسب الحوار الى مقام اليهود فيطلع القارئة ثم عاد فاتجه الى الموضوع العام لما سأل مرفي الاستاذ اينشتين عن تعليل ما يشاهد في تاريخ اليهود من عدم مناهضة دياناتهم لارتقاء العلم]

اينشتين : من الامور السهلة معرفة ذلك. ان الديانة اليهودية هي اكثر من اية ديانة اخرى وسيلة للتسامي بالحياة اليومية عن مستوى السعي للرزق . فهي لا تفرض على المؤمن نظاماً ضيقاً من القيود والشعائر والآراء والمعتقدات التي تؤثر في آرائه الشخصية في شؤون الحياة الدنيا . فكأنها لا تطلب من معتنقيها الايمان بعقيدة معينة على ما يفهم من العقيدة عادةً . ولهذا السبب لا تجد نزاعاً ما بين نظر ابنائها الديني ونظرهم العلمي

مرفي : لقد صرنا حيث يتصل ذكر اليهود بموضوعنا العام . انك هنا امام طائفة متجالية منتشرة في كل انحاء العالم لها ديانة وثقافة تتفقان مع النهضات العلمية بل وتشجعان النهضات العلمية اقوى تشجيع . فمن المعلوم ان الثقافة المدرسية المنقولة عن اليونان كانت سائدة في اوروبا في مطلع عصر النهضة وجُعلت بعد ذلك اساساً لحضارة غرب اوروبا. ولكن اليهود في مطلع عصر النهضة قدموا لاوربا ثقافة اخرى هي الثقافة العلمية وقالوا لها اختاري

العرب والحضارة العلمية

اينشتين : لعم اخذ اليهود هذه الثقافة العلمية عن العرب ومن المصادر العربية

مرفي : صدقت وقد اخذوها عن طريق اسبانيا . فقد كانت طائفة من اليهود الاسبانيين اول جماعة عنيت بانشاء المدارس الاوربية لتعليم الطب تعليماً علمياً كمدرسة بولونا وسالرنو كان ذلك في القرن الثاني عشر. وفي سالرنو استخدم فردريك الثاني العلماء اليهود لنقل الكتب العلمية من العربية واليونانية الى اللاتينية . وقد كانت ايطاليا واسبانيا في ذلك العهد مهد حركة علمية مباركة يعود اكبر جانب من الفضل فيها الى اليهود

ولكن في العهد الذي كاد يستولي اليهود على عقل اوربا المستيقظ بدعوتهم الى الثقافة العلمية، هبَّ دعاة الثقافة المدرسية واستعانوا بفلسفة ارسطوطاليس وزجوها في خدمة

التحكم الديني ، فمشى رجال النهضة في قلوبنا بدرس اللغات القديمة وآدابها توضحوا بذلك اركان ثقافتنا المدرسية الحالية . من ذلك الحين نشأ الخلاف بين الكنائس المسيحية والعلم . وهذا في نظري اكبر مأساة في تاريخ اوربا . على اني اعتقد اننا اصبحنا عند ختام هذه المأساة

اينشتين : واية فلسفة تترك للعالم اذا نزعت منهُ كلَّ ما اتصل بنا من اليونان

الثقافة المدرسية والثقافة العلمية

مرقي : لو أُلقيت اليَّ المقاليد لانشأت فلسفة مبنية على الثقافة العلمية التي اشرت اليها لانها فلسفة حيَّة تتطور دائماً بتطور المباحث العلمية واتساع البحث العلمي ولكنت افرض درسها في كل المدارس ومعاهد العلم العالي بدلاً من الفلسفات التقليدية واللغات القديمة

اينشتين : لقد اشرتَ الى أن عهد الثقافة المدرسية قد اوفى على نهايته وعندي ان سببَ ذلك العنايةُ بدرس اللغات القديمة درسَ المتحجرات

مرقي : هذا ما يقع دائماً ، يا استاذ ، للغات الميتة . انك لا تستطيع ان تدرس الجثة الاَّ بتشريحها . وعندي ان هذا التقيد بالقديم اكبر لعنة اصيبت بها اوربا . فرجال الثقافة المدرسية بنوا لنظاماً اديًّا على فلسفة ارسطوطاليس فجعلته الكنيسة اساساً لفقهها الادبي . واستمدت منهُ اوربا شرائعها التي كانت في القرون الوسطى شريعة الكنيسة . فبهذا النظام تستطيع ان تسوِّغ كل جريمة في التاريخ من ديوان التفتيش الى الحرب الكبرى

«لتصنع العدل ولو انشقت السماء» . قول روماني مأثور . لكن الانكليز قالوا : «لقد نقض الالمان عهودهم فلتثر في ارجاء الارض جيش عشرة ملايين من الموتى»

اينشتين : لقد آثر الانكليز في كل عصور تاريخهم ما هو عادل على ما هو صالح

مرقي : نعم لانهم منقادون الى فكرة العدل المدرسية المبنية على المنطق . افلا تستطيع ان نُحلَّ محلَّ هذه الفلسفة الخاصة بعصر زائل ، فلسفةً جديدة مبنية على مذاهب العلم فتكون مرشداً حكيماً في شؤون الحياة الحاضرة وتحكم الاتصال بين شؤون العالم وتفوس معتنقيها . انني اعلم يا استاذ ان « السلام العالمي » اقرب الاماني الى نفسك

اينشتين : لقد اصبت . ان هذه المسألة اهم مسائل العصر

العلم والوطنية والسلام

مرقي : ولكنك لا تستطيع ان توطد السلام بواسطة رجال السياسة . ومن المضحك ان تنتظر ذلك منهم . افلا تستطيع ان تبدعَ غرضاً عالياً من اغراض التعليم تجعلهُ مثلاً اعلى للامم يحلُّ محل المثل القديم القائل بأن « الموت عذب وشريف في سبيل الوطن »؟ الا يمكننا العلم العالمي من انشاء وطنية عالية بدلاً من وطنية قومية ضيقة ؟

اينشتين : لا بدَّ من ذلك . لا بدَّ من ذلك . لا شك في الامر . ان الطابع العلمي في التعليم والثقافة يوسع افق العقل فيصبح بذلك قوة فعَّالة لانهُ عالميٌّ في شموله فيجذب

اليه الناس من قوميّاتهم الضيقة. انك لا تستطيع ان تقضي على القومية الا اذا ملأت الفراغ بدلها بشيء . والعلم يمنحنا هذه القوة العالية التي ينضوي الناس تحت لوائها

العلم قوة عالية

مرقي : اذن يتلخص رأيك يا استاذ في ان درس المذاهب العلمية في المعاهد يرفع الشعور القومي الى مستوًى اعلى ويقلبهُ من ضيق الى سعةٍ كما تفعل الموسيقى وكما يفعل الشعر. الموسيقى لا تحمل الناس على ان يتصرفوا تصرفاً ادبيًّا معيَّناً ولا التصوير يفعل ذلك ولا الشعر . ولكنها كلها ترفع النفس — حياة الشعور — فوق مستوى الصغائر في حياة المادة والطمع . فرأيك ان الاثر الفعّال للعلم الحديث في التعليم هو اثرهُ غير المباشر في السمو بحياتنا الشعورية عن سفاسف الحياة اليومية . واذا صرفت النظر عن الحقائق التي تنطوي عليها المذاهب العلمية وجب الا نغفل اثرها في الفن والدين

اينشتين : فهم هذا يعبّر عن رأيي في الموضوع . واني اوافق على كل كلمة ذكرها لك ما كس بلانك من ان الفلسفة العلمية الحديثة تتجهُ الآن الى نوع من التوحيد السامي ينسجم فيه العقل العلمي مع غرائز الانسان الدينية وشعوره وبالجمال . اني اوافق على ان صورة الكون الطبيعي كما يرسمها لنا العلم الحديث هي بمثابة صورة زيتية رائعة او قطعة موسيقية اخّاذة تهيب بالنفس الى التأمل الذي احبهُ من امتع الصفات في الشعور الديني والفني

العمل والتأمل في العلم

صلڤن : ان الرياضي الفرنسي العظيم ، هنري پوانكاره ، صرّح بان غرض الحياة الاسمى انما هو التأمل لا العمل . وذهب الى ان العلم جدير بالتجرد لهُ لانهُ يكشف عن روعة الطبيعة ولولا هذه الروعة لما كان العلم جديراً بذلك ولا الحياة حريّة بقضاء سنيها

اينشتين : ان الحكم الاخير لا يستطيع ان يفصل فيه العقل المجرد . انهُ مسألة شعور خاص ولكل رأيهُ فيه . اما فيما يتعلق بي ، فقيمة المعرفة العلمية في نظري ، هي كما صرّح پوانكاره ، في الجدل الناشيء عن الفهم ، لا في امكان العمل الذي يمهد العلمُ طريقهُ . فانا لست اوربيًّا اذا نظرت اليَّ نظر الاوربيين الذين يقدمون العمل على كل شيء

مرقي : واظنُّ انك ألهمتَ البحث في الثورة لما كنت في سن السادسة عشرة ، تأمل روعة الطبيعة في جبال الابنين في ايطاليا

اينشتين : (متكلماً الايطالية) آه .. سي . سي . ان شعوري بجمال الطبيعة وكل ميولي الفنية نشأت نشوءاً منسجماً مع الميل الى البحث العلمي . وانا اعتقد ان وجود الواحد منهما دون الآخر متعذر . اني وجدت الواحد متحداً بالآخر في اصحاب كل العقول المبدعة الذين عرفتهم . قد لا تكون الملكات الفنية في هؤلاء قد صقلت واستعملت عن وعيٍ او عناية ولكنها كانت دائماً تحتُّ الميل العلمي فيهم وتوجههُ

انحطاط الحضارة الغربية

مرقي : والآن جئنا الى النقطة الاخيرة في بحثنا . فقد كُتب في العقدين الاخيرين كتب ورسائل لا تحصى تدور على انحطاط الحضارة — حضارة غرب اوربا — واضمحلالها. وسبنغلر هو زعيم هذه الفكرة وحجتهُ الكبرى في ذلك ان قوة الحضارة الروحية تظهر في الفنون المبدعة وان هذه الفنون قد اصبحت تقليداً ميكانيكيًّا في حضارتنا الحالية.

فالدين في رأيهِ والفن لا يصلحان الآن للتعبير عن عوامل الحضارة الروحية . وهذا عندهُ دليل على ان القوى المبدعة في ابناء هذه الحضارة مريضة

اينشتين . ان الصورة التي يرسمها سبنغلر صورة ذهنية تستوقف النظر . ولكنك لا تستطيع ان تتنبأ : متى يولد دور من ادوار التاريخ تكون فيهِ القوى مبدعة ولا تستطيع كذلك ان تتنبأ بنهاية دور من هذا القبيل . لا ريب في ان مستوى التعبير الفني بالغ درجات الانحطاط في هذا العصر . ولكن من يدري ما يسفر عنهُ الغد . وكيف تستطيع القول بأن مؤسسي الحضارة المقبلة يجب ان ينشأوا من شعوب تجتاح البلدان المتمدنة من قلب صحراء همجية كما فعلت القبائل الالمانية ؟

مرقي : ولكنك يا استاذ تسلّم بقيمة الفكرة التي يؤيدها سبنغلر

اينشتين : طبعاً طبعاً. على ان رأيهُ في شعوب همجية تكون منشأ الحضارة المقبلة يظهر لي اقرب الى الخيال منهُ الى العلم

الفن والعوامل الروحية

مرقي : ان سبنغلر ينسى ان العلم في عصرنا قد يحدث ما احدثهُ الفن في عصر «الباروك»[1] انهُ يدعي ان التوق الى تمثيل الفضاء واتساعهِ هو روح الثقافة الشمالية وان هذه الروح تجسمت في قناطر الكاتدرائيات القوطية ومسلاتها كما تجلّت في اصباغ رمبرانت وألحان بتهوفن والصفة الغالبة عليها كلها صفة الاتساع . افلا يصحّ القول بأن العلم الحديث قد حل المصباح الذي تركه الفن وانهُ بهذا المصباح اخذ ينير الفضاء المجهول

هل يحل العلم محل الفن ؟

اينشتين : اعتقد انك مصيب . ان الشعور بعظمة الفضاء واتساعهِ يستولي على النفس اذا يتبع البصر طيران طيارة او سير باخرة حديثة او حين يفتكر العقل بالامواج اللاسلكية الهازئة بالمسافات . ان التأمل في هذه الحقائق يؤثر في النفس اثر مسلات الكاتدرائيات المستدقة الذاهبة في الجوّ. والواقع ان العلم الحديث يجهز العقل بما يحملهُ على التأمل والسمو بتأملهِ. لا بدَّ للانسانية من ان تتسامى وكل سعي ثقافي سواء كان دينيًّا او فنيًّا او علميًّا يمسُّ صميم النفس ويرتو بها الى التحرر من الذات — ذات الفرد وذات الجماعة على السواء . ولا بدَّ للانسانية في ذلك كلهِ من التعبير عنها تختلف اساليبهُ باختلاف العصور

(١) لفظ يطلق على فن القرنين السادس عشر والسابع عشر لما امتاز رجال الفن بالحرية وعدم التقيد بالقواعد الموضوعة

أختي المريضة في العيد

رأيتك في الحجرة الباردة ... تساقط عيناك دمعاً سخينا
فلم تحظي بسنة واحده ... بلقياي حتى استحالت انينا
أخيّة في كبدي الواقده ... لشكواك اضافُ ما تشتكينا
أخيّة يا ليت هذا العذاب ... على مهجتي كان لا مهجتك
وليت الكرى في دموعي ذاب ... لأسكبهنّ على مقلتك

وجدتك تذوين كالوردة ... وكالشمس قد آذنت بالغروب
تئنين في وحشة الوحدة ... انيناً يقطّع اتى القلوب
فما تستريحين في رقدة ... ولا تملكين يداً في الخطوب
فرحت انادي طبيب الثرى ... وروحي تناجي طبيب السماء
طبيبين ، هذا ليعطي الدوا ... وذاك ليجعل فيه الشفاء

نظرتك ربعَ الضحى والشجون تلبّدُ حولك مثل الضباب
وقد عمّ نورُ النهار الحزون ... وسال على جنبات الهضاب
وداعبت النسمات الغصون ... كما داعبت كف «سامي» الرباب
فلو استطعتُ حملتُ الجميع ... هديّة فصحٍ الى مضجعك
وجئتُ يا اخت شمس الربيع ... بحيي لتشرقَ في مخدعك

رأيت الصبايا صفوفاً تغنّي ... وتطفر في العيد مثل الظبا
الى كل روضٍ على كل غصن ... اهابَ الربيعُ فلبّى الصبا
قصائد من كل وزنٍ ولحنٍ ... يرتلها الله فوق الربى
واختي البريئة رهنَ الألم ... كما حُبسَ الطفل عن ملعبه
الهيَ ضيّعتَ اعلى نعم ... وعطّلت شعرك من اعذبه !

فدعها تطرْ نحو تلك الربى ... وتجني الزهور كأترابها
وإلاّ فسُرْ بلبلاً مطربا ... من الروض يشدُ على بابها
وقل للنسائم ان تجلبا ... اليها الشذا ملءَ جلبابها
وان شاء عفوك ان يرحما ... صباها ويدرأ عنها الخطر
فسُنّ بإبلالها قبلما ... تجفّ الحقول ويذوي الزهر

سان باولو : فصح سنة ١٩٣٠ — الشاعر القروي

العلامة المغفور لهُ احمد تيمور باشا

ولد في شعبان ١٢٨٨ — وتوفي في ذي القعدة ١٣٤٨ هـ

وُلد في نوفمبر ١٨٧١ — وتوفي في ابريل ١٩٣٠ م

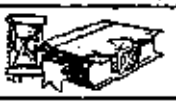

احمد تيمور باشا

بقلم السيد خير الدين الزركلي
مؤلف كتاب « الاعلام »

الاسرة التيمورية في مصر ، كردية الاصل ، قدم جدها الاول تيمور بن محمد بن اسماعيل بن علي كرد ، من الموصل ، في عهد محمد علي باشا الكبير ، واتصل به اتصالاً وثيقاً ، فكان من قادة جنده ومن كبار ولاته . وفي عهد المغفور لهُ الخديوي اسماعيل باشا عُرف اسماعيل تيمور باشا بن محمد بن تيمور ، والد صاحب الترجمة ، بفضل وسُبل ، فولي رياسة الديوان الخديوي وكان من خاصة صاحب الامر بمصر

وقَبْلَ وفاة اسماعيل تيمور باشا ، بنحو مائة يوم ، ولد لهُ نابغة التيموريين « أحمد » المترجم لهُ . فهو إذن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن تيمور بن محمد بن اسماعيل بن علي كرد

نشأ احمد يتيماً ، ربَّتهُ اختهُ الشاعرة الادبية عائشة عصمت وزوجها محمد بك توفيق. وأدخلاهُ مدرسة « مرسيل » الافرنسية ، فمكث فيها بضع سنين ، وشُغف بآداب العربية فانقطع لها ، وشُغل بها عن مواصلة الدرس في المدارس العالية التي كان أترابه يتنقلون اليها بعد تجاوزهم صفوف مدرسة كرسيل

فكانت مدرسته بعد ذلك داره ، تلقى فيها مبادىء النحو والصرف والفقه والمنطق وما كان يثقفهُ الشيوخ في ذلك العصر ، فدراسته اشبهُ بدراسة الازهريين اليوم ، وقبل اليوم. وانتهت به هذه الطريق الى التعرف بشيوخ الادب العربي واكابر علمائه من معاصريه ، فبعد أن تأدب على يدي الشيخ رضوان بن محمد المخللاتي ، ناشئاً ، وبعد ان لازم الشيخ حسناً الطويل ، زمناً ، تعرف بامام اهل اللغة الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده ، والعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، فاخذ عنهم واستفاد منهم ، واتسعت دائرة جُلاَّسه فكان بيته مجمعاً لاهل العلم والادب من المصريين ونزلاء مصر. وتعلم التركية وشيئاً من الفارسية فكان يستعين بهما على الرجوع الى بعض كتبهما فيما يحتاج اليه من تحقيق كلمة لغوية أو واقعة تاريخية . ولم أره في اجتماعاتي به رحمهُ الله يكثر من معاودة المصادر الافرنسية مع معرفته بهذه اللغة واقتنائه بعض القيّم من كتبها

وانصرفت عزيمته في بدء شبابه الى جمع نفائس الكتب ، ثم كانت تحمل اليه مخطوطاتها من الاستانة والمغرب والحجاز واليمن والشام والعراق ، وازداد غرامه بها فلم يكن يتصل

به بأكتاب غريب في الادب أو اللغة أو التاريخ الا اسرع لشرائه أو استنساخه أو نقله بالفوطوغراف . وقد استحضر بالطريقة الاخيرة مجموعة نادرة من محفوظات الخزائن الكبرى في باريس وروما وڤينّة والاستانة وغيرها ، اطلعت على بعضها عنده ، تألفت مكتبتهُ التي تُعدّ بقيمتها العلمية من نظائر دار الكتب المصرية في القاهرة والمكتبة الظاهرية في دمشق ، بل ربما كان في الخزانة التيمورية ما ليس في هاتين واشالها من خزائن الشرق العربية . وليس في القول انها احتوت على خمسة عشر الف كتاب أو أكثر كبير فائدة في الدلالة على قيمتها لان الكتب تقوَّم بنفاستها لا بعددها

وما اقتصرت همته على اختيار الكتب وجمعها ، كما هو دأب الكثيرين ، بل أودعها من علمه وتحقيقه أثراً خالداً ، فأثبت في كل كتاب طالعه منها ، وما اكثر ما طالع منها ، تعليقات وتنبيهات لو جمعت — وهي حرية بالجمع — لكانت كتاباً جليلاً هو في حسباني من افضل ما يدل على مبلغ كانها من علم بأدب العربية وتاريخ الامم والحضارات الاسلامية

وكان على ما بين أسرته والبيت المالك ، من اتصال قديم ، بعيداً عن حب المنصب ، زاهداً في كراسي الدواوين ، وقد وجهت اليه رتبة « باشا » وعين عضواً في مجلس الشيوخ فقبل الرتبة ودخل المجلس ، ولكنهُ ما برح يلتمس الوسائل لخروجه من المجلس محتفظاً بعطف من عيَّنه الى ان استقال في هذا العام ، وحوّل الساعات التي كان يقضيها فيه الى جمعية الهداية الاسلامية ، وانتُخب عضواً في مجلس ادارة جمعية الشبان المسلمين ، وهو أحد مؤسسيها . اما الاعمال العلمية فكان يُقبل عليها مسروراً ، منشرح الصدر ، فاختير عضواً في مجلس ادارة دار الآثار العربية ، وعضواً في المجمع العلمي المصري وعضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، فأفاد دار الكتب بتوليه النظر في كثير مما طبعتهُ ولاسيما الاجزاء التي صدرت في السنين الاخيرة من كتاب « الاغاني » اذ كانت تعرض عليه صفحاتها قبل طبعها ، وأمدّ المجمعين العلميين بكثير من ثمار تنقيبه في شتون اللغة والادب . وفي مجلة المجمع العلمي العربي من رسائله ومقالاته نموذج حالٍ من اتساع اطلاعه ودقة تحقيقه ، لتشر مثله في كثير من المجلات والصحف كالزهراء والمقتبس وغيرها

فالمرحوم احمد تيمور باشا كان أديباً ، عالماً بمادة لغته ، قديراً على حل مشكلاتها ، محققاً لاصولها ، متبحراً في أدبها ، واسع الاطلاع على تاريخي العرب والاسلام كثير العناية بآثارهما

وكان من أخص صفاته في البحث والتأليف أنهُ لا يصنّف الكتاب لشهوة التصنيف ولا يكتب ليقال كتب تيمور ، وانما يجمع الغريب مع أشباهه ، ويضم الشاردة الى نظيراتها ويصيد طرف الموضوع فيقيده في اوراقه ، ويترك ذلك كله للزمن ، ثم يعاوده كلما سنحت

له فيه فكرة أو اتفق له جديد يتعلق به ، لاتعجله الرغبة في النشر ولا يرضيه إخراج الرأي قبل وثوقه بنضجه ، فقلَّ لهذا عدد ما طبع من كتبه ، وظلَّ جُلُّ ما صنَّفه حبيس خزانته : هذا كتاب ينتظر ان يقع له ما يضيفه اليه ، وتلك رسالة ينقصها جانب من جوانب البحث . وذلك مقال يترقب الظفر بما يحقق رأياً فيه . ولو تسنَّى لغير تيمور ما تسنَّى له من المراجع وسعة نطاق العلم في الشئون التي اختصَّ بها ، لطلع على الناس كل يوم بجديد أو شبه جديد ، ولكن تيمور كان حريصاً على ان يكون أثره تامًّا وعمله كامل التحقيق مستوفى أطراف البحث . هذه حقيقة فيه ، من جهلها اتَّهمهُ بقلة الانتاج

وما كانت الرسائل الصغيرة المطبوعة كـ « قبر السيوطي » و « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » و « العلم الثماني » و « الرتب والالقاب » و « المذاهب الاربعة » و « تصحيح القاموس » و « تصحيح لسان العرب » وأمثالها مما نشر لهُ ، بدالَّة على ما وعاه صدره من علم جم ، وما كتبها لتكون « رسائل » تعرض في صف المصنَّفات ، وانما هي « مقالات » دعت اليها مناسبات ، أو « نبائش » من دفائن التاريخ ضنَّ بها على الطيِّ ولم يرها من الجلالة بحيث تدَّخر ليوم الظفر بتمات لها فتكون كتباً ، فنشرها في احدى المجلات — وأكثرها في الزهراء — واستُخرجتْ فطُبع كل منها على حدة ، فكانت « رسائل »

أما الكتاب الذي كان يُكثر من تمهُّده وتهذيبه فكتابه « معجم الالفاظ العامية المصرية » وما من شكّ في ان بحثاً كهذا يتعذر استقصاؤه ، اذ الزيادة فيه كل يوم ممكنة وما دام مؤلفهُ يستمع الى العامة جاؤوه في كل حديث بطريف حديث . ومن كان شأنه كشأن تيمور لا يَعُدُّ الكتاب اهلاً للنشر حتى يعتقد أو يتغلب على ظنه انه استكمل مادته ، لم يعجب منه اذا أنفد العُمرَ فيه مستزيداً كلمة حديثة يضمها اليه او تفسيراً للفظ يأتي عليه . وقد بقي « معجمه » هذا مخطوطاً لم ينشر منه غير امثلة بعث بها الى مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية

على ان جهوده لم تنحصر في معجمه هذا ، بل كان دأبه فيه كدأبه في كتب اخرى منها « اعيان القرن الثالث عشر والرابع عشر للهجرة » و « ذيل طبقات الاطباء » و « التصوير عند العرب » و « حياة المعري وعقيدته » و « الآثار النبوية » و « معجم الفوائد » وكلها ، كما تدل عليه اسماؤها ، يعوزها الصبر والبحث

وكان عليه الرحمة ، وقوراً طويل الصمت ، فيه تواضع ولين ، متجافياً عن الناس ، يَعرض البحث في مجلسه فان كان بعيداً عن مكتبته ، والكلام في اللغة او التاريخ ، تريَّثَ لا يقول كلمة الا مطلقةً ، مخافةَ الزلة — ولعله به اعلم جلسائه — وان كانت مكتبته تحت متناول يده اسرع اليها ، فجذب كتاباً يحلّ به الغامض او يوضح الاشكال مما القوم متناقشون فيه

لم اعتمه — وقد جانته كثيراً — يشير الى بحث كتبه او رأي نشره او كتاب ألفه . وكنت احب منه الكرم بما يعلم ، جعلت لنفسي يوماً في الاسبوع ازوره فيه عند الاصيل ، فأمكث ساعتين او ثلاثاً ، اراجع كتباً او استوفي موضوعاً ، فما عرف قصدي حتى كان اسرع مني الى ما اريد ، يهديني الى المرجع ، واذا لم يكن الخادم جاءني هو بالكتاب ، وما ادعى اختصاصه اياي بهذا وانما هو في جوار مكتبته غيره في بعده عنها

وما زلت اذكر له إلقاءه بين يديَّ فطراته ومذكراته يوم بدا له اني ابحث عن تراجم المتأخرين ، وقد قاصر بعضهم وبادلهم الترجمة على طريقة علماء السلف ، فكانت لي منها فوائد كثيرة لو التمست لها وسيلة اخرى لأعياني تطلبها . وفي البعداء عن مصر من يعرف من فضل تيمور اكثر مما يعرف أهلها . يكتب اليه احدهم مباشرته تأليف كتاب او تحقيق حادث ، فلا تصل اليه كلمته حتى ينهض فيختار له من مكتبته مراجع قد تكون معدومة النظير ويبعث بها اليه مبيناً له مواطن الفائدة فيها . وكثيراً ما رأيته ينقل بخطه صفحات من مذكراته او كتبه ويرسلها الى مستعلم او سائل . فما عاش تيمور لنفسه ولا لبلده ، وانما عاش للعلم ولكل عالم ومتعلم يكاتبه او يستعين به

واتخذ من ثروته معواناً على الخير ، الا انه كان يختص ببره طائفة ممن يعلم فيهم الفاقة او الحاجة من المستورين . وكان يتشدد في كتمان ما يلقيه في ايديهم او يدسه في جيوبهم ، لايرضيه ان يعلم به احد . رُويت لي عنه أخبار من هذا النوع ، منها وضعه ورقة بمئة جنيه في جيب رجل علم أنه في اضطرار اليها ، ولما افترقا ورأى الرجل ما أبقته يد تيمور أسرع اليه يريد اعادتها ، فأجابه بحزم أنه لا يحب ان يسمع منه او عن لسانه كلمة بشأنها . وآخر ما نقل اليَّ انه في الليلة التي توفي بها كان يفكر في ان يضع عن مستأجري بعض اطيانه شيئاً مما عليهم له ، يخفف به ما مسهم من ازمة القطن

أما حياته في بيته فكان لبنيه الثلاثة (اسماعيل بك ومحمد بك ومحمود بك) اقصى ما يمنح أب أبناءه من حرية ، وانما جعل لهم ذلك بعد أن استوثق من صحة تربيتهم وأخلاقهم . وتوفيت والدتهم سنة ١٣١٧ هـ (١٩٠٠ م) بعد عشر سنين من اقترانه بها ، فلم يشأ ان يتغص عليهم عيشهم بغيرها ، فعاش بقية عمره منفرداً . وأراد المرحوم السلطان حسين أن يصاهره فيزوجه بابنة له ، فغلب حبه لاولاده على حبه لنفسه . وتوفيت احتته المربية له ووالدته ، في نصف شهر واحد من سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) فكان لفقدهما اثر كبير في نفسه اشتد يفقده أحد أبنائه المرحوم محمد بك . وأصيب بمرض في القلب كانت تعاوده نوباته الى ان توفاه الله به في جوار مكتبته بالقاهرة

وداع الربيع

ومنذا الذي يفكر فيك ، أيها الربيع الجميل ، آتياً كنت ام ذاهباً ام مقياً ؟ منذا منا يجرّد نفسه من نفسه ليتفرغ ولو دقائق كل يوم ، لمراقبة تغير المشاهد وتعاقب الفصول ، وتنوّع ما تبديه الطبيعة من اشكال وألوان واكفهرار وإشراق ؟

نحن ، مثلك ، بعض اجزاء الحياة وبعض مظاهرها وقد يلفنا الانفعال والاعتكاف على نفوسنا مبلغاً نسهى معه عن كل ما عدانا

وهل انت الذي تقاسمنا نصيبنا من الوجود حتى لتصبح مسرحاً لحركاتنا الانسانية والفردية والقومية — ، هل انت مع ذلك تأبه لوجودنا ، وتشعر بشعورنا ، وتشاركنا في مختلف ما نختبره من اضطراب وحيرة ، ونجاح وفشل ؟ أولست مثلنا ما كفاً على ذاتك ، مستغرقاً في حيويتك ، منشغلاً بإنماء بذورك والتفاف نواميك ، ترصد الأهبة لاستكمال صورة النضج في حبوبك وانبتك وأزهارك وأثمارك ؟

أولست تجمل كل واحد منا — شأنا فيك — مسرحاً لأعمال النموّ والنضج والازدهار ، وتجري في عروقنا نفس المادة التي تطلقها في شرايين الارض ، وألياف الغصون ، ونسيج الاغراس ، وكؤوس البراعم ؟

بيد انك منفصل بدورة الفلك وسير الشمس حول الارض فتبدأ حيث تريد او لا تريد ، وتنتهي حيث لا نفوذ لك في الاختيار . ونحن مثلك من الناحية الواحدة مسيرون . ولكن ما نحن مخيرون فيه ان هو اسعدنا مرة فكم من مرة كنا فيه معذبين ، وكم من مرة جعلنا التخير أشد شعوراً بأن ما نحن مخيرون فيه انما هو نوع العبودية التي نرضى بها ليس غير !

***

هو ذا الصباح ، آخر صباح من اصباحك . والشمس التي ما زالت محجوبة بالضباب

يجاهد في تجلل الظهور فترحل من لدنها بشيراً . فاذا بخط مديد من النور الحي البهيج ترتسم على طول جبل القطم متعرجاً تعرجه هنا ، متكسراً تكسره هناك ، مستقيماً حيث الصخر يستقيم ، منحدراً فصاعداً حيث الهضبة تنحدر ومن بعد تعلو

ومن خلال الضباب المتلبد تستقل الشمس كل فرجة وكل ثلمة وكل شفوف لتبعث برسالتها الى الجهة المقابلة. فاذا الرسالة نور ينعكس على ارجاء الغروب فيضرم في زجاج النوافذ مايشبه النار ، ويذهّب زوايا المساكن فتسطع سطوعاً سحرياً رقيقاً ، ويلوّن الحجارة بألوان كان الظلام يطمس معالمها ، وتصبغ السحب المتناثرة هنا وهناك وهنالك بأصباغ قرمزية ووردية وليلكية وفضية ، او هي تعمل على جعل بياضها انعم نصوعاً وسط الزرقة السحيقة الفيحاء — كأنما تلك السحب اجنحة مرئية لطغمة من الملائكة المجنّحين

وهذه الاحياء صامتة هادئة ، لا يقطع سكونها سوى خطوات نفر البوليس الموكل بحراستها . وعلى المنازل تخيم سكينة الرقاد كأنما الجماد كذلك مجموع في الليل وفي النهار يقظة . واني لاستشفّ من وراء الجدران عديد النائمين الغافلين عما تنشره الطبيعة في الخارج وتطويه ، المستريحين ساعات قلائل من المشاغل والتبعات والمتع والحرمانات . انهم سيستيقظون عما قليل فتقول القيود للسجين : ها انا ذي ! وتقول المسؤوليات والواجبات والمسرات والآلام للطليق : ها أنا ذي ! ها أنا ذي !

... وقليلاً قليلاً تتصاعد من ابعاد المدينة اصوات تتجمع في صوت واحد منسجم رغم ما يقطعه من تنافر : من كل ناحية يتعالى تغريد الاطيار ، وهل لتغريد الاطيار كالصباح صفواً ؟ وهل يتسنى سماعها في جلاء الا عند ما تكون حركات المدينة ساكنة ويكون اهل المدينة هاجعين ؟

وقليلاً قليلاً تقبل الاصوات من كل صوب ، مقتحمة جميع الشوارع وجميع الانحاء حتى ليتقلب الجو مجلى شدو وترجيع وتطريب . . .

واستيقظت الاطيار المعسكرة على الشجرة المقابلة لشرفتي وعلا تغريدها فتفوّق على كل تغريد

هذه شجرة قديمة مسنّة كبيرة الجذور ، راسخة الاصول ، كثيفة الاوراق متشابكة

الاقنان ، وقد تولدت اكثر النصون الفنية في اعالها . هي الشجرة الواحدة الباذخة في حديقة لم تحفل بنير العشب واغراس الازهار، وسائر اشجار الطريق حيال هذه الشجرة اقزام

***

ترى ما معنى تغريد جوقة الاطيار على هذه النصون ؟ أتسبيحة اليقظة هو ، أم ترنيمة الربيع ، ام اهزوجة الحياة ؟ أم هو مساجلة ومناقشة تتبادل فيها الاطيار آراءها الصغيرة وافكارها المجهولة لدينا ؟ واذا كان هذا التغريد ترتيلاً فما هي لغة التخاطب بينها ، وكل ما عندها من وسائل البيان صدح وشدو وانشاد ؟

لتغريدها مجتمعة وقت غير طويل على أنهُ يرتفع في الساعة نفسها من كل صباح . فما ان ينقشع ستار الضباب ويمضي قرص الشمس في تسلق اول مراتب الفضاء حتى تعمد العصافير الى السكوت . وينفضُّ اجتماعها في نظام هو الذُّ من التغريد واطرب لانهُ ينم على ذكاء ويحدث عن تضامن وتفاهم

فرداً فرداً تنتقل الاطيار الرشيقة الى اعالي الشجرة متخيرة لوقوفها الفنيُّ من النصون حتى يتجمع هناك العدد الوافي ومن يدري هل اولئك اعضاء فصيلة او قبيلة او طائفة او جماعة ؟ وبعد سكون لحظات يخرج عصفور اولاً ، وتخرج بعدهُ عصافير كثيرة تنتظم سرباً يتأثر اثر العصفور السابق ويتجه اتجاههُ فتلوح في الافق تلك الظاهرة الطبيعية البسيطة الفتانة : سرب الاطيار يجتاز السماء ! لا اظن ان هناك مشهداً اقدر من هذا على اثارة الشوق الى المجهول في الانسان ، واهتياج حنينه الى بلاد نائية وانحاء غير معروفة ، واذكاء رغبتهِ في مغادرة مكان أقام فيهِ ليَنزع الى المغامرة وركوب الاخطار واقتحام الاهوال وتمزيق الحجاب الذي ضربتهُ احكام المسافة وانظمة الطبيعة من دونه

لا شك ان للاطيار فضلاً كبيراً في انشاء فن الطيران وترقيته . ليس من الوجهة الميكانيكية فحسب ، ولكن خصوصاً من حيث تنبيه حاسة المجهول في الانسان وشحذ همته في هجرة الديار، وارتياد شاسع الامصار، وتعرُّف ما لا يعرف من امور وممكنات وافكار

***

وهكذا ما ان تغادر الفرقة الاولى مكانها من الشجرة حتى تحتلَّ ذلك المكان فرقة اخرى تصعد من الطبقات الدنيا الى قمة الشجرة ريثما يتكامل عدد الجماعة فتطير بدورها

سرباً وتحلّق وراء طائر يتقدمها. وهكذا يخرج من بين الغصون سرب تلو سرب يختلف كل منها عدداً واتجاهاً ولكنها في الغالب تولي وجهها شطر الشرق ولا تنقلب ابداً نحو الغرب

ألأن الشرق اخنى ارضاً واخصب تربةً وافسح خيراً ؟ وهل شعوب الغرب تحذو حذو الاطيار في اتجاهها نحو الشرق بغية الغزو والاستعمار ؟

والى اين ترى تمضي تلك الاسراب ؟ ألبحث عن قوت وذخيرة ؟ أم لتجلب شأن المستعمرين للعامل والمصانع المواد الخام مؤونة ؟ وهل هي تعود في المساء الى نفس المكان الذي جمعها في الصباح ، وهل هي نفسها التي تطير من ذلك المكان كل يوم ؟ وما الذي يحدو بها الى اختيار ذلك المكان دون غيره ؟ وكيف تنظم الطير جماعاتها وأسرابها وتقيم عليها زعماً يسير امامها ساعة تنطلق الى اجتياز الفضاء ؟ وان تم لها كل اولئك بالسليقة فيا لها من سليقة عجيبة لا تنجح نحن البشر في تنظيم مثل تناغيها الا بكد وعناء ولا نفتأ نؤدي عن ذلك النظام دفعة بعد دفعة من دماء القلوب !

***

اشرفت الشمس وعلت فوق ذرى الجبل الواحد الذي يخفر عاصمة ابي الهول ومضت الاطيار الى عمل النهار وليس على الغصون من طير يصدح . واستيقظ اهل المدينة وبدأت حركة الشوارع واستؤنفت جلبة العمران . وفاض النور على جوانب الافق وساد طليقاً في كل مكان . وعما قليل تشتد حرارته فتصلينا بسعير الظهائر والهواجر

أكذلك وداعك ، أيهذا الربيع ، في آخر صباح من اصباحك ؟ وهل انت تقبل كما يقبل الواحد منا وتُدبر كما يدبر وتسلم وتودع مثلنا سواء بسواء ؟ ام انت تتولد من قلب الشتاء كما يتولد الفرح من قلب الترح ، وتذوب عناصرك في مطلع الصيف فتمده بالقوة والحيوية كما يُغني الامل مصادر النضج في الانسان ويلهمه كيفية التحقيق ؟

ألا ان هذه حياة متحابكة الحلقات ، متسلسلة الوقائع ، متضافرة الفوارق ، متلازمة الاضداد نحسب اننا نحذقها ونفسرها ونتصرف فيها على حين هي تعالجنا وتتصرف فينا من غير ما شرح ولا تفسير !

« مي »

الطابع العلمي في التعليم الحديث[1]

في مثل هذا الموقف الجليل تبادر الى الذهن مسائل جمة تمضُّ العقل وتقضُّ المضجع الوثير وتستولي عليه حيرة فكرية تخطُّ في عرض الفضاء علامة استفهام كبيرة

***

ايها المحفل الكريم : انقضى القرن التاسع عشر وانقضى بانقضائه عهد التفاؤل والتثبت . وحلَّ القرن العشرون فاذا هو خيبة للآمال تنطوي على حيرة فلسفية وقلق اجتماعي. كشف علماء القرن التاسع عشر عن طائفة من نواميس الكون وحقائق العلم فبنوا عليها فلسفة ميكانيكية مادية ترى في هذه النواميس وتلك الحقائق كلمة الطبيعة الأخيرة . وشيَّدوا على تناتجها مجتمعاً يحسب التحكم والابتكار واين العيش حضارة وثقافة. وانطلق القرن العشرون من عالم الغيب يحمل في طياته سرَّ الانقلاب . ففي الآراء العلمية تحوُّل . وفي العقائد الاجتماعية تطوُّر . وفي النفس الانسانية قلقٌ واضطراب . لقد انزلنا الآلة منزل المعبودات . وبتنا نحسب كلَّ تحوّل سريع ارتقاء . ورحنا نعتقد ان كلَّ حركة دليلٌ على الحياة . على ان الذين يستطيعون ان يخلوا الى انفسهم في هذا الاضطراب الفكري الشامل والاندفاع النفسي المتير يقولون في روية ودعة : لن يكون الارتقاء حركة سريعة فقط . انما هو حركة في جهة معيَّنة . والحركة في جهة معيَّنة تقتضي غرضاً . فما هو غرضنا ؟

هذا هو السؤال ! اتطلب المزيد من القوانين الاجتماعية والسياسية ام نرغب في تقليلها ؟ أالى توسيع نطاق الحرية نرمي في مساعينا أم الى تضييقه ؟ هل نجد السعادة في الحياة الحرّة والعودة الى احضان الطبيعة ام نحن على خطإ اذا طلبنا الحياة السعيدة على الاطلاق ؟ هل نكبت العواطف ونخضعها لأحكام العقل والضمير فنرتقي على اخضاعها الى ذرى التقشف ، او نقبل على آداب الحيوانات الحرة في الحقل الطلق رغبة في اطلاق الحرية للنفس في التعبير عن خوالجها ؟ اتحب كل انسان مع السيد المسيح أم نقضي مع نيتشه على كل ضعيف قائلين قولهُ بأن المسيحية دين المستضعفين ؟ اندهب مع الذاهبين الى أن هدم الدمقراطية سبيل الخلاص للحضارة ، وان صوت الشعب انما هو صوت الشيطان ، ام ننضمُّ الى القائلين بأن الدمقراطية ثمرة من ثمار الارتقاء العلمي الصناعي، لا تفنى الا بفنائه ؟ هل العلم الطبيعي

(١) نص الخطبة التي القاها رئيس تحرير هذه المجلة الاستاذ فؤاد صروف في الحفلة السنوية لجمعية تهذيب الشبيبة السورية ببيروت في ٧ يونيو الماضي

من مقومات العمران او هو خطر عليه لأنهُ يزيد قوة الانسان من غير ان يولد في نفسه حكمة استعمالها ؟ هل يسيطر الانسان على القوى التي اطلقها او تسيطر هي عليه فتستعبده ؟

هذه هي المسائل التي تمضُّ العقل العصري ، ونحن في محاولة الاجابة عنها نسري في ظلمات من فوقها ظلمات من تحتها ظلمات يتيهُ العقل البشري في بيدائها !

***

هكذا خاطبت نفسي لما شرفتني هذه الجمعية الكريمة بالدعوة للخطابة في حفلتها السنوية . وقضيت اياماً اقلب هذه المسائل في ذهني لعلي اهتدي في احداها الى قبس من النور . وإني لكذلك اعاني آلام هذه الحيرة ، طرأ على بالي للمرة الأولى ، ان الجمعية « جمعية تهذيب الشبيبة » تضحكتُ من غفلتي . وكأنَّ الحيرة التي كانت مستولية عليَّ قد استحكمت مني ، فأخذت من جديد اسائل نفسي :

ما الغرض من التهذيب ؟ لماذا تنفق الأموال ، وتشيَّد المعاهد ، وتُدرَّ اكفُّ المحسنين ، وتنظم الدوائر والصفوف ، وتقضي الأعوام تذوق فيها صنوف الآلام العقلية ، ثم نخرج من المدرسة ونحن ندرك — اذا كنا على شيء من العقل — مدى جهلنا ؟

ما الغاية القصوى التي يبغيها الطالب وأبو الطالب ؟ بل ما الغرض الذي يرمي اليه الرئيس والأستاذ ؟ أللكسب يبغي الأول العلم ام للزينة ام للقوة ام للمقام الاجتماعي ام للنفع العام ؟ وهل يطلبهُ الثاني لتقويم الاخلاق او لاخراج موظفين للحكومة او لاعداد جنود للوطن او معلمين للمدارس او تلاميذ يذيعون فكرة ويروجون لدعوة ؟

من الواضح ان منوال التعليم يختلف باختلاف الغرض المقصود منهُ . ما اكثر الأغراض وما اعظم الاختلاف بينها ! فالمربي الانكليزي المشهور — الدكتور ارنولد — كان يرى « الوداعة العقلية » غاية التعليم القصوى — وهي صفة لن تستطيع الثور عليها في « رجل ارسطو الثاني » مهما يجهدك البحث . ان غرض نيتشه يختلف اختلافاً شاسعاً عن غرض المعلمين المسيحيين . فهو يربي « للقوة » وهم يربون « للمحبة »

ثم ان الألمان والايطاليين واليابانيين يرون في كل طالب جنديًّا يناضل في سبيل « الوطن » والأميركيين يطلبون « النجاح العملي » والانكليز الدقة في تأدية الواجب على حساب الذكاء . حتى اذا اتفق الباحثون على العناصر التي يجب ان يشتمل عليها الخلق الكامل اختلفوا في نسبة هذه العناصر بعضها الى بعض : فالواحد يقدم الشجاعة والاقدام على الحرص . والثاني يطنب في القوة العقلية . والثالث يضع الدعة واللطف في المقام الأول . والرابع يضع الواجب نحو الامة امام الواجب نحو الذات . فطبيعي ان نعرف الغرض الذي نرمي

اليه معرفة واضحة الحدود والمعالم لكي تتمكن من السعي الى تحقيقه سعياً مجدياً

كان النشاط العقلي والجسدي اظهر الصفات في رجل اليونان الامثل . وكان الخمول الجسدي والتفكير الذي تغلب عليه صفة التأمل الهادي اظهر الصفات في رجل الصين الامثل . فكان السياسي اليوناني اذا ثُلب على امره في بلده وطرد منهُ لا ينزل على حكم الدهر عليه، بل يزعم حفنة من المشردين امثاله فيصلي الجماعة التي اذلته وطردتهُ نار الحرب . اما المتقفون الصينيون فكانوا اميل الى التأمل والتشكيك والى التمتع بجمالي الجمال تمتعاً هادئاً . وكان موظفهم اذا طرد من منصبه ينطلق الى عزلة على قمة جبل ليظم اشعاراً في مسرات الحياة القروية

فالتعليم الصيني انتج «استقراراً» ولعلَّ هذا ما ينتظر من تعليم قائم على الرية والشك . اما التعليم اليوناني فانتج تحولاً وحرباً لان المعتقدات التي نعتقد صحتها بكل جوارحنا ونؤيدها بكل قوانا لا تحملنا على الاستقرار بل تدفعنا الى الكفاح في سبيلها . لذلك قضت الحضارة اليونانية على نفسها بايدي ابنائها . اما الحضارة الصينية فاستقرت على ما هي عليه آلاف السنين ولا تزال تنتظر من يقضي عليها من الغرب او من ابنائها المتفقين باساليب الغرب

وكان التعليم اليوناني جرثومة الحضارة الغربية الحديثة حملها العربُ بعدما تعهدوها بكل اساليب العناية والرعاية حتى اتصلت اخيراً باليابان — جارة الصين — فجعلها اليابانيون اساساً لنهضتهم الحديثة . ولكنهم جعلوا «المجد القومي» غرضاً لهذا التعليم الديناميّ فاخضعوا كل قوى التلميذ العقلية والجسدية لتمجيد الميكادو وتعظيم الوطن والاستماتة في سبيله

وكلا الموقفين — اي كلا التعليمين — تعليم الصينيين في الطرف الواحد — وتعليم اليابانيين في الطرف الآخر خطر على العمران . فالاول كان يتمادى في التشكيك والرية حتى يفضيا به الى الجمود . والثاني يتمادى في التحكم والايمان بتحكمه وقوته حتى يصير ابناؤه وهم كالقنابل المنطلقة . اما والارتقاء المتزن هو غرض الحياة الاسمى فالتمادي في التشكيك المفضي الى الجمود لا يجدي نفعاً في ميداننا . اما وقد اصبح العمران — بفضل العلم والصناعة — معقد التركيب محكم الترابط دقيق الاحساس ، فالتمادي في التحكم الذي يجعل الثورة والحرب سبيل الارتقاء الوحيد ، مبعثُ خطير يهدد الحضارة بالانقراض

ان غرض التعليم ايها السادة يجب ان يكون: «الايمان بان الحصول على المعرفة مستطاع الى حدٍّ ما ، ولكن بصعوبة كل الصعوبة . وانَّ جانباً كبيراً مما نعرفهُ او نحسبهُ معرفة يحتمل ان يكون خاطئاً . وان هذه الاخطاء تصحح بالاختبار والامتحان — كذلك علينا ان نعلّم المتعلم انهُ حين ينطلق في عمله اليومي لتحقيق رغائبه — يجب ان يكون بالغ الحذر حيث يحتمل ان يكون الخطأ الضئيل باعثاً على ضرر كبير . ومع ذلك لا بدَّ من ان تكون رغائبنا

وغرائزنا — اساساً لكل اعمالنا . وهذه الحالة العقلية — حالة الحذر الدائم واليقظة المستمرة لحفظ التوازن بين ما تقضي به رغائبنا وما يمليه عقلنا — حالة دقيقة كل الدقة . انها تحتاج الى اعظم جانب من الثقافة العقلية والرياضة النفسية — ولكنها على دقتها غير متعذرة على من يرضى ان يبذل في سبيلها جهداً خالصاً . هي في الواقع الطريقة العلمية بل هي صميم الطابع العلمي . ان المعرفة — ككل الامور الطيبة في الحياة — صعبة المنال ولكن منالها ممكن . اما التحكم فيمن الصعوبة . وأما التشكك فيكثر الامكان »

***

من سديم الحياة الاقطاعية في القرون الوسطى ، وبفعل الثورة الفرنسية والثورة الصناعية نشأت اكثر الدول الاوربية الحديثة وتميزت حدودها واتضحت ثقافاتها . وانك اذا رجعت الى الصفات التي تمتاز بها هذه الدول الجديدة عن أمم العالم القديم رأيت الشعور القومي — سواء في السياسة او في الثقافة — اظهرها مكاناً وابعدها اثراً

اما « القومية » ايها السادة فاسبابها والبواعث عليها بعيدة الغور في الطبيعة البشرية . فالانسان بطبعه ميال الى الخوف من كل غريب عنه ويسعى الى اذيته اذا استطاع مبادرةً ان يؤذيه هو اولاً . وهو كذلك اجتماعي ولكنه يؤثر الطوائف الصغيرة لان غيرتهُ من كل فرد خارج عن تلك الطائفة وخوفهُ منهُ — وخصوصاً اذا كان ذلك «الخارج» يختلف لوناً او لغة او اقامة — فطرة فيه لا تزال عالقة بنفسه من ايام التناحر على البقاء الاولى

هذا هو منشأ « القومية » التي يرجع اليها جانب كبير من تاريخ النزاع بين الامم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين . ولكن بدلاً من ان يعمد المفكرون والمعلمون والفلاسفة الى صقل هذه الميول وتثقيفها واخضاعها لاحكام العقل اي بدلاً من ان يحاولوا طبع التعليم بالطابع العلمي الذي اشرت اليه عمدوا الى استثارتها بكل فنون الاثارة الشعرية والنثرية

نزل المفكر من برجه العاجي المنيف الذي كان يقطنهُ في القرون الوسطى وشقَّ لهُ طريقاً في ميدان العامة ، واختلط بهم ، فالتهبت في صدره الشهوات التي تلتهب في صدورهم فاستعمل مقدرتهُ العقلية في استنباط العلل التاريخية والفلسفية لتسويغ هذه الشهوات وتبريرها فخلع عليها ثوباً زاهياً من المنطق الخلاب والفلسفة الاخاذة ، والمجد المثير سارياً وراء الجمهور بدلاً من ان يقودهُ ، خائناً بذلك الامانة التي في عنقه ، امانة الترفع عن امور الدنيا والارشاد الى مواطن المثل العليا . ففي انكلترا ينادي كبلنغ الشعوب البيضاء « احملوا حمل الرجل الابيض » أي خذوا على عاتقكم تمدين الشعوب غير البيضاء — اي استعمارها ! وفي اميركا تخترع الفلسفة العملية التي تحدد العمل الادبي السامي بالعمل الذي يمكننا من الفوز في ميدان

التاجر في بيئة معادية . وفي المانيا ينادي شوبنهور ان الجانب من جوانب النفس الذي يقرّر ما هو « الصالح » انما هو « ارادة الحياة » ويدعوه نيتشه « ارادة السيطرة » . ويتفقون جميعاً على ان « اديتة » كل عمل تقاس بمقياس صلاحه لقضاء المآرب منهُ ، وان الآداب الوحيدة هي الآداب التي تناسب مقتضى الحال

اتعجبون اذاً من ان يقوم في مجتمع هؤلاء روّاده المفكرون نزاع على التوسع والسيطرة تدعمهُ حججٌ تاريخية وفلسفية وبيولوجية ؟ اتعجبون اذ نرون روح الوطنية يلهب بكل وسائل التعليم والنشر حتى يكتسح صدور الناس وحتى تصبح اوربا وكأنها على قوهة بركان يتحفز للثوران ! اتعجبون من قيام طبقات الشعوب بعضها على بعضها في سبيل « ارادة الحياة » ! لقد اصبح الرجل لا يقنع بان شرف وطنه في حفظ ملكه او برلمانه . انهُ تعلم ان يشعر ان واجبهُ يحتم عليه ان يدافع دون قومه وان المجد كلَّ المجد في ذلك وان العار كلَّ العار في التواني عنهُ . واذا الانكليزي يقول ان الله تجلى اولاً للامة الانكليزية . واذا غليوم يعتقد ويصرّح « ان لالمانيا مكانة خاصة في عقل العزة الالهية » . واذا مازيني ينادي بان « ايطاليا دين » . واذا الشعور القومي يتسم بسمة العقيدة الروحية . واذا الحرب لا تنشب بين جيشين مرزّقين ولكنها نزاع وتناحر بين الامم والحضارات !

ايها السادة : اني اؤمن بالوطنية والقومية . اني اؤمن بان ارجلنا يجب ان تغرس في بلادنا وتستمدَّ عصير الحياة من ثراها . ولكني اؤمن كذلك بالانسانية . اؤمن بان اعيننا الروحية يجب ان ترتفع حتى تستشرف العالم . والمعلم الحكيم في نظري ، سواء كان مدرساً او صحافيًّا او خطيباً او مؤلفاً او واعظاً ، هو من يصقل العواطف الحياشة التي تجري في صدور مواطنيه من غير ان يقمعها ؟ هو من يمنح مواطنيه عيوناً عقلية يرون بها ان عواطف الامم الاخرى وتقاليدها ليست مناقضة لعواطفهم وتقاليدهم . لا متدوحة عن استمرار الفروق الشبيهة القائمة على الوراثة والبيئة وامَّا ما بني فوق هذه الفروق يد التعصُّب والجهل فيجب ان يندثر . ومهمة المعلم ان يدثرهُ . وغرض التعليم القويم ان يقوّض اركانهُ . ان في عالم الروح مستوًى ، اذا بلغتهُ الشعوب عاشت فيه عيشة اخاء ووئام . فوق هذا المستوى تحتفظ كل امة بمقومات شخصيتها . ولكنها تدرك اذ ذاك ان هذه المقومات ، وان اختلفت عن مقومات الامم الاخرى ، لا تناقضها . لان الاختلاف في ميدان العلم الصحيح مقبولٌ ولكن التناقض ممنوع . ان للارواح السامية مقامين : وطنها الارضيَّ والمدينة العليا . في الاول نحن ضيوف على رحيل . واما الثانية فنحن بناؤوها . فلا الاسرة تقدَّم على الروح ولا الوطن . الروح هو النور . فارفعه فوق الاعاصير . ولتمزّق السُحُب التي تغشاه

ولين مدينة شاحبة منيعة تتراجع الاحفاد عن جدرانها

فانا ازعم ايها السيدات والسادة ان تعليماً غرضهُ إحكام التوازن بين أحكام العقل ونوازع النفس طريق — على وعورته — ممهد للسموّ في نفس الفتى، وللسلام بين طوائف الامة ، وبين امم الارض جمعاء . بل اني ازعم ان هذه الحضارة التي تنعم بمحسناتها الكثيرة — وان كنا لا نفتقر لها بعض مساوئها — تستهدف الى خطرين عظيمين : كلٌّ منهما يستطيع القضاء عليها اذا لم نعمد الى تطبيع نفوسنا وتفوس ابنائنا بهذا الطابع العلمي

اما الخطر الاول فهو حرب طاحنة لا تبقي ولا تذر ، تكون البواعث عليها رغبة في الدفاع عن شرف الوطن يتغنى بها الشعراء وتمهد الطريق لتوسعه وسيطرته ينادي به الساسيون ، وفوز في ميدان التنازع على البقاء يذهب اليه الفلاسفة

وقد غاب عنهم ايها السادة ان المستنبطات العلمية الحديثة قد ربطت بين شعوب الارض حتى صارت وكأنها امة واحدة . فالفاظ التوسع والتنازع والسيطرة يجب ألاّ تكون في قاموسهم . ان الفاجعة التي تحدث في القطب الشمالي اصبحت بفضل المخاطبات اللاسلكية وكأنها حادثة في باريس . فانا اجزع مع زوجة الرائد وابنته لما يحفّ به من الخطر ، وانا اجلّ شجاعتهُ واقدامهُ في اقتحام عناصر الطبيعة حبًّا بالكشف عن مجهول فيها . وهذا الجزع من جهة والاجلال من جهة اخرى قوة توحّد بين عقولنا ونفوسنا لحظة من الزمان فترتفع على أجنحتها محلقين فوق حدود البلدان وفروق الاجناس

لقد غاب عنهم ان امجاد الروح ، وانتصارات العقل ، أعظم شأناً وانبل قصداً من امجاد القوّاد وبطولة الاجناد

لقد غاب عنهم ان المؤمنين بالعلم والجارين على أحكامه ، والمتفنين بآثاره ، اخوة عالية عظيمة تعيش على مستوى أعلى وأنبل من مستوى الشرف الوطني الخاص والتوسع القومي الخاص والسيطرة الثقافية الخاصة — ألا وهو مستوى الشرف الانساني والتوسع الانساني والثقافة العامة

اتيحت لي أيها السادة زيارة ردهة المجد النيويوركية من بضع سنوات فوجدت فيها انصاباً لاكثر من ستين اميركيًّا لم أجد بينها الا انصاب ثلاثة من القوّاد ! وقد كانت أمنيتي — ولا تزال — ان استيقظ كلّ يوم لأرى عدد العلماء والمستنبطين في الارض وقد اربى على عدد القواد ! لأنهُ اذا لم يقضِ العلم على الحرب قضت الحرب على العمران

***

أما الخطر الثاني فهو استهداف العصر الى افلاس روحي أعظم خطراً على مصير العمران من شبوب نيران الحروب بل يكون هو مبعث الحروب ومذكيها

واظهر مظاهر هذا التخلف المؤيد بالارقام عن حضور الاجتماعات الروحية وعدم المبالاة بنواهي الدين الأدبية والاقرار بالعجز عن الوصول الى عقيدة تطمئن اليها النفس، وجعل الآلة السريعة معبوداً يصلى لهُ ويسجد ، واهمال المثل الروحية العليا واستبدالها بما يكفي الشهوات العارضة واستنباط فلسفات لتحلّ محلّ الدين . وكل ما يقال فيها انها فلسفات

ولعلّ هذا التقلقل في مقام الدين ناجم الى حد بعيد عن طول النزاع بين العلم والدين على أمور هي من اختصاص الاول دون الثاني . فلما فاز العلم في اثباتها على نحو معيَّن ضعف مقام الدين في عقول الذين يظنون خطأً ان ما نقض هو الدين في ذاته — مع ان التقوض انما هو علم قديم حلّ محلهُ علم جديد ، كما حلّ علم اليوم محلّ علم الأمس وكما ينتظر أن يحلّ علم الغد محل علم اليوم . أما الدين فان في صميمه شيئاً خالداً مستقلاً عن تطوُّر المعرفة الانسانية . ليثبت علم الهيئة أن الأرض ليست مركز الكون . وليثبت علم الحياة ان الانسان ليس سيّد المخلوقات . وليثبت علم النفس الجديد ان مصدر الوعي الانساني وملابساته انما هو تيارات العقل الباطن المكبوتة . ليثبتوا ذلك كلّهُ فلا يضير هذا الاثبات الدين في شيء . بل ان تسليم رجال الدين بهذه الحقائق ، وهم يجلون لنا في مرآتهم العلوية صورة المثل الروحي الاعلى ، يجعل الاساس الذي نستمدّ منهُ تعاليم الانبياء أساساً معقولاً يخصب الاقناع خصباً

فأنا أزعم أيها السادة ان التعليم الذي غرضهُ ترسيخ النزعة العلمية في عقول الطلاب يقترب بهم جدّ الاقتراب من صميم الدين — من المثل الروحي الاعلى. قد يكون الافلاس الروحي فاشياً بين معظم طبقات الناس ولكني لا أرى أثراً لهُ بين طائفة العلماء المحققين. ألم تروا الى مِلِكَن يقول : حددوا «المادة» وأنا اتكفل بتحديد «الروح» . هذا العالم الطبيعي الذي قاس مقدار الشحنة الكهربائية على الالكترون والذي اكتشف اشعة تفوق اشعة اكس مئات الاضعاف في قوة اختراقها للمواد يعترف في دعة صحيحة انهُ لا يدري ما هي المادة . ومِلِكَن في نظرته هذه يمثل طائفة كبيرة من علماء العصر

أما كان صميم الدين ولا يزال علاقة الانسان بربهِ من جهة وعلاقته بجيرانهِ من جهة أخرى ؟ وهل في الكون نظرة ابعث على الجلال والاحترام للخالق المبدع من نظرة العالم الذي يدرك شيئاً من أسرار الكون ويدرك قصر ادراكه هذا . أما صفات المتطبع بالطبع العلمي فهي الصفات الروحية المثلى : الصبر والصدق والانصاف والاخوة. افخر الانسان بقوته قدرص ساعة واحد من علم الفلك يقتعه بضعفه. أيحتقر قدرته العلمية الكيمياء والطبيعة والطب والهندسة ! أيحسب نفسهُ سيداً يتيهُ على اخوانه كبراً فالطبع العلمي يعلمهُ ان الانسان

وحضارته تزول وأما البحث عن الحق الخالد فعمل ابدي ازلي. فاذا كان روح الحق صميم الدين فرجال العلم اليوم رجال متدينون حقاً. والاكباب على البحث العلمي المجرد حبّاً بالكشف عن الحقيقة هو الظاهرة الروحية العصرية التي تقابل التقشف الديني في العصور الوسطى !

***

أبالعلم تحاول أن تبيد الحرب والعلم نفسهُ يمدّها وينذيها ويصب على نارها زيتاً فيزيدها اشتعالاً واضطراماً ! أبالعلم تحاول أن تبيد الحرب ، والعلم يمدُّ رجالها بالمدافع ، والدبابات ، والغازات ، والقواصات ، والطيارات ؟ ابالعلم تريد ان تحلّ مشاكل الانسانية والعلم يضع في أيدي أبنائه قوى تجعلهم في قوة الآلهة وخسة الشياطين ؟ ابالعلم تحاول ان تدفع الافلاس الروحي والعلم يبعث في النفوس الشك ولا يعترف بيقين الا يقين الحواس ؟ أبالعلم تحاول ان تزيل المادية والحضارة الصناعية العلمية جذورها مادة وجذوعها مادة وفروعها مادة منطلقة في الفضاء ! قلّب صفحات الحرب الكبرى ! فكل الآلات التي استطاع العقل العلمي ابداعها استعملت لغرض واحد هو التدمير والتقتيل. وفي مئات المعامل العلمية والمصانع ومجالس البحث الطبيعي والكيماوي أكبّ العلماء على اخضاع القوى لاطلاقها تدمر وتميت . عشرة ملايين من الجنود قتلوا في ميدانها . وثلاثة عشر مليوناً من السكان . وعشرون مليوناً من الجرحى . وثلاثة ملايين من الاسرى . وتسعة ملايين من الايتام . وخمسة ملايين من الارامل . وعشرة ملايين من المشرّدين . هذا هو علمك احتفظ به . فانهُ بلاء على الانسانية لا دواء لادوائها !

هكذا يقول المعترضون !

اما القول بان العلم يبعث الحرب وينذيها فخطأٌ في التفكير. العلم لا ينظر الى الحرب ولا الى السلم . فهو يعطينا يد الاعتدة ويداً خرى المفرقعات. يجهزنا من ناحية باشعة اكس ووسائل الجراحة والمخدّرات الطبية ومن ناحية اخرى بالمدافع الرشاشة والغاز الخانق والمنيات . ولكن ما يجهزنا به العلم للآلي السلمية يفوق اضعاف اضعاف ما يجهزنا به للافعال الحربية . المفرقعات تستعمل في الحرب للهدم والقتل ولكنها تستعمل في السلم في مئات المطالب العمرانية من حفر الانفاق الى شق الترع الى فتح المحاجر . والفولاذ لا يحصر استعماله في صنع الاسنة والرماح بل هو يستعمل ايضاً في صنع المحاريث والخطوط الحديدية والسيارات والجسّادات ومئات الادوات اللازمة في الصناعة والزراعة . فالعلم يمدّ نفسه لا يخدم اله الحرب دون اله السلم ، وانما يعود هذا الفرق الى نفوسنا ، وشهواتها ، واغراضها الادبية

السر هنا معروف واعراض انداء مكشوفة : ان قوة الانسان قد سبقت حكمتهُ في احكام استعمالها . والواقع ان العلم لم يغيّر رغبات الانسان وانما مهّد لهُ طريق تنفيذها .

وهنا مكان التعليم الذي اقول به . قد لا يقمع هذا التعليم رغبات الانسان وشهواته ونحن لا نريد ان نقمعها — ولكنهُ يصقلها — انهُ يخضعها لنواهي العقل — انهُ يحكم الاتزان بين ما تقضي هي به وبين ما يمليه العقل . وهذه هي الحكمة . فاذا كانت هذه الحكمة وليدة التعليم فارتقاء العلم وتعدد المستنبطات لا يكون الا خيراً . والواقع اننا لا نستطيع ان نسير بالحضارة الى اغراضها العليا من دون العلم . ان لهُ من الوجهة العقلية لذة لا تضاهى بسهولة بعد تذوقها . ومن الوجهة العملية غداً ضرورياً لكل اسباب العمل والراحة . والحق يقال اننا قد وصلنا الى حالة لا نستطيع معها شعوب الدنيا ان تحتفظ بمستواها المعاشي الا بترقية العلم وتوسيع نطاقه . ولكن مع هذا يجب ان يسير التعليم المطبوع بالطابع العلمي الذي يولد الحكمة في النفوس ويقيها من نزغات الشيطان

أما القائلون بأن الحضارة العلمية الصناعية حضارة مادية فيخطئون أيضاً

إن أساس الحضارة الغربية أساس روحاني : لقد اعترف كنفوشيوس حكيم الصين — وجاراه في ذلك طائفة كبيرة من الفلاسفة — بأن أدوات الحضارة لها أصل روحي . لأن الفكر مصدرها كلها . فانا لا أرى ان صورة زيتية من تصوير روفائيل مادية اكثر من لحن أبدعهُ بيتهوفن . أنا لا ارى ان سيارة صنعها فورد مادية اكثر من قصيدة نظمها شلي . أنا لا أرى ان باطحة ولورث مادية اكثر من الهرم الكبير أو كنيسة نوتردام . أنا لا أرى مكتشفات مندل في الوراثة مادية أكثر من مؤلفات كانت . انها كلها ادوات لازمة للحضارة وقد أبدعها الذكاء البشري متصرفاً بالمادة والقوة تحقيقاً لحاجة من حاجات المعاش او تلبية لدافع داخلي يدفعهُ لتمثيل المثل الاسمى أو لاكفاء ميله الى البحث والتنقيب . لقد أله الاقدمون بروميثيوس لانه أخذ النار من الآلهة ومنحها للبشر وقدموس لانهُ استنبط الكتابة . ألهوهما لانهما يمثلان تلك الشعلة الالهية في الانسان شعلة العقل المبدع الذي يستنبط الآلات والادوات ويبني بها العمران . اذن اين نضع علماءنا ومستنبطينا من غليليو الى نيوتن الى وط الى مورس الى بل الى أديسن الى ماركوني الى فورد . ولماذا نقول ان هؤلاء رواد عصر مادي وان بروميثيوس وقدموس الهان ؟ !

ثم ان طريقة الحضارة العلمية الصناعية هي طريقة روحانية . فالعلم ينتقي العقول فيدنيها من القدس الاعلى لانهُ يجهزها بوسائل للبحث عن الحق الخفي . وهو كذلك يعلمنا الا نقنط حين تحدق بنا المصاعب . لان العلم لا يتقدم الا بالبحث الدقيق والصبر الجميل والتغلب على المصاعب . وكل خطوة يخطوها العالم الى الامام توقظ فيه ذلك الحبور الروحي الذي كان ينسب الى الحكماء الاقدمين حين تجلي الآلهة لهم . واكثر عناصر العلم روحانية هو هذه الرية في

كل شيء قبل تصديقه وهذه الشجاعة الادبية على الريبة قبل توافر الادلة على صحته. ولكنها ريبة مبدعة لا تنكي عند نفسها بل هي خطوة مباركة في سبيل الاكتشاف والاستنباط والبناء[1]

ثم ان غرض الحضارة العلمية غرض روحاني . هو تحرير الناس من رهبة الاستعباد للقوى الطبيعية لان تقدم العلوم وما يبنى عليه من المخترعات والمستنبطات يوفر للجسم الراحة والرفاهة فيتحرر العقل وتتسع امام النفس آفاق المعرفة والفهم . ولكن اذا لم يبلغ الناس درجة من الحكمة تعلمهم كيف يقضون اوقات الفراغ، فالخوف كل الخوف عليهم أن يكون نصيبهم الضجر الذي لا يكون الا نصيب النفي الخامل أو المنغمس في الشهوات بعد الكلال

كل انسان يتعلم تعليمين : الاول يعلمنا كيف نرتزق . والثاني يعلمنا كيف نعيش . وهذان الغرضان لا يلتبسان في عقل الرجل المثقف تثقيفاً صحيحاً . كلٌّ منا — او اكثرنا على الاقل — يهمهُ ان يرتزق . وقد كان الناس في الزمن السابق يرتزقون في الحقل والدكان او بالرياضة والتمرن في مخزن تاجر او مكتب محام او عيادة طبيب . أما وقد اتسع نطاق العلم وتعددت مطالب الحياة وتعقدت امانيها فصرنا نفضل ان نختصر الطريق بالذهاب الى المدرسة او الكلية لتعلم في بضع سنوات عملاً معيناً او حرفة خاصة . ولكن هذا يجب ألاّ يحجب عن بصيرتنا اننا بهذا نتعلم حرفة او تجارة . هذا هو التعليم الاول . وهو غير التعليم الذي لا بدَّ منهُ لنعرف كيف نعيش متى كفلنا اسباب الارتزاق الذي لا مندوحة عنهُ لكي نستمدَّ من الحياة اطيب اطايبها . والتعليم المطبوع بالطابع العلمي يمهد لنا السبيل الى ذلك ولو تشغل الحياة بطولها . بل لا بدَّ لهُ من ان يشغل الحياة بطولها . لاننا قرَّرنا في وصف غرض التعليم : أن الحصول على المعرفة مستطاع الى حدٍّ ما ولكن بصعوبة كلّ الصعوبة . وان جانباً مما نعرفهُ او نحسبهُ معرفة يحتمل ان يكون خاطئاً . وان هذه الاخطاء تصحَّح بالاختبار والامتحان . الا يشغل كلّ هذا الحياة بطولها ؟ !

ايها السادة : لقد أبدعت الثورة الصناعية والثورة الفرنسية العجائب في عمراننا الحديث . انهما فتحتا أمام كل الطبقات في كل الشعوب ابواباً جديدة للعيش . وجعلتا الدمقراطية مثل الامم الاعلى . وحوَّلتا الوطنية الى قوة عنيفة تكتسح صدور الشعوب

فالتطبع بالطابع العلمي في شعبتيه الاولى والثانية — لا مندوحة عنهُ لسير الدمقراطية السياسية سيراً مرضياً . ولانشاء القوية الرشيدة التي تؤيد السلام . ولاعداد النفوس لاتقان وسائل الثورة الصناعية وتوسيع نطاقها والتمتع بفوائدها الروحية . هذا التعليم يمهد للاجيال المقبلة سبيل التفكير الصحيح ، والعمل المثمر ، والاخاء العام

(١) هذا الرأي في الحضارة الغربية هو رأي الحكيم الصيني المعاصر هوته

هل في النشوء ارتقاء

عند اصحاب علم الجماعة

طال البحث في الارتقاء زماناً ولكنهُ لم ينزل منزلة البحث العلمي الاَّ لقرنٍ مضى . على انك ترى اصحاب علم الكلام يقفون حتى اليوم من نظرية النشوء موقف المتصوّرين المستحضرين فلا يأتون شيئاً سوى آراء افلاطونية يفرغونها بعد طول مشقّة في قالب كأنك به جديد، على حين ان اصحاب علم الجماعة ينهجون منهجاً علميًّا اذ ينطلقون من المجهول الى المعلوم ومن الحسّ الى الادراك اي من التجربة الى التأويل فتراهم يحللون الرقي تحليلاً ويسعون في الامر واليك بعض مذاهبهم بل أجلها شأناً

كونت (١)

ان (كونت) يعتمد على مبدئه هذا : إن الانسانية مطّردة الرقيّ في الزمان اي أنها تتوق الى كمالٍ في طبيعتها والسبب في ذلك سعي المرء في تحسين حاله كائنةً ما كانت

ثم جعل كونت بعد البحث التاريخي يفتش عن نظام هذا الرقي فثبت عنده أنَّ لهذا النظام ثلاث حلقات متسلسلة . فالحلقة الاولى عهد الدين والحلقة الثانية عهد ما وراء الطبيعة والحلقة الثالثة عهد الفلسفة الوضعية

ثم استنتج كونت من هذا النظام اصلين اولهما : ان الانسان لا حياة لهُ بنفسه فهو للجماعة ومنها وما الجماعة الاَّ «الموجود الاكبر» . وثانيهما: ان الانسانية ترقى بتتابع المراتب بمقتضى علاقة سببية فيما بينها خالية من غاية فوق العقل

سبنسر (٢)

لا اثر للفكر في تكوين الجماعات فشأنها شأن الاحياء اذ تتطور بحسب خطة مرسومة من قبل وها هي تحولت من البسيط الى المركّب ومن المتجانس الى غير المتجانس ومن غير المحدود الى المحدود

ثم ان الناس كانوا في بادئ الامر تبّاع غرائز لا عقول ، فلم يقع في امكانهم ان يوفقوا عمداً بين نزعاتهم وبين شرائط الحياة . والحرب التي مهّدت هذا التوفيق ثم مكّنتهُ

(١) Comte, — Cours de Philosophie Positive
(٢) Spencer — Sociology

بالوراثة . والذي بعث الحرب بين الرجل الأولي الى الغنيمة وسروره بالظفر. وما لبث ان صيّرت العاطفة الدينية اتقاء الاحياء اتقاء اموات

وقد انقضى شأن الحرب عند ما برزت الصناعة . فانصرفت الجماعات من حال حربي الى حال صناعي ولكنها لم تزل حربية فعلاً والبرهان على ذلك ما نشاهد اليوم

وأما المبدأ الذي يستند اليه سبنسر لاجل تنظيم مذهبه فاقامة فكرة الجماعة على التعاون. ففي الجماعات الحربية تعاون اندفاعي وفي الجماعات الصناعية تعاون يرمي الى غاية مقدّرة . ثم ان امر التعاون والمحاولة في تمكينه راجعان في عرف سبنسر الى سعي الانسان وراء السعادة

ريشار[1]

إن ريشار ينقد سبنسر فيقول ان الجماعات الاولية غير حربية . فهذه مصر قبل ملوك الرعاة وهذه الصين واليابان لم يكن الدين فيها اعظم شأناً من الحرب ؟ واما استنباط الدين من الحرب اي الانتقال من اتقاء الاحياء الى اتقاء الاموات فامر مرتاب فيه

ومن نقد ريشار أن الحرب نتيجة لا علة وانها مظهر جماعي[2] لا فردي

على أن ريشار لا ينكر الرقي فان الانسانية عنده تنصرف عن الغريزة الى الفكرة ثم تبتدع حاجات تناقض شرائط الحياة فيحدث التناقض ثورات وفي الثورات تقدّم . ولكن هذا الرقي غير مطرد فربما جمد بل تأخر واسباب التأخر اسباب الرقي نفسها ومنها عامل البيئة والمحن التعاوني والتبادل والجنس والزمان والمكان .... ألم يبحثا (كارل ماركس) بلوس المدنية الحديثة شيوعية القبائل المتوحشة ؟ ومن السهل ان نلتمس هذا التأخر في القانون العام والقانون الدستوري وقانون العقوبات . واليك مثلاً ان للاسرة الانجليزية الحديثة بعض الشبه بالاسرة الابوية في عهد الرومان غير انها لما انتقلت الى اميركا وجعلت تسترق وتضم الرقاب انهاضم الاقارب اصبحت صورة صادقة للاسرة الابوية الرومانية

ومن الرقي ما يجب التأخر من ناحية اخرى . ومثل هذا مثل التخصص في البيولوجيا[3] : أفلا تنظر الى التقدم الصناعي وما يجرّ من اضطراب في الاخلاق لتعلق الناس بالمادة ولانصرافهم عن الدين وخروجهم على التقاليد ولاستعدادهم للجنون ، او من

---

(١) Richard — l'idée d'évolution dans la nature et dans l'histoire.
ريشار استاذ علم الجماعة في جامعة ذات شأن من جامعات فرنسا وله مذهب غير مذهب المدرسة الفرنسوية التي تعتني اعتناء «دوركيم» وتحصر بحثها من دون ان تخرج عنها الخروج البسيط

(٢) جماعي بفتح الجيم نسبة الى الجماعة Sociologique

(٣) راجع مقتطف شهر مارس الماضي صفحة ٢٤١—٢٤٧

اضطراب في الهيئة الاجتماعية من جراء ازمة وبطالة عمال واهمال الزراعة وتكاثر عدد الحضر واستخدام الاطفال والنساء

دركيم (١)

بدأ دركيم بنقد كونت وسبنسر من حيث المنهج العلمي فأخذ عليهما جميعاً موقفهما الذاتي لأنّ شؤون الجماعة في نظرهم «اشياء» اي امور تعرض للفيلسوف فيراها بعين مجردة ثم يمتع أن يتساءل عنها فهي التي تنبؤه عن نفسها

فلقد اخطأ كونت حينما ظنّ ان الانسانية اصلها شجرة واحدة ثم تفرعت . ولقد اخطأ سبنسر حينما جعل الجماعة قائمة على التعاون لأنها لبنا اليها ما حدثتهما به نفوسهما اذ تصورا الانسانية تصوّراً وتخيّلا طريقاً لها مرسوماً ثم ارادا ان يطبّقا ما وُفقا اليه على مظاهر الحياة طوال التاريخ ليثبتا اقوالهما ويصبغاها بصبغة علمية . ولكنهما اغتصبا التاريخ في الواقع . فهذا كونت سلسل المراتب بعضها من بعض وهو لا يدري ان الزمان غير مطّرد فربما هيأت حال حالاً من دون ان تستوجبها لأن الانسانية تجمع جماعات متباينة لا صلة لبعضها ببعض في الغالب فهي كشجرة تنمو اغصانها في اشكال شتى وتنحي مناحي مختلفة . . . وهذا سبنسر جعل قوام الجماعة التعاون الاجباري حيناً والاختياري حيناً آخر . ولكن الامر مختلق يتعذر علينا ان نحققه بمجرد البحث النفساني بل الامر مخالف للاسلوب العلمي لأنهُ لم يُستنتج من درس ضمّ الجماعات كلها وعارض بعضها ببعض واطمأن نهائيًّا الى ان التعاون قوام الجماعة . فتحديد الجماعة بمثل هذا انما تحديد صادر من بين دفتي عقل سبنسر ليس الا

ولقد اخطأ الرجلان في علل الارتقاء من بعد ما اخطآ في مظاهره بل خلطا العلل بالغايات حيث ذهبا الى سعي الانسان وراء السعادة او وراء تحسين حاله . بيد ان العلم لا يفسر مظهراً من المظاهر بالغاية التي يرمي اليها وانما بالباعث الذي يدفعهُ فان منفعة الامر غير وجوده والوقوف على المنفعة غير التنقيب عن اصل الأمر . ثم ان حاجتنا الى المصل لا تشرح لنا من اين جاء المصل وكيف تطور وهذه القاعدة من قواعد البيولوجيا ونصها ان العضو منفصل عن الغاية

ولكن دركيم نفسه لم يقف عند هذا الحد فانه اعترف في بعض مصنفاته ان العالم خرج من الحيوانية الى الانسانية ومن دائرة الحركة الى دائرة التفكير وان ميزة العصور

(1) Durkheim — Division du travail social. Regles de la methode sociologique.
اما دركيم فيلسوف فرنسوي ولد في الفوج سنة ١٨٥٨ ودرس في دار المعلمين العليا على بوتزو وسنة ١٨٨٧ تولى منصب استاذ علم الجماعة في بوردو ولبث فيها خمس سنوات ثم نقل الى جامعة باريس

الاولية تعاون قائم على تشابه بين الأفراد (solidarité Mécanique) حالة ان ميزة العصور الحديثة تعاون قائم على تباين بين الافراد (solidarité organique). ولكنه لم يعترف قط ان الرقي هو المدنية او التفكير او تباين بين الأفراد بل عرض ما وفق اليه في بحثه وفي ذلك تأييد لمذهبه الذي بسطه لك وهو الفحص عن ظواهر الحياة من دون استعداد رأي ثم عرضها من دون تعليق عليها الا اذا ثبت البحث من جميع النواحي فبلغ بالباحث الى نتيجة لا سبيل عنها ولا ريب فيها

ومن الغريب ان منهج دركيم مستمد من فلسفة كونت. فلكونت الفضل في اثبات علم الجماعة وابرازه علماً وضعيًا مرتبطاً بالتاريخ ارتباطاً وثيقاً. ثم انه صرح قبل دركيم ان الشؤون الجماعية « اشياء » ليس للفيلسوف ان يؤولها بل عليه ان يتناولها على علاتها ولكنه بعد اذ فرغ من وضع هذا المنهج شرع في تطبيقه على بحثه فخالف منهجه بحثه اذ جعل موضوعه افكاراً لا ظواهر

***

وختاماً هل يصح لنا ان نطمئن الى الارتقاء وان نقول مع سبنسر انه مطرد وأن له درجات وعلامات ؟

على أن سبنسر في ما رأيت قد اعتمد على مذهب دارون. ذلك ان الاحياء تمضي من حال (ا) حتى حال (ي) مضيًا محتوماً لا تكب فيه، ان تنازع الاحياء تطوّر بها تطوراً عظيماً وحملها على التوفيق بين بيئاتها وبيئاتها. الا عدداً من علماء البيولوجيا يعدون عن هذا المذهب ولا يرتاحون الا الى بعضه اذ التطور في عرفهم غير مطرد، تارة قدماً وتارة خلفاً

وصحيح القول ان الرقي مع وجوده مجهول الظواهر والاعراض صعب التحديد. فمن ذا الذي يستطيع ان يقول ان مذهب الشيوعية ولما تتم ظواهره تأخر ومن ذا الذي يستطيع ان يقول ان التربية المشتركة بين الصبيان والفتيات ولما تتم تقدم ذلك لان مرجع كل هذا الرأي الذاتي والرأي الذاتي بعيد عن العلم. على انك ترى بعد مذهب دركيم وقفة علم الجماعة الحديث اذ يأبى الا ان يستنطق ظواهر الحياة من بعد ان ينطلق في البحث عنها ويتثبت من نواحيها ويعارض بعضها ببعض زماناً ومكاناً وشأنه في ذلك شأن العلوم الطبيعية ومن اجل ذلك علا قدره

القاهرة الدوار فارس
عامل ليسانس الآداب بباريس

حول عرب شعبي كبير

الزعيم الزنجي بوكر وشجونه

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي

٦

للحرية حسناتها ومباهجها. ومهما قالوا في كبواتها وعثراتها فانها النسيم المقيم والمتقف الأمين والساعد اليمين . الحرية اذا قُدِّست على حقيقتها واستظلّ الناس بظلها الوريف فانها تخلق منهم الخلق الهانيء السعيد فلا حروب ولا خصام ، ولا سخيمة ولا صدام

لقد اعلن التحرير للسود . وقد ترك السود كل شيء مما يذكرهم بماضيهم . . . حتى المزارع التي كانوا يعملون بها . . . . حتى الاسماء التي كان يدعون بها . . . وخلعوا اهاب الرق وجلباب العبودية واستنشقوا الهواء الطلق وتركوا الثمان لكل ما يشتهون . . . . ثم عادوا ادراجهم الى مزارعهم وهم اكثر نشاطاً واوقد جذوة واشد حمية . بل ان خدمتهم الماضية لسادتهم البيض جعلتهم اقدر واكفأ . . وتركت البيض اقل جلداً واضأل مواظبة

بل ان العمل له فيه نهو يصقل النفوس كما يصقل الايدي . والناجح في الحياة هو بلا ريب العامل فيها الدءوب على الاضطلاع بتكاليفها الصبور على مكارهها الممعن مضيًّا في احتمال اعبائها

ولقد بُدىء الآن في المناقشة في ضرورة تعليم السود وفكر الجنرال ارمسترنغ وغيره في فتح معاهد لتعليم السود . . . واخذ هؤلاء السود يفدون على تلك المدارس وكلهم عطاش الى نميرها وكلهم حنين الى ورودها . . . حتى الشيوخ وهم في العقد الخامس من سني حياتهم يريدون قراءة الكتاب المقدس ليقابلوا القسعداء وليرقدوا في لحودهم سعداء

فاذا كان نصيب « بوكر » من تلك الحركة التعليمية وليدة الحركة التحريرية ؟

٧

حية محضة صمت بأثرها السيء نفسية طفلنا الوثابة وروحه النهمة بالعلم والتعليم . تلك الحية هي موقف زوج والدته منهُ . لقد فتحت مدرسة في « كناوها » وكان صبيّنا يشتغل حينذاك في « الملاحة » ويظهر ان الزوج تبين من عمل بوكر في منجم الملح في عدة الشهور التي اشتغل فيها به انهُ مصدر نفع يدر عليه صابة من المال هي بثابة أخلاف رزق لديه . . .

يقول بوكر : « لما فتحت تلك المدرسة ابوابها قرر الزوج انهُ لا يستطيع التخلي عني

وكان قراره سحب غيوم تراكمت على كل آمالي ومطامحي. وشدَّ ما عانيت من جراء قراره لان مكان عملي كان على طريق المدرسة حيث كنت اشاهد التلاميذ يروحون ويغدون اليها

وزادتني تلك الحية تصميماً على ان اتعلم شيئاً على اي وجه وبأية طريقة . فاقبلت برغبة شديدة على امتلاك ناصية كتاب التهجية ولقد واستني والدتي في خيبتي تلك وبحثت بكل ما في مقدورها على ما يبهجني وعملت جهدها على ايجاد وسيلة لتعليمي ووقفت بعد برهة من الزمن في اعداد المعدات لتحصيل دروس ليلية بعد قيامي بساعات العمل نهاراً . وكنت شديد الترحيب بتلك الدروس الليلية واقبلت عليها اتما اقبال وحصلت في خلالها اكثر مما يحصل التلاميذ في ساع نهارهم ؛ ولقد كان لي من تجاربي فيها ان آمنت بجزيل جدواها وعميم نفعها وعملت فيما بعد على تعميمها في هامبتون وتسكيجي

« على ان قلب الصبي كان نزاعاً الى ضرورة الذهاب الى المدرسة النهارية ولذلك لم اترك فرصة تمرُّ دون اقتناصها الى ان فزت اخيراً بطلبي وسمح لي بالذهاب الى المدرسة نهاراً بضعة شهور على شريطة ان استيقظ مبكراً واشتغل في الملاحة حتى الساعة التاسعة صباحاً ثم اعود مباشرة اليها بعد الظهر واقتضاء العمل المدرسي لأشتغل فيها ساعتين أخريين ..... »

من جميل ذكريات بوكر في هذا الصدد ما كان يلقاه من صعوبة في الوصول الى المدرسة في التاسعة تماماً وهي بعيدة عن مكان عمله الذي حتم عليه البقاء فيه الى التاسعة فماكان يصل ؟ لقد كان في مقر عمله ساعة حائطٍ وكان زملاؤه العمال جميعاً يعتمدون عليها في ضبط ساعاتهم وفي امور عملهم . وكان بوكر مضطرًّا للحاق بموعد مدرسته وهو مضطر ايضاً للبقاء في العمل حتى التاسعة وكان ميله الطبيعي للدرس وتحصيل الدرس والمواظبة على حضور الدرس شديداً وقويًّا . ففتقت له الحيلة ان يقدم عقرب الساعة دقائق معدودة تمكنه من الوصول في الموعد المضبوط الى فناء المدرسة . وأخيراً لاحظ العمال احتلال الساعة واكتشفوا فعلته وقفل باب الساعة باحكام ! !

٨

كان ذلك . وكان ايضاً اتصاله بخدمة سيدة طيبة القلب ولكنها شديدة المراقبة دقيقة العناية بالنظافة والنظام وهي زوجة الجنرال لويز زوفير . لاحظت ميله الى التعليم وتزوعه الى التحصيل فعمدت على مساعدته في لحظات فراغه على فهم ما استغلق عليه . ثم كان افتتاح مدرسة همبتون التي افتتحها الجنرال اوستروغ وكانت تبيح للسود العمل لاكتساب نفقات تعليمهم . وهي بعيدة عن قريته بعداً شاسعاً . اذ كانت تبعد عن مالدن خمسمائة ميل. ولكن النفوس العظيمة تستسهل الصعاب من الامور ، والارادات القوية طلاعة لكل

تنايا متسلقة للربى والعقاب ... بل أن النفوس العظيمة لا ترعى الا في الواحات الخصبة المواتية في صحراوات الحياة المحرقة وهي لا ترضى الا بالكلأ الغني والثمر الجني والطعام الشهي !

اجل . لم يكن في حوزة فتانا نقود تعينه على قطع مرحلته . فلماذا لا يقطعها بارادته ولماذا لا يشتغل اثناء سفرته فاما ريع يمكنه من ركوب قاطرة السكة الحديدية واما امتطاء لعليه وركوب لقدميه ... وقام من توه ولحظه يقطع المهامه والقفار في البكور والاسحار ويشتغل في الليل والنهار الى ان وصل الى مدينة رتشمند وهو خالي الوفاض وقد ذاق الامرين ورأى الواحاً فوق حفرة الشارع العام وقد عبث الكرى بعاقد الاجفان فانتظر هنيهة حتى انقطعت السابلة ودفن نفسه في تلك الحفرة ليريح بالنوم جسمه اليقظان . وبحث عن عمل في يومه التالي ووفق الى سفينة تفرغ حمولها فواظب على العمل فيها نهاراً والنوم في الحفرة ليلاً الى ان وفر بارادته وعمله واكبابه ومواظبته ما مكنه من السفر الى هنتون بالسكة الحديدية طبعاً . . . . والى ماهو اكثر من ذلك الى توفير نصف ريال فوق ما يريد

٩

جميل جداً ان نقرأ اعترافات بوكر عن اثر دفة مسز روفنر من نفسه ، ومبلغ عطف والدته عليه ، ومقدار تلهفه على التعلم ، وشدة رغبته في ان يكون كاولاد البيض لباساً وهنداماً ، وعلماً وعرفاناً ، وشغفه بأن يلبس ربطة مثلهم . . . وجميل ان نقرأ احتذاءه « القبقاب » وارتداءه ما يشبه القاط . . . . وجميل ان نقرأ ما خطه عن عوزه وفاقته . . . . ولكن اجمل من ذلك كله ان نؤمن بان نجاحه كان بسبب ارادته !

لقد وصل الى هنتون بادي الفاقة زري الحالة فكلفه اساتذة المدرسة تنظيف حجرة الدراسة فسرعان ما اخذها وكنسها مرة وثانية وثالثة ورابعة . . . . . .

أجل لقد كنس الغرفة أربع مرات فرأوا من هذا المخلوق العجيب عملاً عجباً عطف القلوب الجوامد عليه فاكبروه مع زراية هندامه وقبّلوه مع حقارة شأنه

بل ان نفس هذا التصميم في اتقان كل ما يكلف اداؤه ، وتلك العناية الطبيعية المتفرسة فيما بين جنبيه لها السر في قبول مسز روفنر له دون غيره ، وفي بقائه في خدمتها مع صرامتها دون سواه ، وهي المعروفة بتغيير الخدم بين حين وحين

وربما كان نفس هذا التصميم في اتقان كل ما يكلف اداؤه مما صغر او عظم ، قلّ او جل هو السر الوحيد في نجاحه في مهنته في الحياة وفي فوزه في رسالته للانسانية عامة وبني جنسه خاصة

انظر ما يقوله بوكر في هذا الصدد بالحرف الواحد : لقد مسحت حجرة الالقاء ثلاث مرات . ثم امسكت بريشة التنظيف ومررت عليها اربعاً

« اجل لقد مسحت الخشب الذي حول الحائط ، وكل مكتب ومنضدة وقطر وكل قطعة من الرياش والاثاث ونقلتها من مكانها الاصلي ونظفتها كما نظفت كل ركن من اركان الحجرة تنظيفاً تاماً . وكنتُ اشعر بان مستقبلي يتوقف على الاثر الذي سأتركه من نفوس اساتذتي في تنظيفي للحجرة . وعند ما انتهيت من مهمتي ابلغت ذلك للمديرة وهي سيدة من « بنكا » تعرف اين تنظر الى موضع الغبار . فلما ابلغتها دخلت الحجرة وفحصت ارضها واثاثها وامسكت بمنديلها ومسحت به الخشب في الحائط والمكتب والمقاعد . ولما عجزت عن العثور على اثر من الغبار لا على ارض الغرفة ولا على اثاثها قالت في سكون « اظن انهُ في الامكان دخولك للمعهد ... »

« ولقد كنتُ ساعتئذٍ اسعد مخلوقات الله على وجه البسيطة . لان نيل تلك الحجرة كان بمثابة امتحان لقبولي بالجامعة . واني اعتقد انهُ ما من شاب دخل امتحان القبول في الالتحاق بجامعة هارفرد او ييل واحس بسرور اكيد كالذي احسست به

« لقد مررت في امتحانات كثيرة بعدئذ ولكنني كنت اشعر دائما ان ذاك الامتحان كان أدقّ امتحان مررت فيه . . . . . اه

ثم انتقل تلميذنا الكبير في اعترافاته الى بيان نوع حياته في هبتون . وكيفية صداقته لمس ماري ماكي الناظرة وتقديره لخدمات الجنرال ارمسترنج صاحب ذاك المشروع وبيان اوجه كدحه واجتهاده في العمل ليتسنى له اتمام الدراسة . وعطف اخيه عليه . ووفاة والدته الرؤوم مما تجده مفصلاً في تاريخ حياته الذي كتبه بنفسه بعنوان « من العبودية » مما لا يخرج عما اقتبسناه لك في تلك اللمحة الموجزة

والذي يهمنا توجيه النظر اليه بلغ حرص الرجل العظيم على اتقان كل عمل يعهد اليه به مهما كان نوعه ومهما كانت طبيعته . ليس يهام ولا كبير خطر ان تكون كاتباً او واعظاً . قائداً او طبيباً . خادماً او زارعاً . صانعاً او عاملاً — مهما كانت طبيعة اعمالك — وانما المهام ان تؤديها على اكمل الوجوه وان تخلص في القيام بها . المهام ان تشعر بمسئوليتك في اتقانها وتخريجها كما ينبغي وكما يجب . اذا فعلت ذلك وآمنت به في صميم نفسك فأنت الرجل العظيم حقّاً

لا عاب ولا نقيصة في نوع العمل وانما العاب والنقيصة في اداء ذلك النوع من العمل على وجه ناقص وبروح فاترة وهمة خامدة . كل شيء يتوقف على الكيفية لا على الشكل للعمل . في الاخلاص لا في المظهر . في الجوهر لا في القشور

ولعل هذه الصفة دون غيرها هي اساس بطولة العظماء لأن مصدرها الايمان بالرسالة . والايمان هو اس النجاح ورائد التبريز والتفاني في الاخلاص والمواظبة على العمل والمضي في سبيل تحقيق الغاية والاستهانة بكل صعب والصبر على المكاره واحتمال كل اذًى لاجل المبدأ او في سبيله

١٠

حياته الدراسية والعملية في عمقين كانت صحيفة مشرقة له ، وقدوة خليقة بالاكبار من كل طالب علم وعمل . فلقد استهان بشتى صنوف المتاعب من عوز وإضاقة ، وعسر وقاقة ، وتصر يد عن كل ما يقيم النفس ويكبي الجسد، وحيرة المعدم وعجز ذي المتربة...

صعوبة في كل شيء . في تحصيل القوت . وفي التمرين بالرث من الثياب . وفي اقتناء الكتاب والمراجع . وفي دفع اجور الدرس والاقامة . بيد ان هذه الصعوبة البالغة في حرجها وعسرها . وتعبها وعبئها . وجسكها وقتادها . وحلكها وظلامها — كانت البوتقة الحكيمة، والمثقفة الرشيدة، والمربية الـديدة. فقد خرجت منه الماجد الدءوب وكونت منهُ خيال الاحياء الصبور . وأضجت فيه الارادة النافذة المضاء الحادة الفرار . وامت لديه صفة الرجولية الجلدة المتينة بما يعتور سبيلها من كؤود العقبات

اجل لا يكون العظيم تدر ما يتراكم في طريقه من حبال الحيات وتلال الفشل ولا ينضجهُ الا ما يلاقي في سبيله من المرتفيات الوعرة المستعصاة ولا يتم لديه صفة الرجولية الجلدة الا ما يعانيه من المكاره والنقص ومن تباريح تكاليف الوجود وأوضاع الاجتماع وتقاليد الوسط وحطام الحياة

ألا ان في الشدة والعنف . في الفاقة والاعواز . في المتربة والضيق . في الدفع والجذب . في العدم والجدب — في هذا كله تفتق حيلة الانسان ويد الانسان من الظلام نوراً ومن الفاقة ثراء . ومن العدم عملاً . ومن الجدب خصباً . ومن العدم وجوداً . ومن السكون حركة . من الرمال جناناً ومن الاطفال رجالاً ومن الرجال ابطالاً !

لقد اضطر بوكر الى بيع بذلته الى رهن ساعته . في حياته الاولى . ولما أتم دراسته ونال من اسباب الثقافة والتهذيب ما ايقظ في نفسه الشعور بانهُ انسان . وانهُ خلق ليكون انساناً نافعاً احس بعبء عظيم ملقى على كاهله . . . . . ذلك ان يعمل ما في مقدوره ليجعل رفاقه السود مثله في الانسانية بدلاً من تركهم كتلاً مهملاً كبعض المقتنيات . او دونها قدراً وخطراً

١١

ما الذ لمة العمل . بل ما الذ لمة الشعور بالواجب ! الا ان لمة الشعور بأداء الواجب مصدرها راحة الضمير . والضمير اما أن يكون جثة هامدة لا حراك بها ولا حياة فيها ولا نبض ولا حرارة . . . كلا بل يكون وقتئذ مصدر رأمحة عفنة يتقزز منها الجميع . . . . وإما ان يكون جنة نعيم أو نار الجحيم . ولعمركم ليس افضل ولا انبل من سعادة الضمير أو عذابه . سيان طبعاً هناء الضمير أو عناؤه لانهما دليلان على الحياة . على النبض والحرارة . على الحساسية والشعور . على المحاسبة والاحتكاك واخيراً على الخلق والكرامة

والايمان والعدالة . على فهم ما يجب وما لا يجب ، وتعرف ما يليق وما لا يليق

ألا ان الامة التي يحس قادتها بما عليهم من واجبات وتبعات ويجعلون من حياتهم العملية مثلاً ناطقاً وقدوة محتذاة لهم وحدهم عنوان نهضتها ورمز حيويتها ومصدر سعادتها وموئل قوتها . ذلك لأن حياة الامم بالعمل قبل اي اعتبار . وبالعمل وحده تقاس الكفايات وتمتاز الشخصيات . ولشعب عرف بما عليه من واجبات وتبعات اقدر شأناً في معترك الحياة من شعب صارخ بما له من حقوق . لأن الكلام يضيع في ارجاء الهواء ، واما العمل فحركة وضوضاء ، وحياة ودماء . وتقدم وارتقاء

وقد كان « بوكر » مثلاً اعلى لتعرف الواجب ، وقدوة سامية للعمل المنتج — والحركة الدءوبة

لقد فتح مدرسة لتعليم ثلاثين طالباً من لا شيء . فتحها بأقل من ريال ورهن ساعتهُ وواصل معداته بمراحته . وساعد كل اسود وسوداء على التعلم في مدرسته او في هيتن . وعمل على اتاحة فرص النجاح والعمل لكل راغب من ابناء جلدته . ثم ماذا ؟

لقد وقف « بوكر » على سر النجاح من اول لحظة . لقد فهم الجوهر لا العرض . فهم ان المطلوب من العلم هو الاعداد الحقيقي لمعترك الحياة الحقيقي . فهم ان المدرسة يجب ان تكون صورة مصغرة من ميدان الحياة وانها يجب ان تخرج رجلاً للمزاحمة في مناكب الحياة باسلحة الحياة . فهم ان التعليم الظاهري لا يفيد بل يضر . فهم أن النظريات بحاجة الى العمليات فاذا فعل ؟

ان مدرستهُ بحاجة الى بنايات جديدة وعدد ومعدات . وادوات وجهازات . ومقاعد وحجرات . فلماذا لا يشترك التلاميذ في اعداد ذلك جميعه . بل لماذا لا يقوم التلاميذ بمختلف الصناعات سواء اكانت للمدرسة او لحاجات الاهلين ؟ لقد نفر بعض الآباء من خطته ولكن ارادته الحديدية نجحت في النهاية . وقد فشل في بناء قبة ضرب الطوب وغيرها اولا وثانياً ولكنهُ نجح اخيراً

لا امتهان في العمل . بل المجد كل المجد في العمل . وفي تاج العمل تقدم البشرية المطرد . وبقدر التضحية يكون الجزاء . لقد نام في العراء حينما كان طالباً وضاقت المدرسة بطلابها وقبل مع رفقته مكنى الحمام ارضاء لرغبة « ارمسترنج » في قبول عدد من السود يزيد عن مساحة المدرسة فلماذا لا يتقدم طلاب مدرسته بمثل نوع عمله

لذلك رأى ان يخلق على غراره هو وعلى خلقه هو وعلى مثاله ولشأنه من تلاميذه رجالاً متدربين بسلاح العمل وخلق التضحية مدربين على العمل والكفاح في الحياة بسلاح العمل

اجل لقد كلف بوكر وشجعان طلابه العديدين بكل انواع العمل . وافهمهم بطريقة عملية ان قذارة العمل تاج يشرف صاحبهُ . كلفهم ضرب الطوب ، وعمليات البناء . كلفهم مختلف انواع الصناعات والزراعات

لقد صمم « بوكر » على قرن العلم بالعمل . صمم على ان يتعلم الطالب النظريات من الكتب والعمليات من صناعات الوسط الذي يعيش فيه والذي سيعيش فيه . صمم على ان يخرج الطالب من معهده نافعاً لنفسه معتمداً على جهده مكتسباً رزقه من يديه ومن عقله ثم ثابر على ذلك الى ان تم على يديه انشاء مدرسة شاهقة البنايات والفروع للعلوم ومختلف الصناعات بها حوالي الاربعين معهداً وما يزيد عن الالف طالب وقد بنى طلبتها كنيسة لهم

١٢

وهل اكتفى « بوكر » بذلك ؟ . هل قنع باقادة الف طالب ؟

لقد رأى ان امته فيها ما لا يقل عن العشرة ملايين من ابناء جلدته . وهم قد خيم الجهل عليهم بجرانه . وهم في مثربة مودية وحالة مهلكة . ورأى انهم بحاجة الى رسل وهداة من خريجي مدرسته الذين اعتادوا العمل وقرنوا العلم بالعمل والذين انضجت التجاريب عقولهم والعمل ايديهم والذين تهذبت اخلاقهم ونبلت ميولهم . فبذل الجهد الجهيد في جمع المال لتلك الغاية . واسس المدارس الليلية والنهارية . وخرج رجالاً عاملين ونساء عاملات . وعلم الرجال الهندسة الزراعية والعلمية والعملية وشتى انواع الصناعات من مهمات البناء ومنتجات الزراعة كالحلين والحلوى وانواع الحدادات والخياطة والتصوير . كما علم النساء جميع ما تحتاج اليه المرأة في منزلها وحياتها الخاصة

من طريف تعليمه أن معملاً من معامل الزبدة والجبن اعلن عن حاجته الى عامل للزبدة فتقدم اليه شاب من السود من خريجي معاهد بوكر فرفض اصحاب المعمل استخدامه لأنه اسود وهم لا يشغلون الا البيض . فقال لهم الأسود اني جئت اليكم لا لتستخدموا لوني بل لتستفيدوا من عملي وتجربتي فسمحوا له بالمكث بينهم مدة اسبوعين على ان يحكموا بعدها

ثم عرضت زبدة المعمل من صناعة الاسود في السوق بعدئذ فتدرج ثمنها في الزيادة اسبوعاً بعد اسبوع . وزاد الاقبال عليها مما ادى الى استبقاء القوم بعاملهم الأسود الجديد

وهكذا استمرت معاهد بوكر على تخريج الاكفاء من رجالها السود ونسائها السود . وكان لاحتكاك هؤلاء وهؤلاء من ابناء جلدهم وبنات جلدتهم احسن الآثار في ترقية شعبهم علماً وعملاً

١٣

وكم كنت اود ان أخاطبكم عن بوكر الخطيب وبوكر السياسي وبوكر المؤلف وبوكر المربي وبوكر الزوج وبوكر الاب ولكنني اجتزىء لكم بما اسلفته من حياته العاملة وأملي ان يكثر بيننا هذا الصنف من الرجال وان يعم في ربوعنا هذا الضرب من التعليم . وأملي ان يجد شبابنا من ارادته الذخيرة الصالحة لآمالهم الصالحة

كيمياء النور البارد[1]

لقد توفرتُ على درس طبيعة النور الحيواني (الموصوف في مقالة الاحياء المنيرة) من وجهها الكيماوي . واذ اذكر هذا النور يادرني انتباهي بالسؤال التالي : هل هذا النور تألقٌ فصفوري او لا ؟ ومن السهل الجواب عن هذا السؤال بالنفي اذ ليس لهذا النور علاقة ما بعنصر الفصفور الذي لشدة سُميه لا يوجد في الخلايا الحية حرًّا . ولكن هذا النور من جهة اخرى يشابهُ كل المشابهة تألق الفصفور . فهو في المقام الاول ناتج عن الاكسدة (الاحتراق) فاذا ازلنا الاكسجين من الحيوان المنير او من جوهره زال النور ثم اذا اعدنا الاكسجين عاد النور . هذه تجربة علمية قديمة بل في الواقع هي من اولى التجربات العلمية التي جربها الطبيعي الانكليزي روبرت بويل في الاحياء المنيرة سنة ١٦٦٧ ذلك ان بويل كان حينئذٍ يمتحن مضختهُ الهوائية فوضع قطعة صغيرة من الخشب المتألق بالبكتيريا الحية تحت فم المضخة فوجد انهُ اذا شهق الهواء بمضختهِ من حول القطعة الخشبية زال تألقها واذا زفر الهواء بها عاد التألق . لكنهُ لم يعلم حينئذٍ ان عنصر الاكسجين في الهواء هو السبب في هذا المشهد الغريب . وعليهِ نستطيع ان نُرجع اكتشاف لزوم الاكسجين الطلق لانارة الاحياء المنيرة الى تجربة بويل هذه

والحقيقة الكيماوية الثانية المتعلقة بانارة الاحياء هي قديمة ايضاً كشف عنها سپلانزاني الايطالي سنة ١٧٩٤ وهي ان كل تألق من هذا القبيل لا بدَّ لهُ من الماء . فقد أثبت انه يستطيع ان يأخذ اي حيوان منير ويجففهُ بزيل كل نور منهُ . ولكنهُ اذا احتفظ بهذه المادة المجففة وبلّها بين الفينة والفينة وهي معرضة للاكسجين عاد اليها تألقها الذاهب . فثبت كذلك كما ثبت في تجربة بويل ان الماء من مقومات الانارة الحيوانية لا تتم من دونهِ

وهذه التجربة تدل ايضاً على ان الانارة ليست وظيفة من وظائف بعض الخلايا الحية كما تحسب الانقباض وظيفة من وظائف خلايا العضلات او كما تحسب نقل المؤثرات العصبية وظيفة الخلايا العصبية . فأنت اذا اخذت عضلة وجففتها لم تغير العناصر التي تتألف منها واذ عدتَ فبللتها ظهرت بمظهر العضلة الحية الا انها لا تنقبض اذا نكزتها . فالعضلة قد فقدت قوة الانقباض بالتجفيف . كذلك يفقد العصب قوة نقل المؤثرات العصبية اذا جففتهُ . ففي هذين النسيجين — خلايا العضلات وخلايا الاعصاب — تفقد الخلية القدرة

(١) للدكتور نيوتن هارفي استاذ الفسيولوجيا في جامعة برنستن

على القيام بوظيفتها اذا جففتها . ولكن هذا لا يقع للاحياء المنيرة . فانك اذا جففتها فقدت التألق الى حين ثم اذا بللتها عاد تألقها اليها . اما وقد ثبت انهُ لا بد من الاكسجين والماء لتألق الحيوانات المنيرة فلنرجع ان الحيوانات تولد مادة تتألق اذا اتحدت بالاكسجين في الماء وهذه المادة تدعى باسم عام هو «فوتوجن » وباسم خاص هو « لوسفرين »

والواقع ان هذه المادة مادتان الاولى المادة التي تنير اذا اتحدت بالاكسجين في الماء والثانية تسرع هذا الاتحاد اي انها تفعل فعل الكتاليسن . وهذه هي الحقيقة الكيماوية الثالثة عن انارة الاحياء كشف عنها ديبوى الفرنسوي سنة ١٨٨٧ اذ وجد انهُ اذا استخلص مادة منيرة من احد الحيوانات امكنهُ فصلها الى مادتين منيرتين. وقد دعيت الاولى « لوسفرين» وهي التي تنير والثانية « لوسفراز » وهي التي تساعد على الانارة . ويمكن فصل احداهما عن الاخرى لان الثانية تتلاشى بالاحماء واما الاولى فلا . كذلك يسهل حل المادتين بالماء وترسيبها بمرسبات مختلفة . ويمكن تنقيتها وتجربة التجارب الكيماوية بها . ولكن لا يعلم حتى الآن تركيبها الكيماوي مع ان اللوسفرين يتبع المواد البروتينية البسيطة التركيب بوجه عام واللوسفراز المواد الزلالية

هل نستطيع ان نولد نوراً على نسق هذا النور الحي في الحيوانات ؟ الجواب عن هذا السؤال مرهون بمقدرتنا على تركيب المواد البروتينية . وانا اعتقد ان ذلك مقدور لنا في المستقبل . فنحن نركب الآن الادهان والسكر وبعض انواع المواد البروتينية البسيطة التركيب فالمسألة مسألة متى نتقدم تقدماً كافياً حتى نستطيع ان نركب المواد البروتينية الاخرى التي منها اللوسفرين هذا

ثم هناك سؤال آخر يتبادر الى الذهن . ماذا يحدث للوسفرين اذ تأكسد . هل يتحول الى اكسيد الكربون الثاني كالمواد الغذائية التي تأكلها ؟ اذا تأكسد السكر والدهن تحولا الى ماء واكسيد الكربون الثاني . فهل يجري اللوسفرين مجراها ؟ ان مباحثي تدلني على ان تأكسد اللوسفرين ليس من هذا القبيل. فقد اثبتت التجارب ان الحيوانات المنيرة لا تولد اكسيد الكربون الثاني . وعندي ان ما يحدث هنا هو من قبيل اكسدة الهموغلوبين في الدم . فدارسو علم وظائف الاعضاء يعلمون ان في الدم مادة تدعى هموغلوبينا حمراء اللون تتحد بالاكسجين في اثناء نقله من الرئتين الى الاعضاء المختلفة . فانت اذا اخذت مقداراً من هذا الهموغلوبين وهززتهُ في الهواء اتحد بالاكسجين واصبحت المادة تعرف باكسي هموغلوبين . فاذا وضعنا هذه المادة تحت آلة وامتصصنا الهواء منها عادت هموغلوبيناً طبيعيًّا . فتأكسد اللوسفرين من هذا القبيل . اي اننا اذا اخذنا مقداراً من اللوسفرين وجعلناهُ يتحد بالاكسجين تكوَّنت لدينا مادة تختلف عن المادة الاساسية وقد دعوناها

« اكسي لوسفرين » . ثم اذا اخذنا هذه المادة الجديدة وعالجناها بالوسائل الصحيحة لازالة الاكسجين منها تمكنا من الحصول على مادة اللوسفرين الطبيعية التي بدأنا بها تجربتنا. والطرق الصناعية لتحويل « الاكسي لوسفرين » دقيقة ومعقدة. فالجاحب اذ تمص في الظلام تحول مادة اللوسفرين فيها الى مادة الاكسي لوسفرين . وفي الفترة بين اللمعة والاخرى تتحول مادة الاكسي لوسفرين الى اصلها وهكذا تكون الجاحب مستعدة للمعة التالية

ولا اقصد بذلك ان كل ما في الجاحب من اللوسفرين يتأكسد في لمعة واحدة ولكن جانباً منهُ يفعل ذلك وفي الفترة بين اللمعة والاخرى يتحول هذا القدر المتأكسد الى ما كان عليه قبلاً — اي الى لوسفرين طبيعي . اي ان هذا الفعل ذو وجهين وهو من الوجهة الكيماوية غريب كل الغرابة . فكان لدينا حيواناً لهُ مصباح يحترق فيهِ الزيت لينير فاذا انار عاد من تلقاء ذاتهِ فاستخرج الزيت الطبيعي من تائج الزيت المحروق ليستعملهُ من جديد وهكذا دواليك . وعليهِ فالجاحب من الوجهة الطبيعية والكيماوية حيوان مقتصد كل الاقتصاد . اللوسفرين فيهِ كالفيكس في الاساطير القديمة يخلق من رماده ليحيا حياة جديدة

ومن المستطاع صنع مصباح يتحول اللوسفرين في جانب منهُ الى اوكسي لوسفرين فينير ثم في جانب آخر منهُ يتحول الاكسي لوسفرين الى لوسفرين فيعاد استعمالهُ في الجانب الاول للاضاءة من جديد . ولا بدَّ ان يكون النور في هذا المصباح ضئيلاً . ولا بدَّ ان تعترض الصعابُ تطبيقَ هذا المبدأ العلمي تطبيقاً عمليًّا موفقاً ولكن المبدأ هناك وقد يصبح في المستقبل معتمداً في ابداع طرق جديدة للانارة

من المعلوم ان كل جسم اذا رُفعت حرارتهُ الى درجة معينة توهج وانبعث منهُ نورٌ. هذا هو النور الكهربائي المستعمل ويعرف بنور التوهج incandescence اما نور الحيوانات الذي وصفناهُ فيعرف بنور التألق luminescence وهو نور بارد . اما النور الاول فيكون احمر اذا كانت حرارة الجسم حوالي ٥٠٠ درجة بميزان سنتغراد فاذا زادت درجة الحرارة انبعث من الجسم نور اصفر فاذا بلغت درجة ٥٠٠٠ بميزان سنتغراد انبعث نور ابيض كنور الشمس والمبدأ في ذلك انهُ كلما ارتفعت حرارة الجسم زاد بهاؤهُ . وهذا هو المبدأ الذي يجري عليهِ الصنّاع في صنع المصابيح الكهربائية . ذلك ان السلك في المصباح الكهربائي يحمى بمقاومتهِ للتيار الكهربائي . فاذا بلغت درجة حموّهِ نحو الفي درجة بميزان سنتغراد انبعث منهُ النور الكهربائي المعروف . وليس في استطاعتنا ان نرفع درجة حرارتهِ اكثر من ذلك حتى تقارب درجة حرارة الشمس من غير ان يحل السلك بتطاير الذرات منهُ . ولسوء الحظ ان معظم قوة التيار الكهربائي المستعملة ينفق في احماء السلك فما ينبعث منهُ قوةً

٢ في المائة منهُ نور و٩٨ في المائة حرارة . أي اذا استعملنا تياراً كهربائيًّا ثمنهُ مائة مليم في انارة سلك أنفقنا ما قيمتهُ ٩٨ مليماً في احماء السلك وما قيمتهُ مليمان فقط من هذا التيار في الانارة . فالانارة بطريقة التوهج فيها اسراف عظيم . لانهُ اذا استنبطنا طريقة تمكننا من استعمال جانب اكبر من التيار الكهربائي للانارة بدلاً من انفاق معظمهِ في احماء السلك قبل الانارة وقرنا جانباً مما تنفقهُ على النور الكهربائي

والنسبة بين القوة المستعملة والنور الحاصل في السلك تعرف بنسبة الكفاءة الضوئية وهي في المصابيح الكهربائية المتوهجة معروفة لا تزيد على نصف في المائة . اي اننا اذا اخذنا افضل المصابيح التي من هذا القبيل سلكُها من معدن التنغستن وانبوبها المنتفخ مملوء بغاز النتروجين وقابلنا النور الذي يحصل فيها بالقوة اللازمة لاخراج هذا النور وجدنا انهُ نصف واحد في المائة . اي اننا نحرق مثلاً طنًّا من الفحم فيولد لنا حرقهُ قدراً معيناً من القوة الكهربائية . هذا القدر اذا أُستعمل للانارة لم يولد لنا الا نوراً يوازن نصف جزء من مائة جزء منهُ

فهل تفوق الاحياء المنيرة المصابيح المتوهجة في نسبة الكفاءة الضوئية فيها ؟ الموضوع من حيث القياس العلمي دقيق ومعقد كل التعقيد . فقياس النور في الحباحب متعذر لان نورها ومضة وتليها فترة من الظلام . لذلك يعمد الباحث الى البكتيريا المنيرة وهي كائنات مكرسكوبية لأن قياس النور في الواحد منها مستطاع ولكن بوسائل دقيقة تحتاج الى صبر ومثابرة . ولما كان طعام البكتيريا مصدر كل اشكال القوة التي تتولد فيها فيجب ان يعرف مقدار الطعام الذي تتناولهُ ثم يحوَّل ذلك الى وحدات حرارية . ولكن هذا الطعام لا يستعمل كلهُ في توليد النور بل يستعمل جانب كبير منهُ في اعمال الكائن الحيوية . فاذا حددنا مقدار الطعام — وما يقابله بالوحدات الحرارية في الثانية — الذي ينفقهُ البكتيريوم الواحد في توليد نوره — وهذا يقاس ايضاً بوحدات حرارية في الثانية — امكننا معرفة نسبة الكفاءة الضوئية فيه بالموازنة بين قيمة الطعام التي تنفق في الانارة وقيمة النور الحاصل . وذلك بتحويلهما الى وحدات حرارية . على ان القارىء يدرك مقدار التعب الذي يعانيه الباحث الذي يود ان يكون لنتائجه قيمة علمية في فصل هذه المسائل المعقدة التي يسهل تطرُّق الخطإ اليها

وقد قضى الاستاذ نيوتن هارفي عمرهُ في درسها سنين وخرج منها بنتيجة ملخصها ان نسبة الكفاءة الضوئية في الاحياء المنيرة تبلغ واحداً في المائة اي ضعف نسبة الكفاءة الضوئية في المصابيح الكهربائية المتوهجة . فما يقال عن نسبة الكفاءة الضوئية العالية في الحباحب لا يؤيدهُ البحث العلمي وانما يسوغ الانفاق على التوسع في البحث للكشف عن اسرارهِ

الشرع الدولي في الاسلام[1]

تساءل كثير من العلماء عن وجود شرائع دولية عند الاقدمين كاليونان والرومان والصين وتباينت الآراء في ذلك . غير اني وجدت مما لا مجال للشك فيه ان في العهد الطويل الذي خلا بين الحضارة القديمة والحضارة الحديثة اي بين القرن السابع والثالث عشر — ذلك العهد الذي سادت فيه الحضارة العربية والآراء الاسلامية — اسست قواعد ومذاهب في المعاملات الدولية يستطيع المؤرخ ان يجد فيها سوابق تاريخية جليلة يوازن بينها وبين ما وصل اليه المحدثون من الآراء والاوضاع

وما كنت اعرف بادي الرأي ما عسى ان يقع لي من الوثائق وماذا أجده من المظان والمراجع ، وحسبت اني لا اعثر الا على القرر اليسير الذي لا يطفيء غلة الباحث الحريص ، فما كدت استثير دفائن التاريخ وارد ينابيع الفقه حتى وجدت فوق ما كنت اؤمل واكثر مما كنت اتوقع . واذا كان كثير من مؤرخي الشرائع الدولية قد اغفلوا هذه المرحلة العظمى فانهم قد اغفلوا بذلك اعظم المراحل التي قطعها الشرع الدولي قبل المرحلة الحديثة

نعم ان الشرع الدولي من اوضاع المحدثين . ولم يتقرر حقيقة الا منذ معاهدة (وستفاليا) لما اصبحت الصلات الدولية قائمة على قواعد محكمة ، ولكنه كسائر ما تنتجه عقول البشر ، ثمرة المساعي المشتركة التي تقوم بها جميع الشعوب وتتعاقب عليها الاجيال . ويمكن ان توجد جماعتان حتى تتشابك بينهما المصالح ، وتضطرهما الى التعامل والتعاقد ، وتقرير قواعد الحرب والسلم ، فلذلك ترى الاوضاع الدولية على رغم ما فيها من ضعف ظاهر ، قليلة التحول كثيرة التشابه ، ولا بد لكل جماعة ذات كيان ان تحرص على توثيق عرى الصلات بمجاوريها وان تحافظ بقدر ما تستطيع في صلاتها على المبادىء الشريفة والقواعد العادلة ، التي يحترمها في الغالب اهل العصر ، ويوحي بها الوجدان والعقل

ثم ان الامم والشعوب تتوارث الآراء والمذاهب ، وميراث العلوم عام مشترك بين الجميع . والتشابه عظيم بين القواعد التي اخرجت للناس ، ولكن ينبغي ان ينظر المرء حينما يقايس بين آراء المتقدمين وآراء المتأخرين الى الفرق بين هذا الزمان وبين تلك الازمان ، فقد تغيرت الامم ، وتبدلت قواعد الدول ، واصبح الانسان اليوم غيره بالامس ، ولم تبق

(١) وعدنا القراء في مقتطف فبراير ان نوافيهم بملخص كتاب الدكتور الارمنازي : « الشرع الدولي في الاسلام » الذي نال به رتبة دكتور في الحقوق من باريس وامتيازاً للوعد ننشر الآن المقالة الاولى . ويسرنا أن نقول أن الدكتور الارمنازي قد أنجز وضع كتابه بالعربية وسيقدمه للطبع قريباً

شؤون الرجال على ما كانت عليه من قبل وبدلت حالاً بعد حال

والمقصود بالشرع الدولي في هذه الايام مجموع القواعد التي تبيّن حقوق الدول وواجباتها المختلفة في علاقاتها المتبادلة . ولكنهُ في المعنى الذي نقصدهُ مجموع القواعد التي يتعين على المسلمين التمسك بها في معاملة غير المسلمين محاربين او مسالمين ، سواء كانوا اشخاصاً ام كانوا دولاً ، وفي دار الاسلام او في خارجها . ويدخل في جملة هذه القواعد احوال المرتدين والبغاة وقطاع الطريق . وقد سميت في كتب الفقه بالسير جمع سيرة لانها طريقة معاملة المسلمين لغيرهم . فلا نكون مغالين اذا قلنا ان الأئمة عنوا منذ البدء في وضع اسس لما نسميه بالشرع الدولي ، وان كانت هذه الاسس تخص شريعة الحرب في اكثرها

وقد وجد الاسلام منذ نشأته الاولى أعداء مناضلين فحارب من حاربهُ وسالم من سالمهُ ، ووضع الحدود والقواعد لحربه وسلمه وما يعرض لهُ فيهما من المسائل الكثيرة التي تتعلق بالمحاربين والمسالمين واشباه ذلك مما احله الفقه الاسلامي اسنى مكان . حتى انهُ يمكن ان يقال انهُ عني بما تقدم من القواعد واتسع لها صدره اكثر من احكام العقوبات وسياسة الدولة ، لانها نشأت مع الاسلام ونمت بنموه وسايرت الحروب المستمرة والفتوحات العظيمة

وقد قرر كثير من المؤلفين مثل هولتزندورف وريني ، انهُ يوجد في الفقه الاسلامي جميع القواعد الجوهرية التي تتعلق بشريعة الحرب ، ولم تقتصر على الفتح والغنيمة بل تجاوزتها الى فرض الضرائب وذكر المواد المحرمة على التجارة ونظائرها ، مما لا يختلف الا احمد عما يستعمل في يوم الناس هذا . واشار (نيس) الى ما في تاريخ الامم الشرقية — يعني الروم والعرب — بين القرن السابع والقرن الثالث عشر من اعمال واوضاع تتعلق بما يسمى في ايامنا بالشرع الدولي . نعم انهُ لا يوجد شيء ثابت ، وليس ثم نظام معين ، وان هناك مظاهر غير متسقة ولا مستقرة ، ولكنها مع ذلك جديرة بان تقف عليها الانظار بكل تدبر وامعان

وجميع كتب الفقه الاسلامي ، على اختلاف المذاهب ، تفصل على قدرها مواضيع الصلات بين المسلمين وغير المسلمين في باب الجهاد والسير كما ذكرنا . وقد يكون احسن ما الف في هذا الباب كتاب السير الكبير للامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابي حنيفة ، وشرحه شمس الأئمة السرخسي مؤلف المبسوط واملاه في السجن على تلاميذه ، وهو كتاب غزير المادة ، جم الفوائد ، قد استوعب اصول هذا العلم واستقصى غرائب مسائله ، ولم يقتصر فيه على مذهب اليه اعلام المذهب الحنفي بل اورد كثيراً من مذاهب الآخرين وناقش اصحابها في حججهم . وطريق محمد في الترجيح في هذا الكتاب ، هو انهُ نظر فيما اختلف فيه اهل العراق واهل الشام واهل الحجاز فرجح ما اتفق عليه فريقان فأخذ به ، دون ما تفرد به فريق واحد

والف الامام ابو يوسف كتاب الخراج لهرون الرشيد ، وهو يصح ان يكون كتاباً في التشريع المالي ، وقد عالج فيه كثيراً من مسائل الحرب والسلم ، لان الحرب من اعظم المصادر التي تمدّ بيت المال . ووالف في الموضوع نفسه قدامة بن جعفر ويحيى بن آدم

ومن المؤلفات الفريدة كتاب الاحكام السلطانية للقاضي ابي الحسن الماوردي ، الذي كتب في الغالب على مذهب الامام الشافعي وجمع كثيراً من الامور التي تتعلق بالشرائع العامة للدولة ومن جملة ذلك شريعة الحرب وقد فصلها في امارة الجهاد وفي مطالب الخراج والجزية والغنائم ، ورجع الى هذا الكتاب النفيس اكثر من واحد وعدوه مؤلفاً على غير مثال . وقد وضع القاضي ابو يعلى كتاباً سماه الاحكام السلطانية وعالج فيه نفس المواضيع ولكن على مذهب الحنابلة . ومنهُ نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق رديئة الخط غير كاملة . وفي هذه المكتبة وجدت كذلك من كتاب السير الكبير الذي وضعه الامام محمد ، وهي كثيرة التحريف وان كان خطها جيلاً مؤنقاً وقد قيل لي ان الكتاب مطبوع في الهند ، ولم اطلع له على نسخة مطبوعة

* * *

والشرع الدولي فيما نريد ان نقرره جزء من الفقه الاسلامي الذي لا يفرق بين الشرع الخاص والشرع العام ولا بين الشرع الداخلي والشرع الدولي . وهو كذلك شرع مكتوب لا يستثني العرف والعادة وشرع داخلي يتحتم تطبيقه في العلاقات الدولية . وكما ان حكمهُ يجري على الدول فكذلك يجري على الافراد مباشرة وبدون مباشرة اي بكونهم من متعلقات دولة ما . وللافراد حقوقهم وواجباتهم كمقاتلين ومعاقدين ومستأمنين وغير ذلك . والمرأة الغريبة مثلاً اذا دخلت بلاد الاسلام اتاحت جملة من مسائل تدرس فيه شؤونها الشرعية بعناية وتدقيق.

فما الاساس الذي بني عليه الشرع عند المسلمين ؟

انا نجد انفسنا قبل كل شيء امام شرع مصدره وحي الهي ، ولكن هذه الفكرة المستندة الى العقيدة والايمان لا تكفي لتعريفنا تماماً بالاوضاع الشرعية الاسلامية ويرى المستشرق الكبير الكونت استوروغ ، ان الفقه الاسلامي بقيامه على اساس الوحي ، وتفرعه من علوم الدين ، ووقوفه عند ما حدده اصحاب المذاهب الاربعة التي لا يصيبها التغيير والتبديل ، يشابه اكثر شيء بين الشرائع ، شريعة الكنيسة او الشرع القانوني .[1] ولا يخلو ما قال هذا المستشرق من مبالغة في شأن المذاهب الاربعة خصوصاً في نظر الاصلاحيين من المسلمين . وعلى كل حال فان الفقه الاسلامي مزيج مؤلف من شرع ودين يمتان بسبب واحد فالفقهاء من علماء الدين وعلماء الدين من الفقهاء

(١) Le droit du Califat

وصدور الفقه عن وحي الهي يجعله ثابتاً لا يتغير ، ولكن اي شيء في الدنيا لا يتغير ، والمسلمون مأمورون باتباع اوامره والانتهاء عن نواهيه ، وما لاحد منهم ان يتبع في مذهبه خياله ورأيه وادبه وفلسفته ، فهنالك حدود لا يجوز له ان يتعداها . على ان الفقه واسع النطاق ، كثير التفريع للمسائل ، يجمع بين العبادات والمعاملات والعقوبات واقامة الحدود وسياسة الحرب وتدبير السلم وسائر صنوف الشريعة وطرائق الحياة السياسية والاجتماعية . فالوحي اذن من الوجهتين العملية والنظرية لم يكن وحده مصدر القواعد الشرعية كلها . وقد اكتفى المسلمون في اول امرهم بما كان يأتيهم به القرآن من الاحكام وما كان يحدثهم به الرسول وبين لهم فيما يعرض من الامور والحوادث ، فلما امتدت الفتوحات وطرأت على المسلمين حاجات جديدة واحتكوا بحضارات راقية وعقائد مختلفة لم يجدوا بدًّا من وضع قواعد الفقه الذي يطابق معنى الحكمة عند الرومانيين ، وهو كما حدده هؤلاء ، ولكن بمعنى اضيق ، معرفة الشرائع الالهية والبشرية وتعيين حدودها . وقد استعان المسلمون بالاجماع وبالقياس الذي تفرع عن الرأي لسد حاجاتهم الجديدة ولجأوا في اكثر ما يحتاجون اليه الى الاساس العام لجميع الشرائع القديمة : اساس العرف والعادة . ليست القاعدة الاسلامية الكبرى هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ وهل الامر بالمعروف الا التمسك بما تعارف عليه الناس . والنهي عن المنكر الا هجر ما انكروه او جهلوه ؟ واذا وجدنا في الاسلام قواعد مماثلة لما كان عند الرومان والعبرانيين وسائر الشعوب التي تقادم عليها العهد ، اليس ذلك لان هذه القواعد كانت شرائع متبعة في البلاد التي نشأ بها الاسلام ، ولم يشأ ان يقضي عليها لأن المجتمع كان يستفيد منها ؟ فاذن نستطيع ان نحكم حكماً لم يذكر بوضوح كاف وهو ان الاسلام لم يعق سير حضارة الشعوب ولم يعترض سبيلها ، بل اجل ميراث الامم التي سبقته في ديوان العالم . وكان حلقة اتصال كبرى في سلسلة الاوضاع القديمة والاوضاع الحديثة تلك السلسلة التي تمثل لنا جهود الانسانية الدائبة الدائبة في معارج التقدم والارتقاء ، وقد اكتفى الاسلام بحذف ما رآه ضارًّا وابقاء ما رآه نافعاً ، اما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض

ولكن خصيصة الشرع الاسلامي واذا شئت فقل تفوقه ، فقائم بما قرره من المؤاخاة العامة والتسوية بين افراد الامة . وهو لا يعرف حدوداً ولا يقف دون حائل ، يشمل الجميع ولا يميز بين احد ، وكل انسان مطلق الحرية في حدود الشرع ، محتوف بالحماية حيثما كان ، هو وأهله وماله . وهذا هو السبب الذي جعل الاسلام يمتد امتداده العظيم على تعادي الاجيال في آسيا وأفريقية وأوربا بين الملايين من الذين يعتقدون به . واذا

كانت هذه القواعد لا تزال حتى اليوم مصدراً لشرائع كثير من الشعوب التي اختلفت عناصرها ولغاتها وحضاراتها ، فذلك لان نظام الاسلام الادبي والخلقي لم يكن قاتلاً لصفاتهم وخصائصهم . على اننا لا ننكر ان الرجال الذين وكل اليهم تطبيق هذه المبادىء لم يكونوا اكفاء لها وجديرين بها ، فقد وجد الذين سوَّدوا صحائف التاريخ بسوء صنعهم الذي عم القريب والبعيد وأصاب العربي والاعجمي والمسلم وغير المسلم ، فلا ذنب على القواعد والمذاهب ولكن الذنب على الرجال انفسهم اذا ظلموا بتجاوزهم حدود الله

ثم ان الاسلام بتوحيده اساس الشرع وتسميه ، منع في عهد طويل ما يمكن وقوعه من الخلاف بين الديني والمدني وبين الشرع العام والشرع الخاص وبين الشرع الوطني والشرع الدولي . وقد سن العقوبات اللازمة حتى لا يكون العمل ناقصاً . والله عند المسلمين مصدر الشرائع الاسمى وهو الحكم العدل في الدار الاولى والدار الاخرى ، وهذا هو المذهب التيوقراطي الذي يسحر قلوب السامعين ، ولكن كيف يكون الحكم وتكون العقوبة في هذه الحياة ، خصوصاً اذا شجر الخلاف بين طوائف مختلفة حتى نشب القتال وسالت الدماء ، فقد قال تعالى . انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم ، وقال : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين . فما احسن هذه الاسس ! ألا نجد فيها نظيراً لما يسعى اليه الناس اليوم في الصلات الدولية وتعقد لاجله المجامع وتحتفل المؤتمرات ! الاصلاح والتحكيم وبعد ذلك الجزاء وعقوبة الباغين والمعتدين

غير ان هذه القواعد الشريفة لم تجد في الاسلام « وضعاً » عملياً يقوم بتطبيقها وينظر في امرها . لم انهم يذكرون اهل الحل والعقد الذين هم رجال السياسة والتدبير . ولكن هذا الوضع الذي كان يرجى ان يكون عظيم الفائدة بيد الاثر ، ظل في طي الابهام والنسيان غالباً ولولا ذلك لما اصيب الاسلام بما اصيب به من اثرة المسيطرين وسوء ملكتهم ، على ان هذه القوة العظمى للامة ، هؤلاء الناس الذين سماهم الشارع بأهل الحل والعقد ليكون لحكمهم في الجماعة مقام الارادة عند الفرد ، كان لهم جانب عزيز في صدر الاسلام وان لم تكن لهم صفة معينة ، وقد اضمحلوا رويداً رويداً مع اضمحلال الاسلام وتشتت قواه ، وما من تبعة تقع على الدين والشريعة ، فكلاهما قابل للتطور يتسع لمختلف المذاهب ولكن الجماعة الحية الكائنة لم تكن لها ارادة او لم تكن لها ثقة تملي هذه الارادة

(البقية تأتي) دمشق نجيب الارمنازي

الراديو ومزاياه الاجتماعية

اول خطبة عربية في الراديو تذاع به

تمت في العصر الحديث، مخترعات شتى ، لو بعث اجدادنا السابقون ، لحالوها معجزات، ولا حلّوا مخترعيها منزلة الانبياء ، لقرابتها وشذوذها عما ألفوه. فما اعجب الفنوغراف! تديره فيسمعك نغمات الموسيقى . وما اغرب الطيارة ! تسير محركها ، فتنطلق بك في الجو ، انطلاق النسور . وهل أتاك نبأ الرؤية على بعد ، المسماة بالتيليفزيون ، التي بها تخترق الابصارُ الجدران وسائر الحجب ؟ أو أشعة رنتجن ، التي ترى بها العظام ، وما تسرب الى الجسم من رصاصة أو ابرة أو ما أصابهُ من سرطان خفي ، أو كسر مستتر ، أو قرحة دامية ؟ أو الراديو الذي يسمعك الاصوات ، التي تفصلك عن مصادرها آلاف الاميال، وليس بينك وبينها من صلة ، غير الارض والماء والهواء ؟

سنقصر كلامنا الآن على نظرية الراديو ومزاياه . ونأمل ان نتمكن من الكلام في سائر المخترعات في فرصة اخرى . ويرجع ابتداؤنا بالراديو إلى اعتقادنا أنهُ يجب ان يولي المصريون وجوههم في هذا العصر ، شطر ثلاث غايات : الراديو والطيران والسينما . فأن هذه المخترعات ، وان كانت من الامور المألوفة في البلاد الاجنبية ، الا أنها في مصر لم تحظ بالاهتمام الكافي ، الكفيل بانهاضها وترقيها، ولا يزال المشتغلون بها افراداً قلائل . فانت ترى انعدام المنافسة والمباراة فيها وقلة الباحثين فيها من ابناء مصر

الراديو او التليفون اللاسلكي اختراع جليل الشأن ، به يستطيع الانسان التخاطب بغير واسطة محسوسة . ولا أدل على هذا من سماعكم صوتي وبيني وبينكم اميال عدة

ولما كان العقل الانساني يستبعد انتقال التأثير بغير واسطة ، فقد بحث العلماء في الوسائط التي ينتقل بها الصوت والضوء والكهربائية وغيرها . وقد ثبت بالتجارب البسيطة ان الوسط الذي ينتقل فيهِ الصوت هو الهواء. ولاثبات ذلك : يوضع جرس كهربائي داخل ناقوس الآلة المفرغة للهواء ، فاذا ادرت الآلة اخذ صوت الجرس في الخفوت تدريجاً، حتى يكاد يتلاشى ، بسبب خلو الناقوس من الهواء . اما الوسط الذي ينتقل فيهِ الضوء فهو غير الهواء ، فنحن مثلاً نرى الضوء المنبعث من المصباح الكهربائي ، والمصباح يكاد يكون مفرغاً من الهواء تماماً . فلو كان الهواء ضرورياً لانتقال الضوء ، لما استطعنا رؤية ضوء المصباح . وكذلك

اذا وضعت لوحاً من الزجاج فوق ورقة مكتوبة ، امكنك رؤية الكتابة جيدًا ، رغماً عن وجود منطقة بينك وبينها خالية من الهواء ، وهي المنطقة التي يشغلها الزجاج. ولفهم انتقال الضوء ، فرض العلماء وجود وسط سموه الاثير قالوا انه لا يرى ، ولا وزن له ، وانهُ شديد المرونة ، ويتخلل الاجسام كلها ، وبناء على هذا الفرض ، يعتبر الضوء تموجات في الاثير ، يحدثها الجسم المضيء ، كما يحدث الحجر تموجات في الماء اذا القي فيه

وبنظرية الاثير هذه ، يسهل فهم التلغراف اللاسلكي والتلفون اللاسلكي ، اي الراديو بسهولة. وعلى ذكر هذين نقول انهُ لا يوجد فرق جوهري بين التلغراف اللاسلكي والراديو الا أن الاول يسمعنا دقات مختلفة ذات نظام متفق عليه يسهل بمقتضاه معرفة مدلولها، وهذه الدقات هي الاشارات المستعملة في التلغراف المتاد. اما الراديو فانهُ يسمعنا الاحاديث والاغاني وغيرها بنصها تماماً . واجهزة اللاسلكي قسمان (١) اجهزة ارسال او اذاعة (٢) اجهزة استقبال وفي مصر عدد من محطات الارسال ، نذكر منها محطة رأس التين (التي ارجو الا تقطع عليكم سياق المحاضرة بصفيرها المزعج) ومحطة ابي زعبل . وهذه المحطات عملها قاصر على ارسال الاشارات اللاسلكية الى السفن وغيرها وتلقي اشارات السفن كذلك. اما محطات الاذاعة الكلامية ، فيوجد منها محطة بالاسكندرية لصاحبها عز الدين افندي صالح وهي التي اخاطبكم منها . والاخرى بالقاهرة بحي شبرا. وجهاز الارسال يتألف من آلة تولد اهتزازات كهربائية شديدة، وهي متصلة بسلك مرتفع يسمى « بالهوائي » وهذه الاهتزازات تحدث تموجات في الاثير ، كما يحدث وتر العود باهتزازه تموجات في الهواء، فتأخذ في الانتشار حتى تصل آذاننا . والاهتزازات الكهربائية تحدث في حالة التلغراف بضغط مفتاح ، وفي حالة الراديو بالكلام ، امام جهاز اسمه ميكروفون اي مكبر الصوت، وهو الذي اتكلم امامه الآن

والتموجات الاثيرية تنتشر في الفضاء ، مسافات شاسعة تبعاً لشدة الكهربائية ، المحدثة لها ، فتلتقطها الآلات الملاقطة المنتشرة في سبيلها ، والآلات الملاقطة تتألف من ثلاثة أجزاء رئيسية هي : الهوائي، الجماس ، البوق . وسنتكلم الآن بالايجاز على كل منها :

اولاً : الهوائي

هو عبارة عن سلك طويل معزول ، طوله يتراوح بين عشرين وخمسين متراً ، ويتحتم ان يكون الهوائي معزولاً ، اي غير متصل بالارض بواسطة اجسام معدنية ، ولهذا يربط كل من طرفيه بعازل من الخزف (اي الصيني) ، ويربط هذا العازل في عمود خشبي ، بواسطة حبل ، ويوصل احد طرفي الهوائي بالجهاز

ويوجد نوع من الهوائي سهل النقل ، يسمى بالهوائي ذي الاطار، ويتركب من قطعتين

متعامدتين من الخشب قد لف عليهما سلك معزول بحيث تكون كل لفة على شكل مربع وهذا الهوائي يمتاز بالامرين الآتيين : —

(١) يسهل نقله من مكان الى آخر

(٢) يمكن ادارته حول نفسه ، وتثبيته في الوضع الملائم الذي يستطاع فيه تلقي الاهتزازات بسهولة . غير ان للهوائي ذي الاطار عيباً واحداً ، هو انه يوضع بالطبع داخل الحجرات . فاذا كان المنزل مصنوعاً من الاسمنت المسلح ، او كان فيه معدد ، او كان على مقربة منه اسلاك معدنية ، كاسلاك التليفون والتلغراف والترام ، فان هذه الحواجز المعدنية ، تحول دون وصول التموجات كلها الى الهوائي ذي الاطار ، وتلافياً لمثل هذا العيب ، يفضل مد الهوائي فوق السطح ، بحيث يكون معرضاً للجو ، دون ان تعترضه البنايات المجاورة

ثانياً : الحساس

انه من الصعب ادراك التموجات الاثيرية لان هذه التموجات تحدث في سلك الهوائي بالتفافها فيه تياراً يتذبذب بسرعة هائلة،اي يغير اتجاهه في الثانية الواحدة آلافاً من المرات وعلى هذا لا يتيسر ادراكه بواسطة سماعة التليفون مثلاً للسببين الآتيين : (اولاً) لسرعة الذبذبات لا يتسنى لقرص السماعة مجاراتها ، فتلبث ساكنة : (ثانياً) اذا فرضنا امكان تذبذب قرص السماعة ، تبعاً لذبذبة الكهربائية فان الصوت الحادث لا يمكن سماعه لان الاذن الانسانية لا تستطيع سماع الاصوات التي ذبذباتها اكثر من ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية ولا الاصوات التي ذبذباتها اقل من ٣٠ ذبذبة في الثانية

ويتضح مما سبق ضرورة وجود جهاز يمكن به ادراك هذه التموجات . وقد اطلقنا على هذا الجهاز كلمة « حساس» وهو المسمى في الانجليزية Detector . وتوجد حساسات عديدة، أبسطها الجهاز المعروف بالملتصق (Coherer) . والملتصق بسيط للغاية اذ يتركب من انبوبة زجاجية في وسطها قرصان من المعدن، بينهما برادة الفضة ، وكل قرص منهما ملتحم بسلك معدنية . واحدى هاتين السلكين توصل بالهوائي ، والثانية توصل بسلك يعرف بسلك الارض ، يدفن طرفه في ارض رطبة ، او يربط بماسورة الماء ونحوها

والملتصق في حالته الاعتيادية ، ورديء التوصيل للكهربائية ، اي أننا اذا أوصلنا طرفيه ببطارية وجرس ، لم يدق الجرس ، لعدم استطاعة التيار المرور خلال البرادة. الا انه اذا وصل طرفاه كذلك بالهوائي وبالارض كما سبق ، وسقطت تموجات اثيرية على السلك فانها تحدث فيه كهربائية ، تتذبذب من طرف الهوائي الى الارض ذهاباً وايباباً ، مارة

بالملتقط ومرور هذه الكهربائية خلال الملتقط تسبب التصاق البرادة ، وتجعلها جيدة التوصيل للكهربائية، فيدق الجرس . ويلاحظ في مثل هذه الحالة ان التيار الذي يمر من البطارية الى الجرس ، خلال الملتقط ، يكون ضعيفاً ، لعدم جودة توصيل البرادة ، وقد لا يستطيع دق الجرس، فيستعمل لدق الجرس وغيره ما يعرف بالمناول (Relay) وليس هنا محل شرحه

والملتقط لا يستعمل الآن ، فقد حلّت محله اجهزة ادق منهُ ، نذكر منها الحساس البلوري (Crystal detector) والصمام الايوني (Ionic Valve)

ثالثاً : البوق

يستعمل لسماع الاشارات والاصوات اللاسلكية ، سماعة تليفونية او سماعة على شكل بوق ، وتستعمل الاولى اذا كانت الاشارات ضعيفة ، أو كان الغرض الانفراد بالسماع ، دون اشتراك الحاضرين فيه . اما السماعة البوقية ، فهي تكبر الصوت فيستطيع سماعه بواسطتها ، عدد كبير من الناس

مزايا اللاسلكي

ان مزايا اللاسلكي لا تقف عند حصر . فيه يمكن لركاب البواخر مخاطبة الذين على الارض ، التماساً لخبر ، أو استنجاداً لدفع كارثة . وكم كان الراديو سبباً في انقاذ آلاف من الناس ، لولاه لطواهم اليم ، وكانوا من الهالكين

وبواسطة الراديو يستطيع الطيارون مخاطبة أهل الارض . وفي الحرب العظمى كان الطيارون يحلقون في ميادين الاعداء ثم يعينون لجيشهم مواقع العدوّ بواسطة الراديو فيقذفهم بنيرانه التي تحصد الارواح حصد الهشيم . وميزة الراديو على التلغراف او التليفون السلكيين لا تخفى على أحد، فان كلاً من التلغراف او التليفون يتطلب مد أسلاك وهذا أمر شاق كبير النفقة، اذا كان المكانان يفصلهما بحر أو جبل، أو كانت المسافة بينهما كبيرة

والراديو لا يعد في البلاد الاجنبية الآن من الكماليات بل من الضروريات، فان محطات الاذاعة فيها تذيع على الناس محاضرات علمية، ودروساً في تدبير المنزل، وأغاني وموسيقى وتذيع كذلك اناشيد وقصصاً قصيرة يسمعها الأطفال قبيل نومهم . هذا الى سماع خطابات السياسيين وإذاعة أنباء النصوص واوصافهم في طول البلاد وعرضها، وبذا يسهل القبض عليهم والحيلولة بين شرهم وانقوم الآمنين . وللراديو غير ما سبق مزايا لا توجد في التلغراف فهو يسمعك كل يوم جديداً لم تسمعهُ في امسك، ويمتعك بالاغاني والموسيقى من مختلف الممالك ، ويثقفك بما يسمعك إياه من الدروس والمحاضرات

ولا بد لنا في هذه الكلمة من ذكر امكان استخدام الراديو في ادارة الآلات وغيرها على بعد شاسع منها. وقد نشرت التلغرافات في الشهر الماضي في انحاء العالم نبأ إتمامه

ماركوني مصابيح معرض اللاسلكي في سدني باستراليا بمجرد ضغطه على زر في بحته البكتراً بتر جنوى بايطاليا. وقد ارتج العالم لهذا النبأ بغير داع ، بسبب خطأ وقع فيه بعض الصحفيين في اوروبا ، فقد نشروا هذا النبأ دون ان يفهموا كنهه . وخلطوا بين استخدام التموّجات الاثيرية لادارة مفاتيح النور وهو الذي عمله ماركوني ، وبين إرسال القوة الكهربائية اللازمة للاشعال من ايطاليا الى استراليا. والمسألة الاخيرة تعد الآن من المستحيلات من الوجهة العملية ، فان المحطة التي قيمتها ٥٠٠٠ جنيه لا تستطيع أن تبعث من القوة الكهربائية الا ما يعادل قوة ثلاثة احصنة ، وهذه القوة تطلق في انحاء العالم ، فلا يصيب كل جهاز منها الا القليل ، فكيف نتوقع انارة المصابيح وادارة الآلات بهذه النفقة الطائلة ؟ ان هذا تبذير لا يتمشى مع مقتضيات الاقتصاد ، خصوصاً في الوقت الحاضر. وبهذه المناسبة اقول اني على اثر اطلاعي على الخبر السابق فكرت في طريقة رجحت أنها عين طريقة ماركوني ، وأجريت عدة تجارب لاشعال النور على بعد ، ونجحت التجارب نجاحاً باهراً ، وأظهرت استعدادي لانارة ادارة أي جريدة في مصر وانا بالاسكندرية ، وجرى لهذا الغرض حديث بيني وبين شخص ذي شأن في جريدة كبيرة ، إلا أنا لم نتفق على شيء مع هذا الشخص ، أولاً لأنه كان يلح إلحاحاً غريباً في معرفة تفصيلات الطريقة قبل الاتفاق ، وأنا أضن عليه بها . وثانياً لانه استكثر النفقات وقد قدرتها بمائة جنيه مصري ، مع أنه تبين لي فيما بعد أنها تتجاوز المائتين. وعلى هذا عزمت على أن اقوم باجراء بعض التجارب في حفلة عامة يحضرها من يشاء على نفقتي الخاصة

ومن المسائل التي يشتغل بها العلماء الآن توجيه التموجات الاثيرية ، فان هذه التموجات تطلق في جميع انحاء العالم ، كما تنتشر التموجات على صفحة الماء ، في دوائر تأخذ في الاتساع شيئاً فشيئاً فاذا نجح العلماء في توجيه هذه التموجات كان في الامكان إرسال الاشارات اللاسلكية مسافات شاسعة ، بنفقة قليلة ، لانها تصل قوية إلى الأجهزة المقصودة ، دون أن تملأ جو الارض

ومما تمخض عنه الراديو الانسان الميكانيكي . وارى ان هذا الانسان يحوي في جوفه أجهزة مستقبلة كل منها يحرك آلة تقوم بعمل خاص ، لتحريك اليدين وفتح الفم وغير ذلك ، فاذا أرسلت اليه تموجات خاصة فانها تؤثر في جهاز لا يتأثر إلا بها ، ولا تؤثر الا فيه ، وعلى هذا يكون في الاستطاعة دفعه بقوة الراديو الى أن يؤدي أعمالاً ، لا يقوم بها في العادة الا الانسان العاقل. وقد اهتدينا الى طريقة لتسيير السيارة دون أن يكون بها أحد بهذه القوة العجيبة ، ولظن ان المرحلة بين هذا العمل وبين الانسان الميكانيكي يسهل قطعها بالعزيمة والصبر

الاسكندرية محمود خليل راشد

مدرس الكيمياء والطبيعة بالمدرسة العباسية

أسطورة الخليقة البابلية

٨ — خلاصة الآجرات السبع

كل ما كان موجوداً في اول الامر ابسو ، اي الماء الحاوي الخالي المجهول اصله او زمن وجوده او موجده . وقد خرج من هذه الكتلة صنفان من الكائنات الهول (demons) والآلهة . وكانت هذه الهول مرعبة غريبة الشكل . قسم منها بشري والآخر حيواني ، اما الآلهة فكانت كلها صوراً بشرية

بعد مرور اعصر على هذه الحال ظهر الاثنان « انشار وكيشار » . وكان الاول يمثل « قوات السماء » اما الثاني فيمثل « قوات الارض » . ثم مرت مدة لا يعرف طولها فظهرت الآلهة البابلية فجاء معها « النظام » الى الكون فاضطرب ابسو سيد « الفوضى والفراغ » لذلك استشار زوجه تيامات (Tiamat) في الطريقة التي يتمكن بها من القضاء على هذا « النظام » واعادة الفوضى الى الكون . وتيامات هذه مخيفة المنظر غريبة الشكل جداً . لها اجنحة ومخالب طويلة ، وجسمها يتخذ مرة شكل حية ضخمة واخرى شكل حيوان كبير ، والظاهر ان فكرة التوم عنها انها كانت تجمع في نفسها كل مظاهر القوة والرعب . . . وكانت مع ذلك « ام كل شيء »

كان رسول ابسو وتيامات في هذه المخابرات « موشو » وكانت نتيجتها قيام قتال بين الآلهة والهول كانت غايته ان تقضي قوى الظلام على قوى النور فتعيد الفوضى الى الكون. وفي هذا الصراع كانت الآلهة هي الشمس والقمر والنجوم . والهول الظلام والليل والشر. وقام « ايا » الاله بالنيابة عن الآلهة فتغلب على ابسو ومومو . وكان سر تغلبه يعود الى ما كان معه من التعاويذ التي قرأها فشلت ايدي الآخرين عن مناجزته . فلما بلغ ذلك مسامع تيامات ثار ثائرها وصممت على الانتقام لموت زوجها ابسو . فأخذت في الاستعدادات الجديدة بزيادة عدد اعوانها . فجاءت بنسل من الشياطين والمردة لنصرتها وكان نسلها يمثل الضباب والغيم والسحاب والزوابع والاعاصير والبرق وكل بقية العناصر المدمرة واستدعت قوى الهواء لمؤتها وجعلت لها بين نجوم السماء اعواناً وسلمت قيادتها كلها للاله « كنجو » الذي اتخذته زوجاً لها . وقرأت عليه تعويذة وسلحته بقوى سحرية فسار كنجو مع جيشه لقتال الآلهة

اضطرب (إيا) لهذا النبأ الذي ازعجه وأقض مضجعه لعله يعجزه عن مقاتلة كنجو

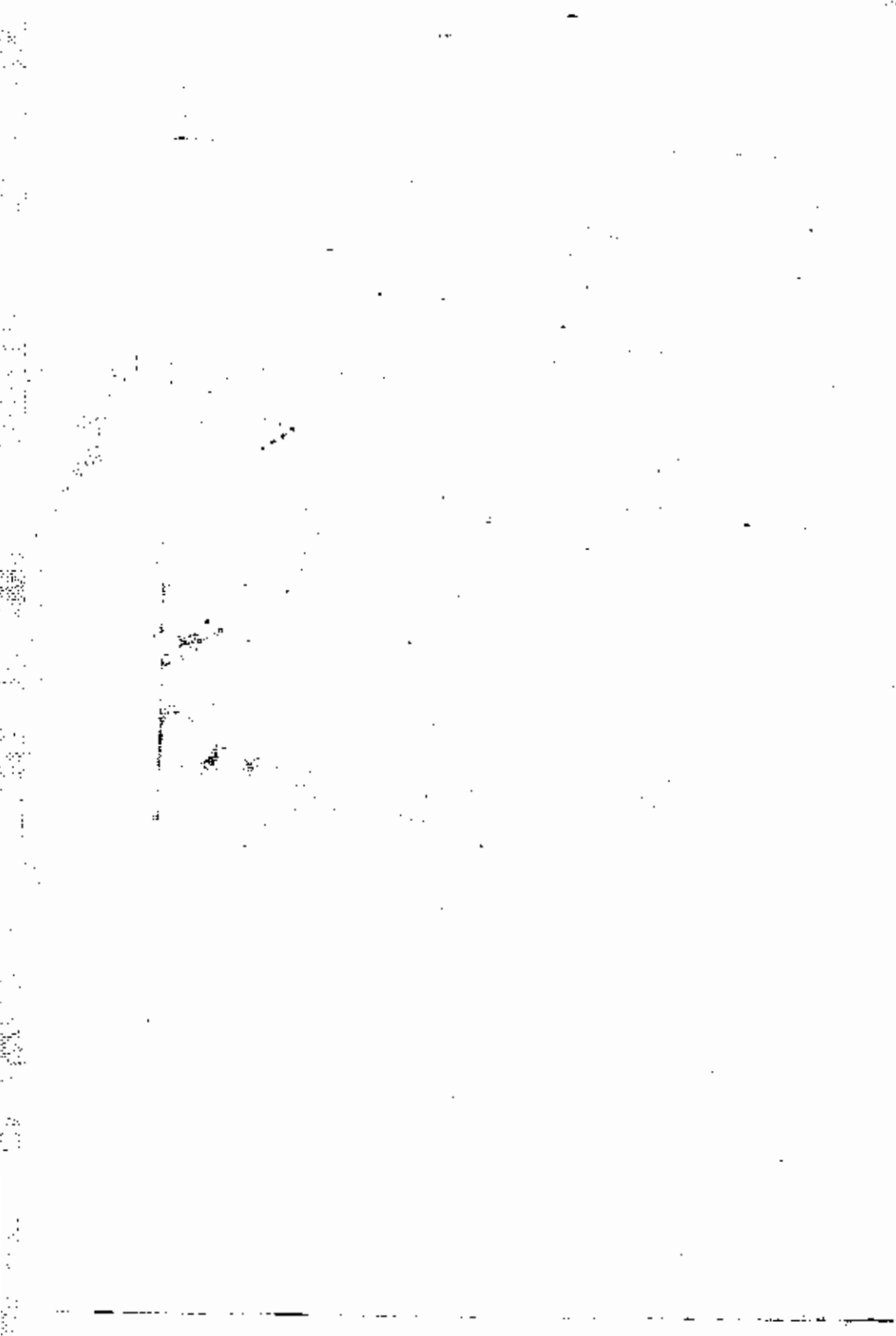

المستر ليونارد وُلي

مدير بعثة جامعة بنسلفانيا والمتحف البريطاني المشتركة التي
انقضى عليها ثماني سنوات تنقب في اطلال اور الكلدانيين

وأبلغ « انشار » حقيقة الحال التي ازعجت الاخير هذا لانه لم يكن يعرف بين الآلهة كفؤاً لكنجو وتيامات . وبعد تفكير ارتأى انشار ضرورة عقد اجتماع من الآلهة وحمل ابنه مردوخ على حضور هذا المؤتمر الاعلى الذي قيل فيه ان يقاتل تيامات بالنيابة عن اهل السماء . وكان مردوخ « الاله الشمس » اكبر قوى النور فجاء المؤتمر ليحصل على تعيين بالاجماع قبل ان يبدأ بعمله ولتسلحه الآلهة بالقوى السحرية التي تفيه رتبته ، واقيمت هناك (مكان المؤتمر) حفلة كبرى فلما جاء الآلهة وقبلوا بعضهم بعضاً وأخذ كل مكانه شربوا الخمر الحلو الذاهب وأكلوا الخبز فأثرت رائحة الخمر في حواسهم ، وعندها تنوا مردوخ نائباً مدافعاً عنهم ، ثم جعلوه ملكاً عليهم وخلعوا عليه شارات الملك وهي البرش والصولجان والبالا (التي لا يعرف عنها شيء) . وأمروه ان يذهب ليقطع تيامات ارباً ارباً ويفرق دمها

اخذ مردوخ يسلح نفسه فحمل قوساً وسهاماً ورمحاً وهراوة . وملأ نفسه ناراً وسير البرق امامه . وأخذ معه شبكة لاصطياد تيامات ، وأثار العواصف الهوجاء لموته وركب الزوبعة التي جرتها اربعة خيول

اقترب مردوخ من وسط تيامات ونظر الخطة التي وضعها كنجو المقيم هناك وادركها فلما رأى كنجو وبقية اعوانه مردوخ واستعداداته اضطربوا واسقط في ايديهم حتى انهم لم يستطيعوا حراكاً . فلما رأت تيامات ذلك منهم حنقت عليهم واشتد غيظها ، فلما دعاها مردوخ لمنازلته بدأت التمزم تصد تقييده برقاها وسحرها ، فلم يؤثر ذلك فيه ، عندها التي مردوخ شبكته عليها ونفخ الريح في وجهها فملأت احشاءها فطمنها بحربة شقتها شطرين . اراد اعوانها الهرب فهاج مردوخ الرياح الاربعة عليهم فلم يتمكنوا من التحرك في جهة ما ، وبذلك قبض مردوخ على تيامات وأعوانها الاحد عشر وداسهم ، ثم فلق رأسها بهراوته ، فأثنى عليه الآلهة وأجازوه على حسن صنيعه بتخليصهم من هذا الخصم العنيد

وشق مردوخ جسم تيامات قسمين جعل من الواحد قبة السماوات ومن الآخر الارض . ثم خلق مساكن الآلهة الاولى ، والنجوم كلها ، ووضع القوانين والانظمة لحركتها وسيرها

لكن الآلهة ضجروا واحتجوا بأن ليس هناك من يعبدهم ، وليس من يقدم لهم القرابين والضحايا ، فاعلن مردوخ رغبته في خلق الانسان من الدم والتراب ، وبعد استشارة الآلهة وعقد اجتماع لها قرر المجتمعون ان يكون كنجو ، وهو المثير للقتال ، الاله الذي يقتل لمزج دمه بالتراب لخلق الانسان . وهكذا كان . وصنع الانسان من مزيج دم كنجو والتراب

وأراد الآلهة (انوناكي) ان يعظموا مردوخ فبنوا له هيكلاً في بابل . فصنعوا اللبن بأنفسهم . وبنوا له « اساجيل » فلما تم هذا الهيكل خص مردوخ كل اله بمكان فيه

هذه خلاصة القصة على ما روتها الآجرات السبع التي يبلغ مجموع سطورها المقروءة

فقط ما يزيد عن الثمانمائة — وفيما يلي ترجمة الاسطر الاخيرة التي ختمت بها القصة وتبدأ بالسطر ١٢٥ من الآجرة السابعة

١٢٥ — فليأخذها اول قادم ويقرأها

١٢٦ — فليفكر الرجل العاقل والمتعلم في كل منها

١٢٧ — على الاب أن يقرأها (يعيدها) امام ابنه حتى يتمكن منها

١٢٨ — فلتفتح اذن الراعي ومراقب الأبقار (اي لتعطه الفهم)

١٢٩ — فليهلل بمردوخ رب الارباب

١٣٠ — كما تخصب ارضهُ ، ويعيش آمناً

١٣١ — كلمته كلمة حق ، وناموسه لا يتغير

١٣٢ — ليس بين الآلهة من ينطق بما ينطق به هو [مردوخ]

١٣٣ — الذي [اي مردوخ] احتقرتهُ الآلهة فلم يرطم ظهره [لم يهرب]

١٣٤ — [الذي] ليس لاله ان يقاوم سخطه اذا ما بلغ غايته

١٣٥ — قلبه كبير — واحشاؤه بالرحمة ملأى

١٣٦ — .. ..

١٣٧ — فليتألم امامه من الذل اول قادم

اما ضمير المؤنث السالم المستعمل في السطور الاولى فيعود إلى «الاسماء» والاسماء هذه تكون اسماً مقدسةً لمردوخ كانت تدل على قداسته وقدرته وعظمته وجبروته وسطوته الخ ...

٩ — تعليقات واستنتاجات

١ — نرى في هذه القصة اعتماد الآلهة على العواصف والرياح والزوابع اعتماداً كبيراً. وما اظن ان استخدام الريح والتسلط عليها كان مجرد مصادفة او اختراعاً اتى به القصاصون ولكن الذي يمكن استنتاجه من هذه الحالة ان اصحاب القصة الاصليين كانوا يعبدون « الاله الريح » ، ومن ثم كان طبيعيًّا ان يجعلوا الريح رهن اشارته . واذا عرفنا ان السومريين القدماء الذين سكنوا بين النهرين في فجر التاريخ كانوا يعتبرون الههم « انليل » اله الريح — فاننا لا نستبعد ان يكون واضعو القصة الاولون من هؤلاء القوم

على ان هناك اموراً اخرى تثبت هذه الفكرة — ذلك ان القصة تعود بنا الى زمن كانت فيه بلاد بين النهرين ماء في ماء . وليس فيها الا بعض بقع يابسة ظهرت شيئاً فشيئاً كما يدل سياق القصة. ولما كان التاريخ يعرف ان هؤلاء السومريين هم اقدم شعب سكن تلك البلاد — فليس من المستبعد ان يكونوا هم اول شعب حاول شرح هذه الظاهرة الطبيعية — اي خلق

الانسان — فوضعوا هذه القصة — ولما كانوا قد شهدوا حالة البلاد الاولى بقيت في اساطيرهم هذه

ومن هذه الفكرة نفسها يمكننا ان نثبت ان اصل الاسطورة سومري . ذلك ان القوم الذين نشأت القصة بينهم يتحدثون عن العالم وهم يقصدون ارضهم ، بهذا العالم ، وهذا دليل على انهم لم يكونوا يعرفون الشيء الكثير ولا القليل عن البلاد المجاورة فلم يرد لها ذكر فيما قصوا او كتبوا . ولو كان البابليون المتأخرون او الاشوريون اصحاب القصة لكان من الضروري ان يشيروا الى ذلك اشارة على الاقل ..

ولو سلمنا مع الدكتور هول صاحب كتاب « تاريخ الشرق الادنى القديم » بان شعباً ساميًّا سكن بين النهرين قبل السومريين ، لما نقص ذلك شيئاً من قيمة هذه الحقيقة التي وصلنا اليها . ذلك لان هذا يعني أن هذه القصة ظهرت بينهم ، فلما جاء السومريون اخذوها عنهم فغيروها بحيث توافق عقلهم ومزاجهم حتى ضاع الاصل السامي فيها . ويعود ذلك الى ان السومريين الدخلاء كانوا على رأي الدكتور هول ، على جانب من المدنية كبير ازاء اولئك السكان الاصليين ، فكان من الطبيعي ان تقضي الشخصية القوية المتمدنة على تلك الضعيفة وتعطي القصة من روحها شيئاً يكفي لصبغها بالصبغة السومرية

اما وجود اسم الاله مردوخ في القصة فليس دليلاً على بابليتها أو حمورتها . ذلك لان هذا الاسم هو عوض او بدل لاسم أنليل الاله السومري . فان هذه القصة كان لها تأثير كبير في اذهان الشعوب التي سكنت بين النهرين بحيث انها كانت تراثاً ادبيًّا لكل آت . فكانت الشعوب تقتبسها ، سيا وانها قصة ، إنتقالها وحفظها اسهل من أنتقال اي شيء آخر وحفظه . ثم تأبى عليها كرامتها ان تقر بافضلية اله غير الهها ، فلا تلبث حتى تدخل اسم الهها القومي مكان اسم الاله الاول . فلما كانت بابل وكان ماكان من فرض سيادتها على بين النهرين في عصر حمورابي ، ذاع اسم الهها بين كل الفاطنين هناك ، فقبلوا بمردوخ بطلاً لهذه القصة التي كان القصد منها تفسير هذه الظاهرة الطبيعية

٢ — وهذا الاتفاق على اعتبار مردوخ هذا الاعتبار ، وانزاله هذه المنزلة ، واحلاله هذه المكانة بين سائر الآلهة ، واعتراف الآلهة بسلطته ورفعته ، حمل البعض على الاعتقاد بوجود التوحيد ، بين امم بين النهرين القديمة ، ولكن هذه الظاهرة التي قدمنا تفسر حتى سبب هذه الحال ، كما لغنينا عن التدليل على بطلان هذه العقيدة ، ولعل سبب عدم وصول هؤلاء الشعوب الى فكرة التوحيد ، فضلاً عن عوامل اخرى هو « ان الشرقيين القدماء لم يكن عندهم فلسفة للبحث عن اصل الاشياء ..... بل كل ما نجد اساطير ميثولوجية تتعلق باصل الاشياء ولها صبغة دينية [قوية] ، اذلا تشير الى كيفية التكون الا

بواسطة الرموز او بذكر اعمال الآلهة والابطال ...» (الاستاذ جويدي ـ الزهراء ـ ٥: ٣٤٣)
فلما لم تكن للشرقيين فلسفة نظرية ، لم يحملهم ذلك على التفكير في الكون ودرسه فلم يوفقوا الى الاهتداء الى فكرة التوحيد . ولا بد هنا من الاشارة الى ان الدكتور واليس بدج يعتقد انه ان كان هناك شيء من فكرة التوحيد ، فلم يكن يتعدى الكهنة ، اما الشعب فلم يعرف شيئاً عن الحقيقة الا ما كان يفهمه من هذه الاسطورة الشائعة

٣ — من هذه الاسطورة يمكننا ان نصل الى امرين . الاول ان قوى النور وقوى الظلمة كانت في قتال . والثاني ان الاله «الخالق» ، كائناً من كان ، اختلف مع بقية الآلهة

اما الاول فنجده او نجد شبيهاً له في آداب الامم الاخرى الميثولوجية . فهذه قصة النزاع بل القتال بين « حدود » اله السماء العظيم و « ست » قائد قوات الظلام شاهد على ذلك

بل هناك شاهد أكبر وأبعد اثراً ذلك هو المذهب الزوروستري كله . فانه لا يخرج عن كونه فكرة اصطدام دائم بين قوى الخير والشر — قوى النور والظلمة — النور والظلام

وليس المقصود ان هذه الفكرة الآرية اخذت عن تلك ، كما اننا لسنا نكرها فليس هذا او ذاك في مقدورنا ، في هذه الحال

اما الامر الثاني فأبعد اثراً ، وقد تسرب من الامم الاولى التي سكنت بين النهرين الى كل من خلفهم ثم وجدت لها مرتعاً خصباً في الآداب العبرانية والمسيحية الدينية فهذه كلها تعترف بأن خصاماً حدث بين الاله وفئة من الملائكة لكنها لا تذكر اسبابه اما في اساطير الامم الاولى فنجعله بعد خلق الانسان ، مما قد يحملنا على الاعتقاد بأنهم كانوا يعتقدون ان هذه الخليقة اثارت هذا الخصام . وأما الآداب العبرانية المسيحية فتنسب هذا الخصام — وهي تسميه غضب الرب على الشيطان وأعوانه — الى عصيان الشيطان خالقه ومحاولته مخالفته — فعاقبه الله عقاباً شديداً جزاء ما جنت يداه

٤ — كان السامي ، في حياته الاولى ، يعتقد بأن لكل شيء في الحياة الهاً خاصاً فكان يرى في الشجر والاحجار وينابيع المياه و و . . . ولم تكن الكواكب لتخرج عن ذلك . فانه اعتبرها ذات قوى الهية او آلهة ، وربط استعدادها باسماء آلهة . فلما كانت بعض هذه الكواكب من اعوان تيامات اي « فئة الشر » والظلام ، ارتبطت اسماؤها بالشر وبالاعمال السيئة ، ومن هنا اصل ما نراه من تشاؤم عند الاقوام على اختلافها من بعض الكواكب او النجوم

١٠ — الاسطورة البابلية وقصة التكوين

مقابلات واستنتاجات

لن ننقل الى القارىء القسم الذي فيه قصة الخليقة من فصل التكوين ، فان قراءته

سهلة على كل من أراد . وانا ندعو كلاً الى قراءته حتى يتسنى له الحصول على فكرة تامة واضحة عن الامر الذي نريد ان نبحث فيه الآن . فقد قابلنا الاسطورة البابلية بسفر التكوين فظهرت لنا بعض النتائج التي نعرضها فيما يلي : —

١ — جاء في العدد الاول من الاصحاح الاول من سفر التكوين « في البدء خلق الله السموات والارض » والذي يفهم من هذا أن الله موجود قبل كل شيء ، والا لما استطاع خلق السموات والارض . اما القصة البابلية فتبدأ بذكر العدم . وتشير الى وجود « الكتلة المائية التي تسميها ابسو . والذي يجب ان يفهم من هذا الامر ان «ابسو» هذا ذو قوة الهية او هو الله بنفسه . يؤيد هذا انه لم يكن لدى الامم الاولى شيء ليس فيه قوة الهية ابداً . وهنا نرى الاتفاق الضمني بذكر الاله قبل كل شيء

٢ — الاسطورة البابلية وسفر التكوين يتفقان في الاشارة المزدوجة الى الجلد (السماء) ففي الاولى ان مردوخ خلق السماء من نصف تيامات ، ثم يعود الى ذكر رفع الجلد او اقامته . كما ان التكوين يذكر خلق السماء (العدد الاول) ثم يعود الى ذكر عمل الجلد ورفعه في العدد السابع

٣ — تتفق الروايتان في ترتيب خلقة المواقيت والزمن وخلق الكواكب بالنسبة الى بقية الحوادث الاخرى . ويرى الاستاذ برستد (العصور القديمة — ١١١ من النسخة الانكليزية) ان اليهود ورثوا التقويم القمري من السومريين . ونحن نرى انه اسهل جداً أن يرث اليهود قصة خلق النجوم من ان يرثوا التوقيت . ذلك لان القصة على الالسن اسير وفي النفوس اكثر تأثيراً

٤ — تقول الاسطورة البابلية بأن القمر اعطى ضياؤه اي نوره وجعل « حارس الليل » . وفي التكوين (١ : ١٤) « وقال الله لتكن انوار في جلد السماء » وفيه ايضاً (١ : ١٦) « وجعل النور الاصغر (اي القمر) لحكم الليل » جاء في « تفسير التوراة — الجزء الاول — ص ٥٩ » في شرح العدد الرابع عشر « . . . انوار هنا تقابل امارات العبرية — فهو غير الاوار ، اي النور . . . ولم يكن بالمآرات نور حين خلقها ، فأمده (اي القمر) الله بالنور المخلوق قبلاً . . . »

لا نستطيع القول بأن هذا التدقيق في الرواية كان صدفةً او اتفاقاً

٥ — « قال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » (تكوين ١ : ٢٦) جاء في « تفسير التوراة — الجزء الاول — ص ٨٦ » بهذا الخصوص « . . . وضمير المتكلم في قوله نعمل . راجع الى الملائكة . فالخطاب على لسانهم بأمره ، كذلك الضمير في قوله

كشبهنا . فان الله عز وجل منزه عن التشبيه . والمراد به ان يكون الانسان بمنزلة الملائكة من جهة ما له من سمو شرف النفس وانفراده دون سائر الحيوانات بقوة العقل والادراك...»

والذي نفهمه من هذه الفقرة وجود الملائكة في السماء . وهي مخلوقات بين الاله والبشر وبعبارة اخرى فهي من اعوان الاله ومثل « فئة الخير » . وهنا تتفق الروايتان في ان الآلهة خلقت لها اعواناً . ففي الاسطورة البابلية ان كلاً من مردوخ وتيامات خلق اعواناً له

٦ — في التكوين (٢ : ٧) « . . . نفخ (اي الله) في انفه (اي الانسان) نسمة حياة » يقابلها في الاسطورة البابلية اراقة دم كنجو لمزجه بالتراب الذي جبل منهُ الانسان والعمل واحد من حيث جوهره ويقصد به افهام الحقيقتين الآتيتين : الاولى ان هذه النفحة وهذا الدم هما الحياة او الروح التي يحيا بها الانسان والثانية ان هذين هما سبب ما في الانسان من إدراك وفهم. فنسمة الحياة «الالهية» «ودم كنجو» شيء واحد، وواسطة واحدة لذلك

٧ — يذكر التكوين خلق اربعة انهر اما الاسطورة البابلية فتذكر اثنين فقط . وهذان الاثنان ، ادجلات ، ويوراتو هما نفس حداقل والفرات . ومن المنتظر ان يكون اليهود الذين تجولوا في الارض اقدر على معرفة الانهار من اهل القصة البابلية الاصليين الذين لم يعرفوا إلا هذين النهرين او على الاقل لم يتأثروا بغيرهما تأثراً محسوساً

٨ — والذي يجب الانتباه لهُ خاصة هذا الشبه بين المصدرين فيما يتعلق بالحية . فالتكوين يعتبر الحية اجمل الحيوانات واقدرها على مناهضة الانسان [illegible] وبين المرأة ، وبين نسلها (تكوين ٣ : ١٥) والاسطورة البابلية تعترف صراحة ، اذ يشير الى ان هذا الشكل هو احد الاشكال التي اتخذتها تيامات لتلقي الرعب في نفوس اعدائها . ودوام العداء بين تيامات ومردوخ ، هو عداء دائم بين الحية واعوان مردوخ . فالعداء المستحكم متفق عليه في الروايتين ، والانسان من اعوان الله . فكان الامر عداء بين الحية (ممثلة الشر) وممثل الخير . وهو واحد في طبيعته . . . وانما الخلاف في التعبير بالنسبة للقومين

١١ — المشكلة الكبرى والخلاف الجوهري

يمكننا الآن ان نقرر امرين بعد هذه المقابلات والاستنتاجات . وهما : —

اولاً : ان اكثر التفاصيل تتفق في الروايتين الى درجة بعيدة عن حدود المصادفة والاتفاق من جهة ، وانها في بعض اختلافاتها هي اختلاف عرض لا اختلاف جوهر

ثانياً : — ان نقطة الخلاف الاساسية تدور حول فكرة الاله . ففي البابلية ان الآلهة منذ البدء قسمان او فئتان — فئة الخير وفئة الشر وكانت الواحدة تناهض الاخرى . اما

العبرانيون فقد اعتقدوا ان كل شيء حتى الهول والشياطين هي من مخلوقات الله (يهوه) اي انهُ واحد منذ البدء . وهذا ما نريد ان نستجليه الآن

ان فكرة الاله او النظرية الالهية تطورت عند العبرانيين الى درجة لم تعرفها الامم السامية الاخرى . وقد تيض لهم ان تحيط بهم امور خاصة ، وأحوال لم تكن لغيرهم ، أعانت الفكرة الدينية على ذلك . ومن ثم اتيح لهذا القوم الذي كان يعتقد بوجود اله لكل شيء او جزء من الارض او بئر الخ . . .والذي كان يعبد هذه الآلهة — اتيح له ان يكون اول امة اخرجت « التوحيد للناس » . (وآتي احيل القارىء على الفصل السابع من كتاب العصور القديمة لبرستد وعلى الفصل السابع من كتاب تاريخ حضارة فلسطين للاستاذ مكلستر ليطلع على درجات هذا التطور ومراحله)

فلما اخذ اليهود بكتابة تاريخهم ؛ ليثبتوا فيه انهم شعب الله الخاص ، كان عليهم ان يبدأوا ذلك بالخليقة ليحلوا مشكلة « بدء العالم » لان ذلك متصل بفرضهم اتصالاً وثيقاً

وكانت الاسطورة البابلية قد انتقلت اليهم اثناء اقامتهم بين النهرين ، واصبحت جزءاً من تقاليدهم وعاداتهم ، لكنها خضعت لما خضع له كل ماكان عندهم من آراء دينية من التطور . وكانوا يرون فيها — على ماكان يسمح لهم تفكيرهم — حلاً لمشكلة الخليقة ، فقبلوها في كتابهم . ولكن الكاتب الذي دوّن سفر التكوين — ولا فرق في ان يكون موسى على مايرى البعض او مؤرخاً مجهولاً على رأي برستد او يوسف على تحقيق الاستاذ جيرضومط — كتب هذه القصة البابلية الاصل — او السومريّته على الاصح — متأثراً بعامل التوحيد الالهي . فلما اراد ان يشير الى ماكان في عصيان بعض المخلوقات على الله — وهي فكرة النزاع بين مردوخ وتيامات قبلها — اضطر الى القول بان الشيطان والهول . . . هي من خلق الله ايضاً . لكنها عصته اذ ليس في استطاعته ان يأتي بغير ذلك لمخالفته لعقيدة قومه وزمنه . وبذلك تمكن من التوفيق بين الاسطورة التي كانت تفسر مظاهر الطبيعة وخلق الكون ، وبين عقيدة قومه الدينية

١٢ — النتيجة

يتضح لنا مما تقدم ان اسطورة الخليقة البابلية هي اصل قصة الخليقة العبرانية المدونة في سفر التكوين . والفرق يعود الى ما مرَّ على العبرانيين من ايام ودهور اختبرت فيها اشياء جديدة ، وتطوّرت على شكل لم يتح لغيرها . وكان طبيعيًّا ان تظهر آثار هذا التطور في هذه القصة الدينية — على النحو الذي نراه في سفر التكوين

عكا (فلسطين) قولا زياده

محمد بن موسى الخوارزمي

الرياضي العربي

من اغرب ما نشهده اليوم ان عقلاء الغربيين يعترفون بما لحضارة الشرق من فضل على حضارتهم التي يعتزون بها وان بيننا من ينكر ذلك بل ربما دفع الغلو بعضنا الى التنقص من أسلافه والاستخفاف بكل ما هو شرقي، ولكننا لو تدبرنا الامر قليلاً وبحثنا عن منشإ هذا الغلو لوجدنا له مبرراً. أن تاريخ رجالنا السالفين قد احيط بعضه بسحب كثيفة من الابهام وتُقيد البعض الآخر منهُ ،وكان للخمول والكسل حظهما في اهمال كثير من اعمال الرجال الآخرين . ووقفة قليلة عند رجال الادب نجد أن هؤلاء — وهم اوفر من غيرهم حظاً في البحث والتحليل — لازال شخصياتهم غامضة ولم يتيسر الا لقليل منهم ان يدرس حق دراسته . فما عسى ان يكون حظ غيرهم كالرياضيين والطبيعيين مثلاً من الاهتمام والغوص على كنوزهم والتنقيب عن آثارهم مادمنا حتى يومنا هذا لا نتتبع بكتاب علمي عليه طابعنا العربي وسمة ثقافتنا الشرقية . قلنا ان هذا الامر مبرر للغلو بعضنا ولكن هذا التبرير هو حجة علينا اذ من الواجب لازالة هذا الغلو ان تتولى أمر الكشف عن حقيقة رجالنا وآثارهم بانفسنا ومتى تمّ لنا ذلك لا يبقى موضع للادعاء بان العرب لم يكونوا يوماً مخترعين مستنبطين وانهم ليسوا الا نقلة عن غيرهم من الامم . ان للعرب عدا نقلهم عن اليونان والهنود اضافات هامة تعتبر اساساً من أساس الحضارة الاوروبية القائمة الآن . وللعرب فضل مذكور معترف به عند المنصفين من علماء الغرب في تقدم الكيمياء والجبر والمثلثات والفلك وغيرها من العلوم. بل العرب هم الذين اضافوا الى علم الفلك شيئاً كثيراً بعد ما نقلوه وهم الذين دونوا اصوله ورتبوها وقل مثل ذلك في علم الجبر الذي لم يكن معروفاً تماماً عند اليونان فاكتشفوا كثيراً من نظرياته التي نعرفها الآن ووضعوا حلولاً جبرية وهندسية لمعادلات ابتدعوها مختلفة التركيب . وفي الحساب اضافوا اشياء هامة ولا سيما في نظرية الاعداد ويقال ان العرب هم اول من استعمل لفظة (صفر) لنفس المعنى الذي نستعمله نحن ، اما في المثلثات فقد تفننوا فيها كثيراً ، وكان لهم فيها باع طويل جداً ، واليهم يرجع الفضل في اكتشاف قانون تناسب الجيوب ، وحسبهم فخراً انهم اول من اكتشف قانوناً عاماً لحل المثلثات الكروية . واول من وضع

الجداول الرياضية لنظير المماس والقاطع ونظيره [١]

ويعد فأن الخوارزمي أحد الذين كان لهم الفضل الاكبر في تقدم العلوم الرياضية وفي ترتيب اصول اهم فرع فيها — الجبر — وقد قال عنه احد علماء الغرب بانهُ اعظم رياضي عربي ظهر في عصر المأمون [٢] وهذا القول هو الحقيقة عينها

وخلط الافرنج بينه وبين ابي جعفر محمد بن موسى بن شاكر فكان يعرف لزمن طويل بهذا الاسم أي بأبي جعفر. والخوارزمي من اصل تركي [٣] ولد في خراسان واقام في بغداد وكان احد اعضاء البعثة التي ارسلها المأمون الى الاقطار للبحث والتنقيب

وللخوارزمي عدة مؤلفات في فروع مختلفة ولاسيما في الرياضيات والفلك ، فقد كان بحاثة محبًا للاطلاع على علوم الاولين — شأن علماء عصره — وكان من نتيجة درسه واطلاعه ان اخرج كتاباً في الجبر سماه : « كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة »

ويقال ان الخوارزمي اول من وضع الجبر بشكل علمي واول من الّف فيه ، وهذا القول الاخير لم يرد في مؤلفاته ولكننا نرى ان ابن خلدون يقول في مقدمته بأن الخوارزمي اول من الف كتاباً في الجبر والمقابلة . ولاتزال هذه المسألة موضع البحث والمناقشة بين العلماء كما كانت في زمن الخوارزمي. وورد في مقدمة كتاب « كتاب الوصايا بالجبر والمقابلة » لابي كامل شجاع بن اسلم ما يشير الى أن الخوارزمي اول من طرق علم الجبر [٤] . وورد أيضاً في مقدمة كتاب « كتاب الجبر والمقابلة » لابي كامل المذكور اعتراف صريح منهُ بان الخوارزمي سبقه في وضع كتاب في الجبر [٥] وورد أيضاً ما نصه « ... ... فألفت كتاباً في الجبر والمقابلة رتبت فيه بعض ما ذكره محمد بن موسى في كتابه وبينت شرحه واوضحت ما ترك ايضاحه وشرحه » [٦] فشرح ابي كامل لبعض المسائل الغامضة في كتاب الخوارزمي لايقلل من قيمته بل على الضدّ من ذلك يرفع من شأنه

وقد الف الخوارزمي كتابه الذي نحن بصدده لاسباب كثيرة منها انهُ رأى احتياج الناس الى كتاب يعينهم في معاملاتهم التجارية وفي مسح الاراضي وفي حل المسائل التي يصعب حلها حلاً حسابيًا ، وهو اول من استعمل لفظة « جبر » لعلم المعروف الآن بهذا

---

(١) مجلة الكلية : ايار سنة ١٩٢٨ صفحة ٣٦٩ (٢) سميث : تاريخ الرياضيات صفحة ١٧٠
(٣) صالح زكي : آثار باقية : جزء ٣ صفحة ٢٤٧
(٤) صالح زكي : آثار باقية : صفحة ٢٤٨
(٥) » » » ٢٤٩
(٦) » » » ٢٤٩

الاسم ومن هنا اخذ الافرنج هذه اللفظة وسموا بها هذا العلم . ويقسم (كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة) الى خمسة ابواب

الباب الاول يبحث في المعادلات ذات الدرجة الاولى والثانية وكيفية حلها . وقسم المعادلات الى ستة اقسام ب س^{٢} = حـ س ؛ ب س^{٢} = د ، حـ س = د ؛ ب س^{٢} + حـ س = د ، ب س^{٢} + د = حـ س ، ب س^{٢} = حـ س + د (٤)

واستعمل الخوارزمي الجذور الصحيحة الموجبة ، ولم يجهل ان المعادلة ذات الدرجة الثانية لها جذران ، واستخرج جذري المعادلة اذا كانا موجبين وصحيحين

وفي الباب الثاني برأهين بعض القوانين الجبرية بطرق هندسية

اما في الباب الثالث فقد توسع في نظرية ضرب المقادير الجبرية مثل (س — ب) في (س — حـ)

ويشتمل الباب الرابع على حلول كثير من المعادلات بطرق هندسية ، ولأبين ما لهذا البحث من المقام اقدم المثال الآتي

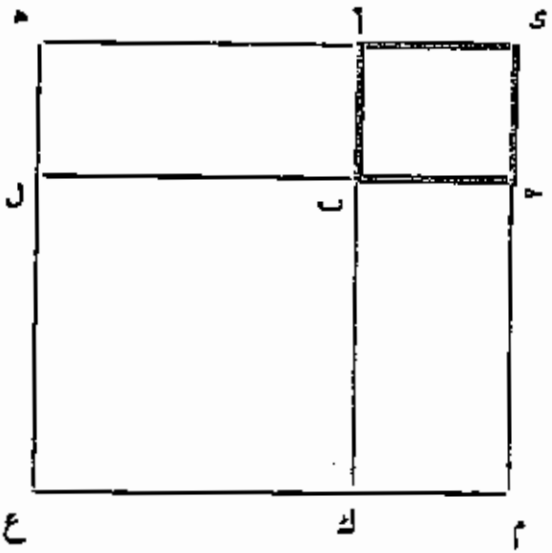

س^{٢} + ٨ س = ٢٠

نفرض أن (حـ ب) = س

ثم نشيء المربع أ حـ ، ونمد ى أ ، ى حـ الى ه ، م

على شرط ان يكون أ ه = حـ م = $\frac{١}{٢}$ × ٨ = ٤ ، وبعد ذلك تكمل الرسم كما ترى في الشكل

(٤) صالح زكي : آثار باقية صفحة ١٥٢

مساحة المربع أ حـ = س × س = س٢

مساحة المستطيل ب هـ = ٢ × س٢ او ٢ × ٢ س

مساحة المستطيل ب م = ٢ × س٢ او ٢ × ٢ س

وحينئذ س٢ + ٨ س تساوي مجموع مساحة المربع أ حـ ومساحتي المستطيلين ب هـ ، ب م.

ولكن س٢ + ٨ س = ٢٠

لذلك مجموع مساحة المربع أ حـ والمستطيلين ب هـ ، ب م يساوي ٢٠

ولكن مساحة المربع ب ع = ٤ × ٤ = ١٦

فاذا اضفنا مساحة ب ع الى كل من الطرفين نتج أن :

س٢ + ٨ س + ١٦ = مساحة المربع أ حـ + مساحة المستطيل ب هـ + مساحة المستطيل ب م + مساحة المربع ب ع

ولكن س٢ + ٨ س + ١٦ = ٢٠ + ١٦ = ٣٦

ومساحة المربع أ حـ والمستطيلين ب هـ ، ب م والمربع ب ع تساوي مساحة المربع د ع

∴ مساحة المربع د ع = ٣٦ اي ان الضلع د م يساوي ٦ ولكن د م يساوي س + ٤

∴ س + ٤ = ٦

∴ س = ٢

ويشتمل الباب الرابع أيضاً على قوانين لجمع المقادير الجبرية وطرحها وضربها وقسمتها وعلى كيفية الرفع الى القوى واستخراج الجذر التربيعي

وفي الباب الاخير تطبيقات على بعض النظريات ومسائل رياضية نرى من نمطها في كتب الجبر التي تدرس الآن في المدارس الثانوية

وكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة له شأن تاريخي كبير اذ كلّ ما القهُ العلماء فيما بعد كان مبنيًّا على الكتاب المذكور . وقد ترجمهُ الى اللاتينية [1] في القرن الثاني عشر للميلاد روبرت أوف شستر Robert of Chester ومما يؤثر عن هذا الرجل اهتمامه الكبير بمآثر الشرق في الرياضيات فقد ذهب الى اسبانيا ودرس في برشلونه وهو (اي روبرت)

(١) سميث : تاريخ الرياضيات : صفحة ١٧٠

اول من ترجم القرآن الكريم الى اللاتينية [١] وبذلك عرفهُ الى الغربيين

وبفضل ترجمة الحبر الى اللاتينية استفاد كثير من علماء القرون الوسطى وأوائل القرون الحديثة فكانت مباحثهم ومباحثهم الرياضية فاشتهر اثر ذلك فيبوناتشي (Fibonace) ولوقا دو بورغو (Lucas de Burgo) وباچيولي (Paccioli) وقاردان (Cardan) وتارتاغليا (Tartaglia) وفراري (Ferrari) [٢] وغيرهم

وشرح عبد الله بن الحسن بن الحاسب المعروف بالصيدلاني الكتاب المذكور في كتاب اسمه « كتاب شرح كتاب محمد بن موسى الخوارزمي في الجبر » وكذلك لسنان بن الفتح الحرّاني شرح للكتاب نفسه . واسم الشرح « كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي »

ومن مؤلفاته المشهورة ايضاً كتاب الحساب الهندي الذي انفه بعد كتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة . ومن الغريب ان هذا الكتاب مفقود وغير مذكور في الفهارس المشهورة ككتاب الفهرست لابن النديم

وفي القرن الثاني عشر للميلاد ظهر رجل في انجلترا اسمه « ادلارد اوف باث » (Adelard of Bath) اشتهر بسياحته الى اليونان ومصر وبعض البلاد العربية بقصد الاستفادة من علوم الشرق . وقد نقل كثيراً من الكتب العربية الى اللاتينية ومن جملة ما نقله كتاب هندسة اقليدس وكتاب المختصر في حساب الهندي للخوارزمي تحت عنوان [٣] (Algoritmi de Numero Indorum) وكلمة الغورتمي (Algoritmi) نسبة الى مؤلف الكتاب — الخوارزمي

وكتاب الحساب هذا اول كتاب من نوعه دخل اوروبا حتى ان علم الحساب بقي زمناً طويلاً معروفاً باسم الغوريسموس [٤] (Algorismus) المأخوذ عن الغورتمي (Algoritmi) ولما كان لهذين الكتابين شأن خطير رياضيٌّ وتاريخيٌّ عند العلماء فقد كانا سبباً في شهرة مؤلفهما وتخليد اسمه . وللخوارزمي عدا الكتابين المذكورين مؤلفات اخرى ككتاب « زيج الخوارزمي » وكتاب « الرخامة » وكتاب « العمل بالاصطرلاب » وكتاب (التاريخ)

نابلس — فلسطين قدري طوقان

ب . ع

(١) سيت : تاريخ الرياضيات صفحة ٢٠٣
(٢) صالح زكي آثار باقية « ٢٥١
(٣) سيت : تاريخ الرياضيات : صفحة ١٧٠
(٤) صالح زكي : آثار باقية : صفحة ٢٥١

العلم والشعوذة في قياس الذكاء

ردٌّ على الدكتور هري جنصن [1]

بقلم الدكتور حسن عمر
مساعد استاذ البيداجوجيا الطبية بمعهد التربية في القاهرة

ما ظهر علم حديث او نبتت فكرة جديدة تمتُّ الى العلم الاَّ ونشط لها من النقاد مفتدون ومحبذون ، اولئك يوهون عمده وأسانيده بما يدلون من ادلة وبراهين وهؤلاء يعززون عمده وأسانيده بما يبسطون من حجج وبراهين ، والحكم فيما ينشأ بين هؤلاء النقاد والعلماء من الجدل والحوار انما هو للنتائج الحسنة التي تمحصها التجارب

لم يكن الاستاذ (هنري جنصن) أول من انتقد قياس الذكاء ولا هو آخر من سينتقده. غير ان الاستاذ عالم في علم النفس فهو لذلك اجدر من يمكنه علمه من نقد فرع جديد من فروع هذا العلم الذي يتلقاه عليه طلبة جامعته . اني ارى ان النظرية الطبيعية لرقي العلم ونظرياته انما هو التمحيص والفحص والانتقاد . ولشدَّ ما سُفِّهَ ارخميدس حينما فاه باكتشافه واعتُرض على جاليليو حين نشر آراءه وضحك من كولومبس وسُخِّر به لما شرح فكرتهُ ، وكم قيل ولا يزال يقال في نظرية اينشتين الحديثة في زمننا هذا . ومن العجيب ان هذه الانتقادات كانت ادعم الوسائل لنشر حقيقة هذه المباحث فأصبحت قوانين يعمل بها في العلوم الحديثة لا مجرد نظريات تقرأ وتطوى

ان علم النفس ليس علماً حديث العهد بل هو قديم شبَّ مع الفلسفة وترعرع معها. كان عمل الفيلسوف في الزمن الغابر هو قراءة الكتب السيئة وهو جالس على طراحته او كرسيه او منضدته يحفظ منها ما يروق له ويحذف ماشاء ان يحذف . طال امد الرابطة بين الفلسفة وعلم النفس وأصبحا في مؤخرة العلوم في التقدم فلم يبحثْ اي بحث لترقيتهما ولم يبذلْ اي سعي للنهوض بهما فانسلخ علماء علم النفس عن رجال الفلسفة وقاموا بنهضة مباركة اذ طرحوا الآراء الفلسفية والافكار الخيالية ظهريًّا وشرعوا في المباحث التجريبية والعمليات التطبيقية. تقدم علم النفس وتشعب وشعر العلماء بحاجتهم اليه في الحياة اليومية العملية فعملوا جهد المستطاع للاستفادة منه بعد ما قضوا زمناً لا يقل عن الاربعين عاماً في تجارب

(١) راجع مقالة « العلم والشعوذة في مقاييس الذكاء » بقلم الدكتور هري جنصن بمجلة الهلال عدد ابريل صفحة ٣٨٨

وبحوث وتطبيقات على الانسان في مختلف الاعمار والسنين . بدأ الاستاذ جنصن نقده لقياس الذكاء بأنه خيال لا حقيقة له يريد بذلك تطبيق النظريات المنطقية على هذه المقاييس

اما يا استاذ اول من يهتم بتطبيق النظريات المنطقية وفقاً لرغبتكم ولنا ولعلم عظيم ايضاً بتطبيق العمليات والتجارب . بنى الاستاذ كل نقده على محور قياس المحسوسات او الاشياء المحسوسة او المرئية ولكنه ، مع الاسف الشديد ، نسي او اراد ان يتناسى ان هنالك اشياء غير محسوسة وغير مرئية ولها اقيسة تقاس بها يخضع لها العالم والعلم معاً . فاذا يرى الاستاذ في عداد الكهربائية في داره ؟ ألا يخضع حضرته لهذا القياس الكهربائي ؟ اظن انه يدفع القيمة في آخر كل شهر نقوداً تعادل ما صرفه من تيار الكهربائية ؟ هل فكر حضرته فيما هي الكهربائية ؟ وما معنى الكيلووط ؟

لقد وضع الاستاذ جُنصن خمس نقط نلخصها فيما يلي : —

(١) اذا اثبتنا ان تخذ صفة جسم مقياساً لصفة اخرى وجب حتماً وجود صفة الجسم الاولى

(٢) الصفة التي يراد قياسها يجب ان تكون من الصفات التي يستطاع مراقبتها وقياسها مستقلة عن الصفات الاخرى . فاذا تعذر قياس صفة بطريقة مباشرة فمن الاولى تعذر قياسها بالطريق غير المباشر

(٣) يجب ان تكون الصفة التي يرام قياسها مرتبطة بالصفة التي نروم ان نستعملها مقياساً

(٤) يجب ان يكون نوع الارتباط بين الصفتين معروفاً وثابتاً

(٥) اذا كان الارتباط بين الصفتين غير تام كانت نتائج المقياس غير تامة

تلك هي القواعد التي وضعها الاستاذ لتحقيق قياس الشيء قياساً منتجاً صحيحاً يعوَّل عليه

ذكرنا له الكهربائية وقياسها وكذلك نسائل الاستاذ رأيه في الصوت وقياسه بالمتر ؟ والضوء وقياسه ؟ كل هذه الاشياء غير محسة وانما عُمل لها قياس خاص . وفوق ذلك فما هو مقياس المسافات بيننا وبين الكواكب اللامعة ؟ هل قاسها العلماء بالمتر كما يقاس قضيب من الحديد ؟ ان قياس المسافات البعيدة يطبق عليها علم حساب المثلثات فان خالفنا الاستاذ في هذه المقاييس كان كأنه يريد هدم علم من العلوم الثابتة القديمة . اني لاحظت ان الاستاذ متشبث بكلمة مقياس (متر ويارده وميل) فهل فكر جنابه ما اصل هذه المقاييس نفسها التي اخذها مقياساً يقيس بها كل شيء ؟ اننا لو رجعنا الى الوراء قليلاً لوجدنا انها اصطلاحات أصطلح عليها ولكل بلد اصطلاحهُ الخاص ، فمثلاً اوربا الوسطى عمدت الى ما سمته المتر اساساً لقياس الاطوال ، واليارده في انجلترا ، والذراع عند العرب . كذلك اصطلح علماء الكهربائية على قياسها بما يسمونه بالكيلووط . وكذلك الزمن فقد أصطلح على

ان اليوم يقسم الى اربع وعشرين ساعة وكل ساعة ستون دقيقة وهكذا. تلك كلها اصطلاحات عملت لقياس مختلف الاشياء غير المحسوسة والا فما العلاقة بين الساعة والنهار قبل ان يصطلحوا على تقسيم اليوم الى اربع وعشرين ساعة ؟ وأنه ليغلب على الظن ان هذا القياس الزمني وغيره صادف ايضاً بادىء الرأي نقاداً ومعتدين ولكنهُ بقي «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض». كذلك يا سيدي الاستاذ اتا نتبعنا خطوات السلف في قياس الاشياء المعنوية او غير الملموسة . ان قياس الذكاء ما هو الا نتاج مهده فان يكن قد ترعرع ومشى بسرعة فما ذلك الا للفوائد الجمة التي انتجها العمل به والاعتماد عليه في الاعمال اليومية

اتا لم نضع مقياس الذكاء اعتباطاً بل توخينا الاخلاص في العمل التجريبي والتطبيقات الجدية على الاطفال في مختلف العُمُر

لقد نبه السير فرنسيس غلتون وهو من علماء علم النفس وعلماء الحياة بأنهُ من الممكن قياس الذكاء وقد قال ذلك عرضاً في مقالة (عن اصل الحيوان) وكان ذلك عام ١٨٨٣ . فنهض العلماء نهضة مباركة للبحث عن الذكاء وقياسه ثم تبعه الاستاذ مك كاتل الاميركي وعمل تجارب عدة مفيدة اعتبرت في الوقت الحالي انها النواة الحقيقية لتجارب علم النفس

ومن عهد أن نبه السير فرنسيس غلتون الاذهان الى الذكاء وقياسه في القرن التاسع عشر والعلماء يجدون ويبذلون الجهد في عمل التجارب التي كانوا يعتقدون انها توصلهم الى قياسه فمنهم من قال ان الحس عامل جوهري من عوامل الذكاء اي ان كل من كان عنده قوة الحس شديدة وسريعة كان ذكاؤه عظيماً . عاشت هذه النظرية وقتاً ثم لقيت معارضة شديدة فقالوا اخيراً انها لا تجدي ولا تشرح حيث أن الحيوان له حس وكذلك المجنون والابله. ثم قامت فئة بعض الباحثين بأن الافعال المنعكسة (رد الفعل) تدل على الذكاء وقد جربت ولكن النتيجة كانت غير مجدية . وقد قيل كذلك ان كبر حجم الجمجمة وصغرها من علامات قوة الذكاء وضعفه . وقد فحص الاستاذ بيرسون (٥٠٠٠) طالب من جامعة كولومبيا فوجد ان العلاقة بين حجم الجمجمة والذكاء تكاد تكون معدومة ولا يجوز الاعتماد عليها ولا الاستناد بها في اي تجربة لقياس الذكاء

كل هذه التجارب والمباحث اخذت زمناً ليس بالقصير وكانت نتائجها غير مجدية ، الا ان الاستاذ (بينيه) الفرنسوي كان من المولعين بقياس الذكاء فنشط في ابحاثه وغم انه ضلَّ مع الضالين بادىء الامر . فقد ظن ان قوة ارادة الحركة والحس كمس الجلد بأشياء باردة وساخنة او بأجسام صلبة ومدببة وخلافها وقياس الفعل والانعكاسات سُبُل مجدية في قياس

الذكاء . ولكنه لاحظ انها غير مجدية بل عديمة النفع وكان يعتقد انه اذا وفق الى مقياس يستطيع ان يختبر به الوظائف العقلية العليا بحيث يتمكن الناس من استعماله في حياتهم ومعاملاتهم اليومية فانه يكون قد وفق الى خير مقياس للذكاء يمكن اخراجه للناس . وقد خصص مواهبه العلمية لانجاز هذا العمل وعكف عليه زمناً طويلاً ووفق فيه الى غرضه واخرج مقياساً علمياً عملياً حقاً . ففي سنة ١٩٠٥ أعلن بينيه أنهُ اخترع مقياساً وقتياً لفحص الذكاء وهو يحتوي على ثلاثين اختباراً كل واحد منها يحتاج الى مجهود عقلي وقد رتبها حسب المستطاع متدرجاً من السهولة الى الصعوبة . وفي سنة ١٩٠٨ اقترح الاستاذ (بينيه) طريقة التدرج التي وقد انشأها بعد ان جرّب عدة تجارب ولم يخبر احداً كيف طرأت عليه فكرة هذه الطريقة الاَّ انهُ قد عرف حديثاً أن مقياسهُ الابتدائي قد تغير تدريجيًّا الى ما هو عليه اليوم من الدقة والاحكام . واكبر عمل اشتهر به الاستاذ بينيه هو الطريقة الحديثة المبتدعة التي استعملها (المقياس المئيني لقياس الذكاء)

اننا نلاحظ ان احدنا اذا اراد ان يؤنب ولداً صغيراً أخطأ في عمل ما فانهُ يقول له مثلاً (انك لست بصغير بل أنت ابن خمس سنين) اننا من هذه العبارة نستنتج ان المؤنب يفهم ما هي « عقلية » ولد عمره خمس سنوات وان لكل سن « عقلية » خاصة تتدرج مع السن الجسمانية الى ارقى منها مع الزمن . تلك هي العوامل التي خالجت عقل الاستاذ بينيه وجعل السن الاساس لمعرفة مقياس ذكاء الاطفال . ان الطفل من يوم ولادته حتى سن الشباب يرقى ويكبر تدريجاً وبالمشاهدة لاحظنا ان الطفل اولاً يجلس منفرداً ثم يحبو ثم يمشي مستنداً الى الحائط ثم يمشي بنفسه وذلك في اثناء العام الاول من حياته . ان المدقق من الباحثين في شئون الطفل من يوم ولادته حتى سن شبابه يلاحظ صفات عقلية مختلفة واعمالاً جسمانية متفاوتة وها هوذا الاستاذ كوهلمان احد المدققين في هذه التجارب يكتب لنا مشاهداته وتجاربه في عدة اطفال مبتدئاً من الثلاثة الاشهر الاولى فيقرر ان معظم الاطفال في هذه السن يعملون اعمالاً واحدة فمثلاً

(١) يضع الطفل أصبعهُ أو اي شيء تصل اليه يده الى فمه
(٢) يتفزز لسماعه اي صوت فجائي
(٣) تتابع عيناه اي شيء يتحرك امامهُ
(٤) يرمش اذا حرك شيء امام عينيه

واما ملاحظاتهُ التجريبية على الاطفال في الشهر السادس من عمرهم فاهمها ما يلي: —

(١) يجلس معتدلاً

(٢) يجتهد ان يمسك مايراه

وملاحظاته على الاطفال في سن السنة هي : —

(١) يمكنهُ الوقوف معتدلاً والجلوس

(٢) يستطيع الطفل النطق بكلمات مفردة

(٣) يقلد الطفل الحركة

هذا وقد درس الاطفال درساً جديداً فوجد ان الاكثرية تعمل هذه الاشياء . فمن تلك هذه نستنتج ان الطفل العادي اي الآخذ في دور النمو العادي جسماً وعقلاً يعمل هذه الاعمال . هذه هي القاعدة التي استنبط منها وبنى عليها مقياس الذكاء. لقد كان الاستاذ (بينيه) يحضر اولاداً كثيري العدد في سن الثامنة مثلاً ويلقي على كل ولد على انفراد اسئلة عامة (غير مدرسية) فان وجد ان ٦٠ ٪ من كل هذا العدد من الاولاد اجادوا الاجابة من هذا السؤال عده صعباً على ابناء هذه السن وغير لائق لهم وان احسن الاجابة عنهُ ٩٠ ٪ او يزيد عده سهلاً عليهم وان وجد ان ٧٥ ٪ تقريباً اجاد الاجابة عليه عدهُ لائقاً لهم ووضعه ضمن الاسئلة الخاصة بهذه السن لانهُ يتفق ومقدرتهم العقلية . ولقد مشى الاستاذ على هذه الطريقة حتى وضع لكل سن من الثالثة الى السادسة عشرة أسئلة بلغت نحواً من ٥٤ سؤالاً ظهرت صلاحيتها بعد ان طبقها جميعاً على الاطفال وفاق قاعدته

لقد بالغ الاستاذ جنصن في سخره من التجارب العلمية والمشاهدات والملاحظات وتلك العمليات التي وصل اليها مقياس الذكاء ، بل وانكر القياس الا ان يكون ملموساً وكان الاجدر به ، وهو الاستاذ في علم النفس ان يقرر تجارب هذا العلم لا ان يهدمها من اساسها. كان الاجدر به ان يقوم بتجارب مقياس الذكاء بنفسه ويتحرى اصلاح ما فيها من عيوب وأخطاء ان وصلت تجاربهُ الى شيء من ذلك ثم يعلنهُ للملا فيكون بذلك قد ادى واجبه كعالم . وكان له ان يفسر الذكاء كما فسّره المجتهدون مثل الاستاذ ايستون الالماني بقوله (ان الذكاء هو قوة فعالة في الشخص تدفعهُ للسير في شئون الحياة بنجاح في جميع اطوارها وتطوراتها)

لا ندري ما قصد الاستاذ جنصن من تهجمه على قياس الذكاء من غير مبرر. فلا هو جرّب تجارب ولا قام بأختبارات طبقها على المقياس بل انهُ كتب ما كتب معتمداً على النظريات الفلسفية عديمة الجدوى . ولو عوّلنا في علم النفس العملي والتطبيقي على ما أراد وانتظرنا ان يتجسم الذكاء كما يحب ويهوى فلن يكون للذكاء مقياس ما دام الذكاء هو الصفة المجهولة (كما يدعي الاستاذ جنصن) ولكنهُ (الصفة الفعالة التي تدفع الشخص لان يكون ناجحاً ومتمشياً مع الحياة بنجاح) وهذا كما نعرفه الآن

ولكان عسيراً عليه ان يستنبط مقياساً مهما طال به اجل البحث النظري

اما وجدنا مقياساً متسقين فيه مع طبيعة الانسان من يوم ولادته حتى سن الشباب . درسنا الحالة الطبيعية في كل يوم من حياة الطفل بل وفي كل لحظة من يوم ولادته مستندين الى ملاحظاتنا ومجاربنا وتدوين ما نراه من حركاته بأعيننا وما نسمع من الفاظه بآذاننا

فهل المشاهدات وملاحظات طبيعة الطفل ليست ذات قيمة عند الاستاذ جنصن

لقد اعترف الاستاذ جنصن في آخر مقاله حيث قال (الواقع ان لهذه الامتحانات (مقياس الذكاء) فائدة واحدة وهي التفريق بين اذكى المتحنين وابلدهم . فاذا اخذنا فرقة مدرسية وفحصناها بأحد مقاييس الذكاء لوجدنا ان العشرة في المائة الذين ينالون اعلى الرتب في هذا الامتحان هم كذلك اوائل الفرقة في دروسهم والعشرة في المائة الذين ينالون اوطأ الرتب في الامتحان هم كذلك أواخر الفرقة في دروسهم)

عجباً لقد اعترف الاستاذ اخيراً بان هناك ميزة واحدة لهذا المقياس . نعم اعترف حضرتهُ بأن المقياس يفرق بين العشرة الاول من الفصل والعشرة الاخيرين منهُ . واني اصارحهُ بان هذا اعتراف صريح ان هناك صفة موجودة وهي (المقدرة على التعليم) التي انكرها وكذلك اعترف بميزة المقياس وفائدته في التفرقة بين الذكي والغبي كل هذا اعترف به صراحةً وكتابةً اذاً فهو يشاركنا في مقياس الذكاء ونفعه وفائدته للعلم والطالب وربما يكون تذمر الاستاذ من المقياس ناشئاً من انهُ لم يكن كاملاً من بعض نواحيه وان كثيراً من العلماء اخرجوا مقاييس كثيرة للذكاء فمنها النافع المفيد ومنها ما هو غير ذلك الا اننا في مباحثنا لا نستعمل مقياساً الا بعد ان ننشر نتائجه واعماله ونتحقق من فوائده

شاعت المقاييس وأصبح منها ما يماثل مقياس الابعاد والاثقال والاحجام فمثلاً مقاييس الذكاء الفردية والجمعية وكذلك مقاييس قوة الارادة والمقدرة على التعلم والمقدرة الميكانيكية الخ

وهذه المقاييس وان كانت مفيدة الا ان اساسها التجارب اولاً وميل الطفل ثانياً واخلاقه وبيئته الخ . فلو تتبعنا افكار الاستاذ جنصن لكان علينا ان ننتظر الى ما شاء الله نبحث حتى نصل الى مقياس كما يحب ويشتهي . واني اوجه الى حضرته الكلمة الاخيرة بان النقد سهل والعمل صعب فليدان امامك يا استاذ فسيح فاخرج لنا مقياساً آخر للذكاء يسهل علينا مشقة العمل وحبذا الحان لو كان سهلاً في تطبيقه مؤسساً على المنطق وعلم النفس وما اشترطت علينا به وادعوك بالتوفيق

[المقتطف] لا بدَّ من الاشارة هنا الى ان الدكتور حسن عمر توفَّر في أوربا واميركا ومصر على درس «قياس الذكاء» وتطبيقه وله في ذلك كتاب عربي طبع طبعتين هو اول كتاب عربي من نوعه

المغفور لهُ السيد عبد الرحيم الدمرداش باشا

محسن شرقي كبير

الدمرداشي باشا

﴿ نشأته ﴾ : ولد صاحب الترجمة في القاهرة سنة ١٢٧٠ هجرية في زاوية جده بقرية الدمرداش بالعباسية. وهو ابن الشيخ مصطفى بن صالح اغا أحد المماليك الشراكسة المعاصرين لعزيز مصر الكبير محمد علي باشا . وقد تزوج صالح اغا من احدى كريمتي السيد محمد محمد الدمرداش شيخ السادة الدمرداشية اذ ذاك ورزق منها بالشيخ مصطفى والد المترجم لهُ وهو الذي خلف السيد محمد محمد الدمرداش في تلك الطريقة

وقد عني الشيخ مصطفى بتربية ابنه عبد الرحيم فارسله اولاً الى الكتّاب ثم الى الجامع الازهر الشريف وهناك تلقى العلم على كبار العلماء ومنهم شيخ الاسلام الشيخ الرافعي

ولما توفى الشيخ مصطفى في سنة ١٢٩٤ هجرية اقيم صاحب الترجمة شيخاً للسادة الدمرداشية مكان ابيه . وكان يبلغ من العمر اذ ذاك اربعاً وعشرين سنة . وظل فيها الى ان وافتهُ المنية

﴿ طريقته ﴾ : طريقة السادة الدمرداشية كغيرها من الطرق الصوفية قوامها الزهد والنسك والعبادة وتمتاز بخلوها من الحركات المنافية غير الطبيعية وقت الذكر. فيجتمع المريدون « للحضرة » وقراءة الاوراد في مساء كل خميس عقب صلاة العشاء تحت قبة ابي عبد الله المحمد الدمرداش ويأخذون في تلاوة القرآن الكريم باصوات خاشعة متهدجة ثم يشفعونها بتلاوة اذكار وادعية اخرى يضرعون بها الى المولى جل جلاله . ومن المريدين من يختلي في صوامع « خلاوي » اعدت لهم في بناء مسجد المحمدي ثلاثة ايام بلياليها في نصف شعبان من كل عام يصومون نهارها ولا ينامون ليلها ولا يكلمون احداً ولا يخرجون الا للوضوء او الصلاة وفي خلال هذه الايام يطوف النقيب بعد الغروب « بالمختلين » يوزع عليهم كؤوس السكر المذاب في ماء ممزوج بعصير الليمون ثم يأتيهم باطباق الارز المطبوخ بالسمن والقهوة

ويظل القراء طيلة هذه الليالي الثلاث في الزاوية يرتلون القرآن باصواتهم ترتيلاً فتنشرح لقراءتهم صدور المختلين ويذهب الكرى عن اعينهم . والمريدون في خلوتهم يقضون اياماً عدتها الايام التي اقامها النبي صلى الله عليه وسلم ومعهُ ابو بكر الصديق في الغار وقت هجرتهِ من مكة الى المدينة

ذلك هو نظام الطريقة التي تولى امرها المترجم له من عام ١٢٩٤هـ الى ١٣٤٨ هـ قاحيا اربعة وخمسين مولداً . وقد نهض بالمشيخة نهضة اعجب بها كثير من العلماء والعظماء والتجار والاعيان وارباب الصناعات فدخلوها زمراً حتى صار عدد رجالها قريباً من ٤٠٠٠ مريد

وهو عدد وفير يبلغ اضعافاً مضاعفة لما كان عليه في عهد اسلافه الكرام . وقد الف بين قلوب اتباعه وجعلهم اخواناً على سرر يوامي قويهم ضعيفهم ويشاطرون بعضهم بعضاً سراء الحياة وضراءها . ولم يفتهُ ان يجعل محل اجتماعهم لائقاً بهم فجدد بناء الزاوية وحوَّلها الى مسجد رحب وادخل فيهِ النور الكهربائي واصلح دورة المياه وجعلها على الطراز الصحي الحديث . وعبَّد الطريق الموصل الى المسجد فجعله شارعاً متسعاً نظيفاً

﴿ صفاته ﴾ : كان الفقيد العظيم جيد الصفات رضي الخلال . ورث عن والده الصلاح ولين الجانب ودماثة الخلق وطيب السريرة . وورث عن جده لوالده الصلابة في الحق والجرأة والصراحة والاعتماد على النفس . واكسبته حياته الاجتماعية البشاشة والحلم والظرف. وقد جمَّلت هذه الصفات كلها روح التواضع لله والعمل على جلب مثوبته . ودفع عقوبته . فجعلت منهُ بصفة عامة وجلاً تابه القصد كريم المروءة غزير النيل عظيم القدر لا يخفض رأساً ولا تعز لهُ قناة

وما تاريخ حياته الحافل بجلائل الاعمال الاَّ تطبيقاً لهذه الصفات. فاذا رأيتهُ مشمراً مهمًّا يؤم ديواناً او يقصد كبيراً فاعلم انهُ ماضٍ للخير يسعى لانجاز عمل كلف بهِ ممن تقطعت بهم الاسباب فلم يجدوا ملجأً الاَّهُ . واذا شهدتهُ متهللاً وضاء الجبين فأيقن ان خيراً قد تمَّ على يديهِ فاطمأنت نفسه وانطبعت حالته النفسية على اسارير محياه . واذا قابلته مقطب الوجه عابساً — وقليلاً ما يكون ذلك — فثمت صعب لم يذلل وهو ما يزال يعالجه بما أوتي من حيلة وطول حتى يظفر بما يريد . واذا سمعته يلج في مناقشة وتحتد فثق انهُ يناضل عن الحق الذي يعتقده وما ناضل عن غير الحق ولا سار مع الهوى . واذا الصت اليهِ وهو منشرح الصدر منبسط في حديثه فأنت امام انيس منير حلو الفكاهة. عذب الاشارة خفيف الروح والظل والهواء . واذا أويت الى بيته حيث تنتظره اخته وزوجه وكريمته رأيت الوفاء يفيض من شفتيه ورأيت كيف يكون احترام الاخوة وحب البعولة وحنان الابوة. واذا رأيته بعد ذلك يجود بآلاف الدرهمات من حر ماله ومال زوجه وكريمته ليدفع عن الفقراء والبائسين آصار الحياة العسيرة فاعلم انه يعطي درساً لغيره في الرياضة على عمل البر وما قصد غير الله فلهُ وحده ما وهب ، وللانسانية ما ابقى

﴿ حياته العامة ﴾ : قلنا ان الفقيد نشأ نشأة ازهرية . وكان الازهر اذ ذاك مهد الثقافة في مصر . فلما شبَّ وترعرع وجد من نفسه ميلاً لقراءة كتب التاريخ وتقويم البلدان وقد حبب اليه هذا الشغف زيارة البلاد الخارجية فما اتيحت له الفرصة فيما بعد زار اوربا والشام والقسطنطينية وفلسطين . وكان اختلاطه بكبار رجال الازهر ومن تخرجوا معه امثال المرحومين الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول باشا وفتحي زغلول باشا وقاسم بك

امين والشيخ عبد الكريم سلمان واختلاطه برجال السياسة امثال المرحومين رشدي باشا وثروت باشا وبرجال المال امثال حسن باشا سعيد وطلعت بك حرب وبرجال السيف امثال المرحوم ابراهيم باشا فتحي وغيره وبرجال الدين امثال صاحب الفضيلة الاستاذ المراغي وكان اجتماعه بهؤلاء وبغيرهم من الانجليز والاجانب ورجال الصحافة من العوامل الهامة التي صقلت معلوماته العامة وجعلته يستطيع ان يساير كل ندى يحضره فاذا ناقشته في اي موضوع الفيته حاضر البديهة ملمًّا به. وقد ساعدته على ذلك قوة ذاكرته المدهشة التي لازمته حتى الوفاة

وكان اختلاطه بالجمهور في حفلات الذكر وقيامه بما تتطلبه تلك الحفلات على احسن وجه من الاسباب التي مكنت له في قلوب الناس وجعلته محبوباً لديهم. فكان موضع الاحترام من العظماء. كما كان موضع الاجلال والمحبة من الدهماء ولم تنسه كثرة اختلاطه بالجمهور ان يقوم بأدق ما يفرضه واجب اللياقة نحو كبار ضيوفه وزواره من اية جنسية كانوا

وكل ذلك لم يصرفه عن تنمية موارده وأمواله فكان في ذلك موفقاً ايما توفيق وقد عمل بمقتضى القول المأثور « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا . واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »

واكبر الظن انهُ وفق في الحالتين . فكان رجلاً عصاميًّا استطاع بسعيه وحسن تدبيره ان يشقّ لنفسه طريقاً الى الجاه وان يصبح في عداد ذوي الثروة الطائلة . فكان بذالا في غير اسراف . متصدقاً في غير تقتير. ولم يلهه متاع الدنيا وتدبير المال عن القيام بواجبه الديني ولكنه كان قليل الاعلان عن نفسه من هذه الناحية. محافظاً على عادته الشرقية الموروثة فقد حافظ على زيه حتى النهاية ولم يأبه لمظاهر المدنية الخلابة التي لا تتفق والدين بل حارب تلك المظاهر في سروعته ودعا الناس الى عدم الاسترسال فيها والى التمسك بالعروة الوثقى من عاداتنا القومية فكان من هذه الوجهة مجاهداً له جزاء المجاهدين الصابرين

وخلاصة القول أن المرحوم كان وثيق العلاقة بالحياة العامة في مصر . له مركز ممتاز في أوساطها المختلفة . وقد انعم عليه المغفور له السلطان حسين بلقب « صاحب الفضيلة والارشاد » وانعم عليه جلالة الملك فؤاد برتبة « الباشوية » فكان اول من جمع بين هذين اللقبين في مصر . هذا عدا ما انعم عليه به من اوسمة ونياشين أخرى [1]

﴿ هبته الكبرى ﴾ وكان الفقيد ابى الا ان يتوج اعماله المجيدة بتاج الخلود . وابى الا ان تكون لمصر مكانتها بين الامم الحية . واراد ان يرفع المصريون رءوسهم بين الاجانب مباهين بان في وادي النيل رجالاً يحبون الخير للخير ويبذلون في سبيله أثمن ما ملكت ايديهم . هزته الاريحية ودعاه داعي الجود فتبرع هو والسيدتان المصونتان حرمه وكريمته

(١) وكان للفقيد صفحة سياسية في تاريخ مصر الحديث لم تثبتها هنا لان المقتطف مجلة غير سياسية

باقامة مستشفى خيري . وقدم قطعة الارض اللازمة لبناء هذا المستشفى ومساحتها ١٥ الف متر مربع تقدر قيمتها بمبلغ خمسين الف جنيه وتبرع لانشاء المستشفى بمبلغ ١٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات منها ٤٠٫٠٠٠ للبناء والتأثيث و ٦٠٫٠٠٠ ينفق على المستشفى من ريعها

وقد اعلن هبته لرئيس الوزراء في ٥ اغسطس سنة ١٩٢٨ فقابل دولته الخبر بالفرح والثناء وذهب توًّا الى قصر المنتزه فمثل بين يدي جلالة الملك واطلع جلالته على تفصيل هذا العمل الجليل فسرَّ جلالته كثيراً واثنى على فضيلة الواهب وابدى ارتياحه لهذا العمل البار واوعز بالتعجيل به تلبية لرغبة الواهب . وفي ١٤ اغسطس سنة ١٩٢٨ قرر مجلس الوزراء قبول الهبة وشكر سعادة الواهب واسرته على هذه الهبة الجليلة . وفي ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ تسلم مندوبو الحكومة قطعة الارض التي يقام عليها المستشفى من سعادة الواهب

وفي منتصف الساعة الرابعة بعد ظهر يوم السبت الموافق ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٨ احتفلت وزارة الاشغال بوضع الحجر الاساسي في بناء المستشفى الخيري بحضور دولة رئيس الوزراء وفخامة المندوب السامي وفضيلة شيخ الاسلام واصحاب المعالي الوزراء وعظماء مصر وكبار الجاليات الاجنبية وكل مسئول من رجال الطب والعلم والادب في البلاد . وكان الاحتفال فخماً شائقاً دل على تقدير عظيم لصاحب تلك الاريحية

ذلك هو العمل الخالد الذي قام به المرحوم المترجم له . وقد اشترط ان يكون المستشفى « عامًّا وان يقبل فيه جميع المرضى مجاناً بدون نظر الى جنسياتهم او دياناتهم . . . » انتشر خبر هذه الهبة وتحدثت بها الجرائد في افطار السالم. فقالت عنها صحف (التازيت) و(التيرايست) «ان مثل هذه الهبة للاغراض العامة لم يسبق لها مثيل في مصر حيث لم تبدر مثل هذه الروح من قبل . والمأمول ان يقتدي كثيرون من الاعيان الموسرون بهذه القدوة الشريفة» وكنى الفقيد غبطة بعمله المبرور انه اول من سعد به فقال: « وقد نلت فضلاً بعملي هذا سعادة هذه الدار الدنيا فان اللذة التي اشعر الآن بها لا تساويها كل مسرات الحياة ولذاتها من جاه ومال وحسب ونسب وما الى ذلك »

ولما شرع جماعة من ذوي النخوة وممن يقدرون الواجب في عمل حفلة تكريم لهذا المحسن العظيم بادر فارسل لهم يعتذر ويقول في خطاب اعتذاره: «وارجو ان تعدلوا عن هذه الفكرة حتى تساعدوني على توجيه عملي خالصاً لوجه الله وحده وتبعدوا بي عن مواطن الزهو الذي قد يشوب هبتي بشائبة لا ارضاها». وكان الفقيد يعني النفس بحضور حفلة افتتاح المستشفى لتقر عينه بما صنع ولكن القدر جرى بأمر آخر فاستأثرت به المنية في الخامس من شهر فبراير سنة ١٩٣٠ الموافق ٦ من رمضان سنة ١٣٤٨ هجرية . واحتفل بتشييع جنازته احتفالاً مهيباً رهيباً . ثم ووري التراب في المكان المعده في المستشفى قبل ان يتم اعداده. وقد علمت ان كريمته تموت القلوب عاقدة النية على اتمام كل اعمال الاحسان التي شرع فيها المغفور له والدها

سيد يوسف

روايات الاغاني

يعد ابو الفرج الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ اكبر مؤلف عرفته اللغة العربية . ولا يوجد في المؤلفين من بعده من لم يعول عليه ، ويندر ان نجد باحثاً في تاريخ الادب او تاريخ الاسلام لم يتخذ كتابه الاغاني مرجعاً له . والاغاني هذا كتاب عظيم في ٢١ مجلداً ألفه الاصبهاني في خمسين سنة وكتبه مرة واحدة في عمره واهداه الى سيف الدولة بن حمدان

وشهرة الاصبهاني وكتابه مستفيضة فلا حاجة الى اعادة ما يعرفهُ الناس . وانما اريد هنا ان انص على ناحيتين من الاصبهاني وكتابه لم اجد من تنبه لها من الباحثين ، ولهاتين الناحيتين شأن عظيم في فهم الحياة الادبية ، وسيكون لها اثر بعيد في دعوة المؤلفين الى الاحتياط حين يرجعون الى كتاب الاغاني يتلمسون الشواهد في الادب والتاريخ

الناحية الاولى خاصة بالاصبهاني : تلك الناحية هي خلقه الشخصي ، فقد كان الاصبهاني مسرفاً اشنع الاسراف في اللذات والشهوات ، وقد كان لهذا الجانب من تكوينه الخلقي اثر ظاهر في كتابه ، فان كتاب الاغاني احفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون . وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة من اخلاقهم الشخصية ، ويهمل الجوانب الجدية اهمالاً ظاهراً يدل على انه كان قليل العناية بتدوين الجد والرزانة والتجمل والاعتدال . وهذه الناحية من الاصبهاني افسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه ، ولنظرة فيما كتبه المرحوم جورجي زيدان في كتابه تاريخ ادب اللغة العربية ، وما كتبهُ استاذنا الدكتور طه حسين في حديث الاربعاء تكفي للاقناع بان الاعتماد على كتاب الاغاني جرَّ هذين الباحثين الى الحط من اخلاق الجماهير في عصر الدولة العباسية وحملهما على الحكم بان ذلك العصر كان عصر شك وفسق ومجون

ولا اريد بهذا ان احكم بان الاصبهاني كان يتعمد الاختلاق ، وان الجمهور في العصر العباسي كان مفموراً بالطهر والعفاف ، كلا . فقد قلت غير مرة ان الحياة الانسانية مزيج من الشك واليقين والحلم والجهل والهدى والضلال ، وان الانسان لا يكون خيراً محضاً ولا شراً محضاً ، وانما يتأود في ان تكون سرائره مسرحاً لتوازع الغي والرشد والبر والفجور. ولكن اريد ان اقول : إن اكثار الاصبهاني من تتبع سقطات الشعراء ، وتلمس هفوات الكتاب ، جعل من كتابه جواً مشبعاً باوزار الاثم والغواية ، واذاع في الناس فكرة

خاطئة هي اقتران العبقرية بالرزق والطيش والخروج على ما ألفت الجماهير من رعاية العرف والدين

اما الناحية الثانية فهي خاصة بكتاب الاغاني : تلك الناحية هي وضع ذلك الكتاب في مقدمته عبارات صريحة في الدلالة على ان مؤلفهُ قصر اهتمامه او كاد على إمتاع النفوس والقلوب والاذواق : فهو كتاب ادب لا كتاب تاريخ . واريد بذلك ان المؤلف اراد ان يقدم لأهل عصره اكبر مجموعة تغذّى بها الاندية ومجامع السمر ومواطن اللهو ومغاني الشراب . وانهُ ليحدثنا في المقدمة بأنهُ اتى في كل فصل من كتابهِ بقِطَع اذا تأملها قارئها لم يزل منتقلاً بها من فائدة الى مثلها ، ومتصرفاً فيما بين جد وهزل وآثار واخبار وسيرَ واشعار ، متصلة بأيام العرب المشهورة ، واخبارها المأثورة ، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام. واخبرنا بعد ذلك بانهُ اهتم بالغناء الذي عرف لهُ قصة تستفاد وحديثاً يستحسن . وعلل ذلك بقوله : « اذ ليس لكل الاغاني خبر نعرفهُ ، ولا في كل ما لهُ خبر فائدة ، ولا لكل ما فيهِ بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويلهى السامع »

واحب ان يتأمل القارىء قوله « رونق يروق الناظر ويلهى السامع » فهذا التعبير هو الوصف الصادق لما اختار الاصبهاني ان يدور عليهِ كتابهُ حين اراد ان يقدم ما راقه من ايام العرب وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام . ولاسيما اذا لاحظنا ان كلامه يشعر بانهُ مستعد لاهمال ما فيه بعض الفائدة اذا خلا من ذلك الرونق الذي « يروق الناظر ويلهى السامع » فهو اذن يسابر القراء المتطلعين الى النواحي الطريفة من اخبار الملوك والخلفاء والوزراء والكتاب والشعراء . ولهذا النحو من التأليف قيمة عظيمة جدًّا اذا فهمهُ القارئ على وجههِ الصحيح : فهو دليل على خصوبة التصور والخيال ، وبرهان على ان كتّاب اللغة العربية لم يحرموا من القصص الشائق الخلاب ، ولم يفتهم ان يقدموا لاوقات اللهو والفراغ ما تحتاج اليهِ العقول المكدودة والنفوس المحزونة من طرائف الاقاصيص وغرائب الاسمار . ولكن الخطر كل الخطر ان يطمئن الباحثون الى ان لروايات الاغاني قيمة تاريخية ، وان يبنوا على اساسها ما يشاءون من حقائق التاريخ لاسيما وصاحب الاغاني يصارحنا بأن « في طباع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء ، والاستراحة من معهود الى مستجد، وكل منتقل اليهِ اشهى الى النفس من المنتقل عنهُ ، والمتكرر اغلب على القلب من الموجود » وان « انتقال القارئ من خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ومن اخبار قديمة الى محدثة ومليك الى سوقة وجد الى هزل » أدعى الى نشاطه وأبعث على شهوته لتصفح ما في الكتاب من مختلف الفنون

ولأضرب المثل بما قصه صاحب الاغاني من اخبار عمر بن ابي ربيعة . وهي اخبار

ظنها كثير من الباحثين صورة لحياة الحجاز في القرن الاول للهجرة . وقد حدثني المسيو ماسنيون بان لاشعار عمر بن ابي ربيعة وحوادثه اهمية عظيمة من هذه الناحية . وانا قد اعتمدت بالفعل على كتاب الاغاني حين فصلت احاديث من عرّف ذلك الشاعر من الملاح في الطبعة الثالثة من كتابي « حب ابن ابي ربيعة وشعره » . ولكنني دعوت القارئ الى الاحتراس وبينت لهُ انني اريد ان ارسم من ابن ابي ربيعة صورة جذابة تشبه صورة ميسيه عند الفرنسيين وجوت عند الالمان وبيرون عند الانجليز . وانا استبيح هذا النحو من استغلال كتب الادب والتاريخ ، فان الادب يُقصد به إمتاع القلوب لاقناع العقول. ومتى نص الكاتب على ان وجهته فنية محضة وان منحاه ادبي صرف فقد أبرأ ذمته ممن يريد ان يتخذ من اقاصيص الادب صورة صادقة لحياة الاشخاص وما احاط بهم من مختلف البيئات وشتى الظروف . وكذلك فعلت حين قلت :

« ان كثيراً من حوادث ابن ابي ربيعة الغرامية من صنع الخيال . وقد قبلناه على علاته واكتفينا بتلك الاشارة عند التمهيد لأخبار الملاح ، اذ كانت حوادث ابن ابي ربيعة التي أضيفت اليه تدلنا على شيئين : فهي اولاً علامة على ان المتقدمين ألسنوا بروحه ، وأسلموا قلوبهم لوحيه ، فابدعوا في ظلال ذكراه ما شاء الخيال من احاديث الحب الظافر والهوى الغلاب ، وهي ثانياً دليل على انهُ كان للمتقدمين ميل الى القصص الغرامي وحظ من الاجادة فيه » — راجع ص ٢٩٥ وما بعدها من حب ابن ابي ربيعة

لكن صاحب الاغاني لم يفصل شيئاً من ذلك ، وانما ساق اخبار ابن ابي ربيعة كلها على انها حقائق ، وساقها مروية بالسند ، والرواية بالسند شيء ساحر فتن به الاستاذ الرافعي في رده علينا اذ قال : « وهل لسيت ان الرواية علم دقيق له آداب وشروط ! » واعتماداً على هذا العلم الدقيق اطمأن اكثر الباحثين الى روايات الاغاني فضلوا وأضلوا في حقائق التاريخ

قلت ان صاحب الاغاني كان يهتم بالنواحي الطريفة من السير والاخبار . فلا ذكر من أدلة ذلك انهُ حدثنا بسنده عن اخي زرقان عن ابيه قال : ادركت مولى لعمر بن ابي ربيعة شيخاً كبيراً فقلت له : « حدثني عن عمر بحديث غريب » وكلمة « حديث غريب » هذه لها معناها فيما نحن بسبيله من اخذ الرواة بالتلفيق والاختلاق . فان البحث عن الاوضاع الغريبة من احاديث عمر بن ابي ربيعة يدل على ظمأ تلك النفوس الى النادر المستطرف من القصص والاحاديث . وما عسى ان يكون ذلك الخبر الغريب ؟ هو خبر يشبه من بعض نواحيه قصة حج ابي نواس التي اخترعها ابن دريد : فابو نواس حين رجع من حجه اجتذبه جماعة من حسان النساء ، وما كاد يطمئن الى ظفره بما كان يشتهي من جميل

الصيد حتى دخل عليه جماعة من العبيد في حالة جارحة بدّدت ما نظم من ساحر الاحلام وابن ابي ربيعة في حجه تعرض لنسوة من جواري بني امية تخلفنه ووعدنه بتذكرة طيبة تكون تحفة له كلما تذكر انسهن في ايام الطواف . فلما بعث غلامه يتسلم التذكرة عاد ومعه صندوق لطيف مقفل مختوم كان يُظن انهُ اودع طيباً او جوهراً ، ففتحه فاذا هو مملوء من المضارب . . . . . واذن فقد تم التشابه بين قصة عمر وقصة ابي نواس

ونجد صاحب الاغاني في مكان آخر يروي بسنده عن عثمان ابن ابراهيم الخاطبي قال :

« اتيت عمر بن ابي ربيعة بعد ان لسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم فانتظرت حتى تفرق القوم ثم دنوت منهُ ومعي صاحب لي ظريف وكان قد قال لي : تعال حتى نهيجهُ على ذكر الغزل فننظر هل بقي في نفسه منه شيء ؟ فقال له صاحبي : ياابا الخطاب اكرمك الله، لقد احسن العذري واجاد فيما قال، فنظر عمر اليه ثم قال له: وماذا قال؟ قال حيث يقول

لو جُذّ بالسيف رأسي في مودتها لم يهوى سريعاً نحوها رأسي

ثم مضى يهيجه بالشعر حتى طرب . وحدثهما بحديث وُصف بانهُ «حديث حلو» وتلك الحلاوة لها سناها ايضاً فهو نص على انهُ وُضع ليكون فكاهة طريفة يتثقل بها السامرون في مجالس الشراب . ويتلخص الحديث في ان خالد الخِرّيت صاحب عمر حدثه عن نسوة مررن به قُبيل العشاء لم ير مثلهن في بدو ولا حضر ، فيهن هند بنت الحارث المرية واشار عليه بأن يأتي متكراً ليسمع من حديثهن ويتمتع بالنظر اليهن ولا يعلمن من هو . فقال له عمر : ويحك ! وكيف اخفي نفسي ؟ فأشار اليه بأن يلبس لبسة اعرابي ثم يجلس على قعود فلا يشعرن الا به وقد هجم عليهن ، فأطاع عمر ، ثم وقف بقرب النسوة وانشدهن ما سألن انشاده من شعر كثيّر وجميل والاحوص ولصيب . وبعد لحظات تنامز النساء وجعل بعضهن يقول لبعض : كأنا لعرف هذا الاعرابي ما اشبهه بعمر بن ابي ربيعة ! ثم مدت هند يدها فانتزعت منه عمامته وألقتها عن رأسه ثم قالت : هيه يا عمر ! أراك خدعتنا منذ اليوم ؟ بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد فأرسلناه اليك لتأتينا في اسوأ هيئة ونحن كما ترى ، ثم قالت بعد ان اخذا في الحديث : ويحك يا عمر ! اسمع مني : لو رأيتني منذ ايام واصبحت عند اهلي فأدخلت رأسي في جيبي فنظرت . . . . . فناديت يا عمراه يا عمراه ! ! فصاح عمر : باليكاه ! باليكاه ! ثلاثاً ، ومدّ في الثالثة صوته ، الى آخر الحديث

ونحن نجد لهذه القصة اشباهاً كثيرة من حيث الغرض والاسلوب فقد حدث ان دريد ان رجلاً جلس الى مجنون ليلى في ظل شجرة فقال : ما اشعر قيساً حيث يقول :

يبيت ويضحي كل يوم وليلة على نهج تبكي عليه القبائل

قيل للبني صدّع الحب قلبه وفي الحب شغل للمحبين شاغل

فقال المجنون : انا اشعر منهُ حيث اقول :

سلبت عظامي لحمها فتركتها معرّقة تضحى لديك وتحصر

والحديث بقية . وفي هذا ما يكفي لبيان الاسلوب الذي كان يجري عليه الرواة في تصوير العشاق الذين تسلوا او يئسوا ، وما كان يعمل ارباب الفضول في اثارة ما كانوا يكتمون من اسرار الوجد الدفين وقد استتر صاحب الاغاني ينقل اخبار عمر من غير نقد ولا تمحيص ، ولكنه فطن في بعض ما رواه الى تلفيق الرواة حين عرض الى تزويج الثريا وخروجها الى مصر وعمر غائب ، فقد قال :

« وهذا الخبر عندي مصنوع وشعره مضعّف يدل على ذلك ، ولكني ذكرته كما وقع اليّ » . هنا دلنا صاحب الاغاني على ارتيابه في بعض الاخبار ، ولكن لماذا يذكر ما يرتاب فيه كما يقع اليه ؟ يذكره لانه يريد ان يقدم ما يروق الناظر ويلهي السامع كما اشرنا من قبل . ولكن لا يفوتنا ان نشير الى ان هذا الخبر ايضاً منقول عن جماعة من الرواة كان يصح ان يحتج بروايتهم لو لم ينص الاصبهاني على انه مدسوس

وفي رأيي ان اخبار ابن ابي ربيعة كلها وضعت تفسيراً لشعره ، لان كل قصيدة من قصائده تشير الى حادثة من حوادثه الغرامية ، وقد صنع الرواة مثل هذا الصنع في اخبار ابي نواس ، فقد لفقوا حديثاً يشرح ابياته المشهورة في جنان التي يقول فيها :

قال اشتكيك وقلت ما ابليت به اراه من حيثما اقبلت في اثري

ويعمل الطرف نحوي ان مررت به حتى ليخجلني من حدة النظر

وان وقفت له كيما يكلمني في الموضع الخلوم ينطق من الحصر

وقد تنبه كثير من الباحثين الى ما دُس على ابي نواس ، ولم اجد من اشار الى ما دسَّ على ابن ابي ربيعة مع ان الرجلين يشتركان في ان كلاً منهما قضى معظم حياته في اللهو واللعب والمجون . واذا جارينا صاحب الاغاني في الاستدلال على وضع الشعر بضعفه ، فان في شعر ابن ربيعة قصائد يغلب عليها الضعف والانحلال ، حتى ليعد معظم شعره عن المتانة التي عُرف بها عصره وطُبع عليها عدد من قصائده

هذا ، ولو مضينا نحصي ما في روايات الاغاني من التلفيق لطال بنا القول ، فلنكتف بهذا ، ولنسجل مرة ثانية ان الاصبهاني اراد ان يكون كتابه معرضاً لما تجمَّع بين ايدي معاصريه من طريف الاقاصيص . فليتبرد القارىء اذن كتاب ادب لا كتاب تاريخ

القاهرة زكي مبارك

اليود عنصر حيوي

أثره في صحة الاجسام والعقول افراداً وجماعات

يراد «بالعنصر الحيوي» العنصر الذي لا مندوحة عنهُ لبناء المادة الحية وقيامها بأعمالها قياماً صحيحاً . ولو ان عالماً حاول ان يحصي العناصر الحيوية من عقد او عقدين لتمكن من احصائها على اصابع اليد الواحدة . ولكن ابحاث العلماء في بناء الخلايا قادت الباحثين الى الكشف عن طائفة من المواد عليها كلُّ الاعتماد في تقرير صفات الجسم الحي وخواصهِ . هذه هي المواد البروتينية والمواد الكربوهدراتية (النشوية) والمركبات الدهنية وكلها كائنة في المادة الحية التي تعرف بالبروتوبلازم . ولدى تحليل هذه المواد وجدوا انها تتركب من بضعة عناصر اساسية هي الكربون والنتروجين والهدروجين والاوكسجين والكبريت والفصفور

تنظر العلماء الى هذه العناصر وقالوا هذه هي العناصر الحيوية . ولكن البحث في تركيب الخلية ظلَّ يتقدم تقدماً مطّرداً حتى ثبت ان في مركبات الخلايا مقادير ضئيلة جداً من عناصر اخرى غير العناصر الحيوية المذكورة آنفاً كالكلسيوم والصوديوم والكلور . وظُنَّ اولاً ان وجود هذه العناصر في بناء الخلية محض اتفاق وان لا شأن كبيراً لها في حياة الخلية وموتها فدعيت بالمركبات الرمادية[1] ولكن لم يثبت الاَّ في العهد الاخير ان وجود مقادير ضئيلة من هذه العناصر وغيرها ضروري لحياة البروتوبلازم ونموّهِ كوجود المواد البروتينية وما اليها . وعليهِ يصحُّ القول بأن الصفة الغالبة على البحث الفسيولوجي البيولوجي في العصر الحديث هي صفة البحث عند العناصر المعدنية « الحيوية » في الاجسام

اكتشاف اليود ومقامه

ولقد أضيف الى العناصر الحيوية عنصرٌ جديد لما ثبت ما « لليود » من المقام في بناء الجسم الحي ونموّهِ . والغريب من امر اليود انهُ عنصر شبهُ معدني ولكننا قلما نجدهُ في المركبات المعدنية على حين انهُ كثير الوجود في المركبات العضوية . فقد كشف عن اليود في مطلع القرن التاسع عشر لما كانت النهضة العلمية الكيماوية في ابان ازدهارها على ان كورتوى اذ كشف عنهُ سنة ١٨١٢ لم يعثر عليهِ في احد المركبات المعدنية بل في رماد الحشائش البحرية . واذا نحن تأملنا كيف خطر على بال هذا الرجل في مطلع العهد العلمي ان يحلل رماد الحشائش البحرية

(١) Ash Constituents

تحليلاً دقيقاً علّه يقع فيها على عنصر جديد، اخذتنا الدهشة وتملكنا الاعجاب. ولكننا لدى البحث نجد تعليل ذلك في ان هذه الحشائش البحرية كانت من اقدم الازمنة علاجاً معروفاً ناجعاً في حالات الجُوتَر[1]

فعلاقة اليود بوظائف بعض الاعضاء الحية عرفت من ساعة اكتشافه. وقد ظُنّ اولاً ان استعمالهُ يفيد في علاج اضطراب واحد من اضطرابات الجسم الحي — اي حؤول الغدة الدرقية الجوتري وتاجيه. ولم يشر احد منهم الى ان اليود اكثر من دواء خاص لداء خاص. ذلك لان مقامهُ في بناء المادة الحياة ووظيفتها كان مجهولاً . فمن العناصر — كالزرنيخ والزئبق — ما يستعمل دواء من غير ان يستلزم استعمالهُ هذا دخولهُ في بناء المادة اي من غير أن يكون عنصراً حيويًّا . اما اليود فهو دواء ناجع في احوال متعددة كتصلب الشرايين والتهاب الشعب والزهري والجوتر وفي الآن نفسه عنصرٌ حيويٌّ لا متدوحة عنهُ لبناء المادة الحية وقيامها بأعمالها قياماً صحيحاً

والواقع ان علاقة اليود بالجوتر ظلّت محور جدال بين الباحثين طوال القرن التاسع عشر . على أن الباحث الفرنسوي شاتان Chatin وجد ما اقنعهُ بان اليود — علاوة على علاقته بالجوتر — عنصر موجود في كل الانسجة الحية في مملكتي الحيوان والنبات. فحُكم عليه من ابناء عصره بانهُ مخطئ فيما يذهب اليه . وانقضت ثلاثون سنة على مباحثه قبلما استؤنف البحث في هذا الموضوع . ذلك ان الكيماوي الالماني يومن Baumann اكتشف سنة ١٨٩٥ ان الغدد الدرقية في كل الحيوانات الثديونة تحتوي على مقادير كبيرة من اليود . فالقى هذا الاكتشاف النور على حقيقتين خطيرتين : الاولى — ان في الجسم عضواً تختصُّ خلاياهُ بخزن اليود الذي يتصل بها ذرات دقيقة كلَّ الدقة. والثانية — ان هذا هو العضو الذي يصاب بمرض الجوتر وما ينجم عنهُ من تشويه وبله. فثبت بذلك علاقة اليود بالجوتر ثبوتاً لا يحتمل ظلاً من الريب. ولكن اعترض البحث مسألة خطيرة مؤداها كيف تتناول خلايا الغدة الدرقية عنصر اليود وباي شكل تحتفظ به فيها ثم كيف تفرزهُ ؟ هذه المسألة حيّرت العلماء على البحث لجلائها وبعد انقضاء خمس وثلاثون سنة يصح القول ان المسألة قد حُلّت او كادت

(١) الجوتر goiter تضخم الغدة الدرقية وهي غدة صماء واقعة امام اعلا القصبة وظا افراز ذو اثر في تمثيل الغذاء واستعماله وبناء الخلايا . وينشأ عن تضخمها حالة تعرف «بالكرتنزم» Cretinism وهي تكفس العظام قبل عهد تكلسها فيشوه الهيكل العظمي والرأس والوجه وتظل القامة قزمة ويصحب هذا كله بلادة عقلية وبله وهما ان العلتان متوطنتان في بعض مناطق سويسرا

اليود في الجسم الحي

فقد ثبت بالبحث المدقق ان عنصر اليود من العناصر الحيوية لا يستغني عنهُ الجسم الحيُّ فاذا نقص من المواد التي يتناولها الجسم او فُقِد منها اصيب الجسم باضطرابات صحية منشؤها عجز الغدة الدرقية عن القيام بوظيفتها قياماً صحيحاً . وللغدة الدرقية مقام اي مقام في سلسلة الاعمال الحية التي تتناول التغذية والتمثيل والبناء الحلوي. وهي كذلك تسيطر على افعال بعض الغدد الصماء الاخرى وخصوصاً ما يرتبط منها بفعل التناسل . فاذا حدث ما اعجزها من القيام بوظائفها هذه — ونقص اليود يعجزها — اضطرب الجسم واختلَّ عملُ الاعضاء

ويؤخذ من المباحث الكيماوية التحليلية ان اليود في الغدة الدرقية يتخذ شكل مركَّب كيماوي يعرف « بالثيروكسين » فيه يتحد اليود بمادة بروتينية . ويستطاع تركيب هذه المادة تركيباً صناعيًّا وبعض العوامل الكيماوية الطبية تستحضرهُ الآن وتبيعهُ في انابيب فيحقن به من يحتاج اليه . وقد دلت الامتحانات ان الحقن به يحدث في الجسم الاثر الذي يحدثهُ تناول خلاصة الغدة الدرقية . حتى لقد يصحُّ القول بان الثيروكسين هو افراز الغدة الدرقية الداخلي اي « هرمونها » hormone او على الاقل هو اهم مفرزاتها . تفرزهُ الغدة الدرقية فيجري في الدم الى اعضاء الجسم ويفعل فعلهُ في التمثيل والاستحالة والبناء . كذلك ثبت ان الغدة الدرقية لا تستطيع أن تفعل فعلها هذا الخطير اذا كان هرمونها خالياً من اليود . فاليود اذاً عنصر حيويٌّ لا يستغني عنهُ . ولزيادة التثبت قال العلماء : اذا كان نقصُ اليود من مفرزات الغدة الدرقية سبب اعظم التي تنشأ عن مرض الغدة او ازالتها بمبضع الجراح ، فيجب ان يكون اليود قليلاً جدًّا او لا اثر له في المناطق التي يكثر فيها الجوتر — وهو المرض الناجم عن ضعف الغدة الدرقية او ازالتها . وهذه القلة تحول دون حصول السكان على المقدار الكافي من اليود في طعامهم وشرابهم وهوائهم فيصابون به

اذاً الى الاستقراء والتحليل ايها العلماء الباحثون عن الحقيقة ! !

على ان درس هذه العوامل اقتضى ابداع طرق جديدة للبحث لان مقادير اليود في الطعام والماء والهواء ضئيلة جدًّا يجب أن تقاس بالمليغرام بل بجزء دقيق من المليغرام فالكشف عنها متعذر اذ لم تكن الوسائل المستعملة للكشف دقيقة شديدة الاحساس

اليود في البيئة

وزعيم هذا البحث هو العالم السويسري « فلبرغ » الذي بحث وقدَّر تقديراً علميًّا ما تحتويه عناصر البيئة من اليود ليجعل ذلك مقياساً يتحقق به صحةُ هذا القول. وفي بحثه تناول تحليل الهواء والماء والصخور والتراب والنباتات والحيوانات في اماكن مختلفة من بلاد سويسرا حيث يكثر داء الجوتر وحيث لا اثر لهُ على السواء . قدَّمت مباحثهُ الاستقرائية

التحليلية على ان مقدار ما يتناولهُ السكان من اليود في الاماكن التي يكثر فيها الجوتر اقل جداً من مقدار ما يتناولونهُ منهُ في الاماكن التي لا اثر للجوتر فيها. والظاهر ان انعدام الجوتر في الشواطىء البحرية سببهُ كثرة اليود في الهواء وماء البحر

وقد تمكن فلنبرغ ايضاً من تتبع دورة اليود من البحر واليه. فوجد انهُ لدى تبخر مياه البحر يصعد اليود الى الهواء ويهب مع الرياح فوق اليابسة. ثم يرسب في مياه المطر على التراب والنبات فتأخذ النباتات منهُ ما تحتاج اليهِ ومن التراب والنبات يعود الى البحر مع السواقي والانهار. وفي الصخور شيء من اليود يتصعد بتفتتها. فاذا بلغ اليود الذي يتناوله الفرد من الهواء والماء والطعام قدراً معيناً امتنع على الجوتر وهذا القدر ضئيل جداً لا يزيد على ٢٠ ملليغراماً في السنة. فاذا نقص عن ذلك اختلَّ عمل الغدة الدرقية ونشأت عنهُ العلل المذكورة آنفاً. وقد تأيدت مباحث فلنبرغ بمباحث العلماء في الولايات المتحدة وكندا وزيلندا الجديدة

وعلى ذلك عمد الطبيبان السويسريان هونتزيكر واجنبرجر [1] الى تطبيق هذه النتائج في الاماكن التي يقل فيها اليود لمكافحة الجوتر. ومن الوسائل التي استعملوها حقن الطفل لدى ولادتهِ او حقن امهِ وهي حامل بمادة مؤلفة من يوديد البوتاسيوم وملح الطعام — تعرف بفولسالتز. هذه التجارب لم يمض عليها الاَّ بضع سنوات ولكن النتائج التي اسفرت عنها تبعث على الدهشة والامل بالقضاء على الجوتر من هذا السبيل. فقد اشار اجنبرجر في تقرير لهُ الى ان الجوتر في المواليد في مقاطعة ايزنزل زال تماماً وان تفشيه بين التلاميذ خفَّ كثيراً على اثر حقنهم بمواد بودية. وثبت ايضاً فائدة هذه المعالجة في بعض حالات الجوتر الحادة التي كانت تقتضي عملية جراحية. والظاهر ان لا اثر لعلاج اليود في الذين يربي عمرهم على الخامسة والثلاثين. لذلك ترى غرض العلماء منع الجوتر لاشفاء المصابين بهِ الآن وخصوصاً من كان منهم فوق الخامسة والثلاثين

ولا يتمُّ البحث في اثر اليود في الاجسام من غير تناول اثرهِ في الطيور الدواجن والماشية وصحتها ولبنها وشعرها وريشها الخ. ولكن نطاق هذا العدد لا يتسع لذلك فنستأنفهُ في عدد تالٍ. ومعظم اليود المستعمل في العالم يستخرج من مناجم نترات الصودا في بلاد شيلي كمحصول ثانوي. فان هذه البلاد تنتج كلَّ سنة نحو الف طن من هذا العنصر الثمين تصدر منها ٨٠٠ طن ومحصولها هذا يبلغ ٨٠ في المائة من المحصول العالمي. اما ما تستوردهُ مصر فلا يزيد على خمسة اطنان من يوددر البوتاسيوم واكثره للاستعمال الطبي

(١) Hunziker & Eggenberger

القياس الدموي وسلالة المصريين

نتائج بحث الدكتور شرف[1]

في سنة ١٩٠١ وجد لاندشتينر تبايناً بين دماء الافراد المختلفة واختلافاً يمتنع معهُ امتزاجها . لان مصل الدم في بعض الناس قد يلبّد كريات الدم الحمراء في دماء اناس آخرين وقد يحلّها حلاً في غيرهم . وتقدم البحث في هذا المضمار فوجدوا ان دم البشر يفرق الى اربع فرَق لكل فريق خواص محدودة

١ — ففي الفريق الاول لا يظهر أي التباد في كريات الدم الحمراء باضافة أي مصل كان اليها

٢ — وفي الفريق الثاني تلبد الكريات بمصل الفريق الثالث أي أن في هذا الدم اجلوتينوجين او مادة ملبدة اطلق عليها حرف (ا)

٣ — وفي الفريق الثالث تلبد كريات الدم الحمراء بمصل الفريق الثاني أي أن في هذا الدم اجلوتينوجين سمي بحرف (ب)

٤ — وفي الفريق الرابع تلبد كريات الدم بمصل الفريق الثاني والثالث أي أن فيها الاجلوتينوجين ا و ب . ولا اطيل عليكم الكلام في شرح الخواص الدموية المعينة التي تسبب هذه الظاهرة فهو شرح فني واسع لا سبيل للكلام عليهِ الآن

وفي سنة ١٩١٦ بحث هرشفلد واخوه دماء ٨٠٠٠ جندي من جنود الشعوب المختلفة التي اجتمعت في اوروبا في اثناء الحرب الاخيرة فوجدا توزيع فرق الدم المذكورة يختلف بين الشعوب اختلافاً عظيماً يمكن بواسطته تعيين الشعوب . ووجدا ان الاجلوتينوجين(ا) وهو المادة الخاصة بفريق الدم الثاني تزيد كثيراً في اهالي اوربا عن المادة(ب) الخاصة بالفريق الثالث . ولما بحثا نسبة توزيع الاجلوتينوجين(ا) الى(ب) في كل شعب وجدا ان الشعوب التي بحثا دماءها تقع في ثلاثة طروز : الطرز الاول الاوربي وفيهِ ا + اب : ب + اب تختلف من ٢ — ٤ . والطرز الآسوي ونسبته ا + اب الى ب + اب اقل من واحد ، وبينهما طرز متوسط نسبته بين ١ و٢ . وسميت هذه النسبة الدليل الشعبي

---

(١) من محاضرته في المؤتمر السنوي الذي عقده المجمع المصري للثقافة العلمية

ومن ذلك العهد اتسعت الابحاث حتى شملت شعوباً اخرى لم يرها هرشفلد . وجاء Ottonberg الاميركي وقسم انواع البشر الى ستة طروز ، اذ ظهر ان النسبة المئوية لكل من فرق الدم تختلف اختلافاً ظاهراً في اكثر الامم ، ولكن يمكن ضم بعض الامم الى بعض في طرز واحد ، فوضع الامم التي يتشابه بعضها ببعض في هذه النسب في طرز واحد

وثبت أن الاقوام التابعة لكل طرز ليست فقط متشابهة في النسب المئوية لفرق الدم بل بينها أيضاً روابط جغرافية وثيقة ، كما ثبت أن تفريق الشعوب على أساس فرق الدم مطابق لتوزعها الجغرافي كلَّ المطابقة وأكثر من مطابقته للتقسيم على اساس انثربولوجي (المقاييس العظمية واللونية الخ) . والواقع انه في بعض الاحيان تختلف علاقة بعض الشعوب ببعضها كما يدل عليها بحث الدم عن العلاقة التي دلت اليها من قبل وسائل الانثربولوجية المعهودة . فمثلاً اليهود والروس الذين يختلفون في كثير من الخواص الشكلية والخلقية (التشريحية) والطبائع وفي احوال المعيشة والاشغال مما جعل علماء القومية يقولون باختلافهم شعبًا لهم نسب مئوية متماثلة من فرق الدم الثاني والثالث ودليلهم الشعبي واحد وهو (٣ر١) . والهنود الذين عدّوا من قديم من الوجهة الانثربولوجية اقرباء للاوربيين قد تبين من بحث دمائهم وجود تباين عظيم بينهم وبين الاوربيين . فالدليل الشعبي للهنود هو ٥ر٠ وهو اقرب للاسامي (٨ر٠) منه للاوربي (ودليل الانكليز ٤ر٠ واليونانيين ٥ر٢ وهما اعلى شعوب اوربا بالنسبة لهذا القياس وأدناها)

وجدير بالذكر أن في روسيا يتناقص الفرق (ا) ، ويأخذ الفرق (ب) في الازدياد من الشمال الى الجنوب وذلك بسبب الاختلاط بالعناصر الشرقية . وفي اوربا يأخذ (ب) في الازدياد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بسبب هذا الاختلاط ايضاً . وفي اليابان تتناقص نسبة (ا) وتزداد نسبة (ب) من الجنوب الى الشمال بحيث ان الدليل الشعبي لشمال اليابان يقرب من دليل منشوريا وكوريا المجاورتين لها مما يدل على الاختلاط ايضاً

لا شك اذاً في وجود علاقة مؤكدة بين خواص الدم ومنشإ الشعوب ، لان خواص الدم المتينة وهي (ا) و(ب) تورَّث بحسب قانون مندل ، ولانه ثبت ان نسب توزيع فرق الدم الاربعة تظل في قوم بدون تغير الى ما لانهاية له شرطاً ان لا يدخل عليهم اختلاط غريب

ولا يظهر اي اجلوتينوجين معين في الولد الاّ اذا وجد من قبل في احد ابويه ، فان كان موجوداً في الابوين ظهر في اكثرية الاولاد . وثبت من مباحث (Verger, Wesgeckzy, 1921) ان شعوباً مختلفة (الالمان والصقالبة والنجر) يعيشون احياناً في بلاد الجر منذ قرون ومن دون اختلاط او تباعل الواحد بالآخر وقد احتفظ كل شعب

مهما بخواص دمه ونسب توزيع الفرق فيه وهذه النسب تطابق تماماً توزيعها في هذه الشعوب المقيمة في بلاد اخرى

فزمر الدم اذاً مقررة لا تتغير ابداً ولا علاقة لها بالعمر او الشق (Sex) او الاقليم او الغذاء ولا تتأثر بالبيئة او المرض . وفرق الدم صفة متينة ثابتة تلازم الفرد ولا تتغير فيه ، ولذلك صارت نسب توزيع فرق الدم ميزة للشعب وخاصة به مهما تنقل على وجه الارض او انتشر افراده . فالفجر الاوربيون الذين يقع دمهم في الطرز الهندي المنشوري يتلون بحسب الحديث المنقول بقايا النوافل من اهل آسيا . وفرق الدم التي تظهر في الابناء تتوقف على دماء الآباء والاجداد وعلى تشابه دماء آخر ابوين

بحث دماء المصريين

اردتُ تطبيق هذه الظاهرة في تعيين مقام المصريين بين سلائل البشر أو شعوبه وتعيين اصولهم ، فأخذت دماء ٣٠٦٤ فرداً من مختلف الناس المترددين على مستشفى الملك او عيادتي الخاصة وكلهم من العامة والطبقة الوسطى ومن هؤلاء حلل الدكتور لويس عوض نحواً من ١٣٠٠ دم وحللت بنفسي الباقين عدا دماء خمسة اقباط حللها الدكتور محمد علي

وكنت اسجل الاوصاف الخلقية الخاصة باللون ولون الشعر والعين وشكل الرأس والانف ومحل الميلاد واتقصى صراحة الفرد او الخلوص في نسبه او اختلاطه . وكان الدكتور لويس عوض يسجل بمعمل يحضره في مساءل الصحة واشتغلتُ بمعمل من معامل حكومة النمسا بعد ان تأكدنا من لياقتها وضبط تائجها

بدأت البحث زاعماً ان اهل هذه البلاد اخلاط من شعوب مختلفة وكنت اصف وابحث كل فرد دون اي اختيار . واردت ان اقابل بين الدليل الحيوي لاهل كل مديرية وهم الذين يعيشون الآن عيشة اسلافهم في هذه الاماكن ولاشك يحملون شيئاً من الدم الذي جرى في عروق هؤلاء الاسلاف، لان التاريخ لم يورد لنا خبر هجرة اكتسحت امامها جميع اهل مديرية من المديريات ، ولم يخبرنا بوباء قتل النسل بأجمعه . وبلاد مصر الخصبة التي تفيض بالماء واللبن والعسل وأنواع القوت لم ينعدم منها الخلق منذ اقدم العصور . فاذا ظهر لي ان الدلائل الشعبية واحدة في المديريات تبين تجانس القوم وان القول باختلاط هذا الشعب غير صحيح أو على الاقل مبالغ فيه ، او ان آثار هذا الاختلاط زالت الآن . واردت ان لا اعلن البحث قبل اتمام تحليل ٥٠٠٠ نموذج من الدم من مختلف الجهات حتى لا يكون هناك اعتراض على استنتاجي من فئة قليلة من الناس ، وحتى يكون فيه التفسير

الكافي لنفي الاقوال المتضاربة في أصولنا التي اشير اليها في المقال السابق أو التوفيق بينها

وقد استخلصت من بحث فرق الدم ما يأتي :

(١) — وجود تجانس في النسب المئوية والدليل الدمي في جهات القطر المختلفة ، فانهُ ٧ و ١ عدا القاهرة (٤٩ و ١) والقليوبية (٣٣ و ١) والجيزة (٤ و ١) المجاورتين لها. وفي اصوان (٢٣ و ١)

٢ — وحدة النسب بين الاقباط (٧ و ١) ومجموع السكان . وتظهر ان الاقباط هم الفرقة التي تحدرت من قدماء المصريين واحتفظت بوحدتها القومية وان فقدت لغتها الاصلية ولم تختلط بالعرب او السوريين منذ نحو ١٣٥٠ عاماً

(٣) — اذا كان للاختلاط بالعرب اثر باق فهو في مديريتي القليوبية والجيزة والعاصمة لاغير، اما ماهناك من قبائل الاعراب النازلة على الحد الشرقي للوادي، فانهم لم تختلط بالفلاحين، اما النازلون من قبائل البدو في الجهة الغربية من أصل بربري ويتحدون في النسب الاصلي مع سائر السكان وان كانوا لا يزالون بدواً ، فلم احلل دماءهم بعد

اما الاستشهاد بانتشار الدودة المعقّفة التي تسبب مرض الرماع فيؤيد ما تقدم :

هذه الدودة نوعان الانكلوستوما والبكاتور اميركانا — الاولى منتشرة في شمال افريقية والثانية في وسط افريقية من الصومال الى السنغال وافريقية الوسطى والجنوبية . وقد انتقلت الدودة الاخيرة الى اميركا بانتقال العبيد وعدي بها البيض والسود معاً . وقد كان جلب العبيد شائعاً عند قدماء المصريين وقد قدروا ما كان يجلب منهم كل عام بثلاثة آلاف عبد ، وفي حكم الاتراك ازداد هذا العدد فقدر الاستاذ مامون Marmont, Revue de l'Orient 1893 عدد العبيد الذين يجلبون الى مصر بعشرة آلاف عبد كل عام وذلك قبل منع الرقّ . فيمكن تقدير الزنوج الذين دخلوا مصر منذ القدم بين ١٠ ملايين و١٢ مليوناً بين رجل وامرأة وطفل . ولو دخل جزء من مائة من هذا العدد في بلاد اخرى لاحدث انقلاباً في صور الناس وخلقهم ولكانت هذه الدودة شائعة في مصر شيوع الانكلستوما

ولكن الاستاذ خليل يستطيع ان يخبركم انهم لم يروا في مصري دودة واحدة من هذا النوع . ولو كان اصل المصريين من وسط افريقية لاتوا بهذه الديدان كامنة في اجسادهم وتناسلت وتكاثرت فيهم . اذاً ينتفي القول بان أصل المصريين من وسط افريقية او من الصومال نفياً تامًّا

أغاني الصيف

عُودِي أغاني الصيفِ واستَبقِي الهوَى ... في بثِّ آمالٍ وبَعْثِ أديبِ
مَضَتِ الشهورُ عليه يَرقبُ عودةً ... لحنانِ (أفروديت) بَعْدَ منيبِ
غَسلتْ بياسمةِ الأشعَّةِ جِسْمَها ... وتعطَّرتْ بتفـــزُّلي ونسيبي
وتخطَّرتْ بين الأزاهِرِ شُعْلةً ... للحُسْنِ وهي تَلجُّ في تعذيبي
فالجوُّ فاضَ حرارةً وتألقًا ... والزَّهرُ في ظَمأٍ كقلبِ حبيبِ
وإذا النَّسيمُ مُوَنِّثٌ من رهبةٍ ... وإذا تَجَالُ الحُبِّ جِدُّ رهيبِ
أنَّى مَشَيْتُ — وفي الرياضِ عبيرُهَا ... وتَحبُّبي ودلالُها ووجيبي —
رقَصتْ أمامي في الظلالِ ونُورِها ... أطيافُها بمشَوَّقٍ وعجيبِ
والنَّاسُ تشكو الصَّيفَ وهو لمهجتي ... عيدٌ من الأعيادِ غيرُ مُريبِ
فإذا الطبيعةُ فيه بين سذاجةٍ ... معسولةٍ ، وسعادةٍ لكئيبِ
لبستْ أفانينَ الدِّثارِ وإنما ... شفَّتْ ولم تبخلْ مع التَّحجيبِ
بسطتْ بساطَ الحبِّ بين رعايةٍ ... وأبَتْ قيودَ الأسرِ رغمَ رقيبِ
فوهبتُها قلبي الذي ما عابَها ... يومًا ، ودانَ لها بأكرمِ طيبِ
واسترأتُ الدُّنيا لأجلِ نوالِها ... في حالَيْ الهجرانِ والتقريبِ

* * *

عُودِي أغاني الصيفِ واستَبقِي الهوَى ... في بثِّ آمالٍ وبَعْثِ أديبِ

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجرب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن الصفحة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا نخرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الواقية مع الايجاز تستحق على المطولة

الفارابي وحركة الارض

حضرة صاحب المقتطف الاستاذ الفاضل

تناولت المقتطف الاخير جزء يونيو وبينما انا اتلذذ بمطالعة فصوله المفيدة ومباحثه الدقيقة اذ قرأت للاستاذ حنا خباز تحت عنوان « نظرية اينشتين والفارابي » رسالة فيها استغراب ان يكون مثل الفارابي سبق الى شيء من نظرية الجاذبية وانهُ لا يمكن ان يكون ذلك لان عصره لم يبلغ ما بلغتهُ العصور الحديثة « المبنية على الامتحان والقياس » وانني استشممّ من كلام الاستاذ حنا خباز شيئاً من الاستصغار لمعارف الاولين. وليس هذا بشأن عالم مثله . فالاعصر الحديثة بلغت بسنّة النشوء والارتقاء في العلم مبلغاً لم تصل اليه القرون الوسطى او التي قبلها وهذا لا جدال فيه . ولكن من الخطأ ان يظن ان معارف الاولين كانت كلها اذواقاً تصوفية واشراقات روحية خالية من الامتحان والقياس ! فلولا الامتحان والقياس ما امكنها ان تكون علوماً تؤسس عليها هذه العلوم الحديثة التي ليست الاّ سلسلة من سلسلة طويلة . ولم تولد هذه العلوم رأساً كما لا يخفى. ويقول الاستاذ خباز : « كان علماء الفلك في عهد الفارابي وقبله وبعده الى عصر كوبرنيقوس يعتقدون ان الارض مركز الفلك وان الشمس احدى السيارات التابعة لها . على هذا الايمان العلمي مات ابو نصر واندادهُ ولكن كوبرنيقوس البولوني ظهر بعد الفارابي بنحو خمسة قرون وقال « ان الشمس هي المركز والارض احدى سياراتها »

وليس الامر كذلك وليس هذا الجزم كله ضرورياً . فالقول بحركة الارض قديم . والقول بجاذبية الافلاك قديم قرأت منهُ في رسائل اخوان الصفاء . وغاية ما هناك ان الفلكيين كانوا يقولون بوجود وأيين حركة الشمس حول الارض وحركة الارض حول الشمس . وخذ لك من مواقف العضد التي شرحها السيد الجرجاني هذا الموقف :

« وقيل انها — اي الارض — تدور على مركز نفسها من المغرب الى المشرق خلاف الحركة اليومية للفلك التي اعتقدها الجمهور . والحركة اليومية لا توجد وانما تتخيل بحركة الارض بتبدّل الوضع من الفلك بالقياس الينا دون اجزاء الارض اذ لا يتغير الوضع بيننا وبينها فاننا على جزء معين منها فاذا تحركت من المغرب الى المشرق ظهر علينا من جانب المشرق كواكب كانت مختفية عنا بحدبة الارض وخفي عنا بحديها من جانب المغرب كواكب كانت ظاهرة علينا فيظن ان الارض ساكنة والمتحرك هو الفلك . وليس كذلك بل ليس ثمة فلك أطلس وذلك كراكب السفينة يرى السفينة مع حركتها حيث لا يتبدل وضع اجزائها منها والشط متحرك مع سكونه حيث يتبدل وضعه مع ظن انهُ ساكن وكذلك يرى القمر سائراً الى جهة الغيم حين يسير الغيم اليه » . والفارابي هو من اكبر فلاسفة العالم وسنذكر عنهُ في فرصة اخرى ما يعلم منهُ شيء من عبقريته التي لا يؤخر مكانهُ فيها كون عصر اينشتين في العلم ارقى من عصره لا كون اينشتين هو بنفسه أعظم دماغاً من دماغ الفارابي

والعلم هو كما قال الاستاذ خياز ليس فيه اديان ومذاهب ولا اجناس ولا سلائل . واذا نظرنا بعين التأمل نجد اينشتين اقرب الى العرب من الفارابي . لان اينشتين يهودي وقد يكون ساميًّا من ابناء عمّ العرب . واما الفارابي فيوعلى رواية فارسي اي من السلالة الآرية التي هي القربى الى الاوربيين وعلى رواية اخرى تركي اي من السلالة المغولية الصفراء . ولكن على الناس ان يذكروا كل عالم بدرجته وليس عليهم حرج ان يفتخروا به . فاليهود [illegible] والانكليز يفتخرون بشيكسبير والعرسيون يفتخرون باستور . وهذه المفاخر [illegible] في الجهاد السلمي والاقدام على خدمة الانسانية . وانّي لاشكر جدًّا للاستاذ محمد بدر الدين خطيب [illegible] الفارابي من الكلام على الجاذبية وهو رأى له فيه من الفضل والسبق ما ليس لغيره من هذا العصر الذي امتلأ بهذه النظرية ولا يخفى ان واضع الاساس له من الفضل ما ليس لغيره لوزان سكيب اسمعيل

لم يكن القصد من الكلمة التي تفضل المقتطف بنشرها في استصغار علوم الاوائل ولا الموازنة بين دماغ اينشتين ودماغ الفارابي . وانما كان قصدي الاشارة الى ان ارتقاء العلوم الذي تمّ في العصور الفاصلة بين عصر الفارابي وعصر اينشتين مهّد لاينشتين من الاسباب ما مكنهُ بقوة عقله من اخراج مذهبه المشهور . ولولا هذا الارتقاء لما تمّ ذلك لاينشتين ولا لغيره . فكيف نستطيع ان نقول ان الفارابي على جلالة قدره سبق اينشتين الى مذهبه ؟ منا نمبار

حول نشأة فن المقامات

لم اكتب في هذا المعنى شيئاً اكثر من ان ما زعمهُ الدكتور زكي مبارك اكتشافاً كان امراً مكشوفاً يعرفه هذا وذاك لان كتاب زهر الآداب مطبوع مقروء ولان العبارة التي قال الدكتور انه وصل اليها اخيراً في هذا الكتاب يجدها في شرح الشريشي على مقامات الحريري وهو شرح معروف طُبع مراراً ومعنى ذلك انه قرىء مراراً . . . ثم قلت ان ما خلط به الدكتور في الكلام عن احاديث ابن دريد نقلاً عن استاذه الدكتور طه حسين كلام مضحك . غير ان حضرته علي ما يظهر لي . . . لم يرضه ان يرجع بعد البعير بخفي المسيو حنين . . . فجاء يقول في رده ان كلمتي دون ما كان يظن من العمق . لشدتك الله ايها الفاضل ما حاجتنا الى العمق والاقيانوس والباخرة ونحن بصدد اكتشاف اميركا في كتاب جغرافيا . . . ؟

افهمْ انت ما تكتبه يقلمك يا حضرة الدكتور حين تقول في ردك : « الرافعي يسأل كيف عارض بديع الزمان ابن دريد ثم لا يستفيض ذكر هذه المعارضة في كتب المشرق ولا نراه منقولاً الا عن رجل من اهل القيروان . ومع انه يسأل هذا السؤال فانه يذكر ان الشريشي نقل هذا النص في شرحه على مقامات الحريري . الا يكفي ان يذكر هذا النص في ثلاثة مصادر : زهر الآداب وشرح الشريشي ومعجم ياقوت ؟ »

الا ليت شعري اذا كان النص قد ذكره صاحب زهر الآداب ثم نقله ياقوت ونقله عنه الشريشي فهل نحن الا حيث كنا من ان هذا النص قد انفرد به صاحب زهر الآداب ولم نره « منقولاً » الا عن رجل من اهل (القيروان) ؟

لا ريب ان في رأس الدكتور وهماً يعدُّ له في مزاعمه الخيالية فهو يظن ان « جمع الدوائر الادبية » تقرر ان بديع الزمان اول من ابتكر فن المقامات ومن هذا الظن يظن... انه اكتشف . ولكن في اي كتاب من كتب « جمع الدوائر الادبية » وجد النص على ان بديع الزمان اول من ابتكر هذا الفن ؟

سيبحث الدكتور في كتب المدارس الثانوية وفي كتب الادباء قديماً وحديثاً فيعرف انه كان واهماً في هذا الزعم وحينئذ لا ارد انا عليه بل يرد زكي مبارك على زكي مبارك

ويطمع الاديب الفاضل في آخر رده ان اسجل « انه اول من اهتدى الى الصواب في نشأة فن المقامات » . وبودي والله ان يكون اهتدى فضلاً عن ان يكون اول من اهتدى . . . .

مصطفى صادق الرافعي

وأد البنات والاشتراكية في النساء

وأثر البيئة في ذلك

قرأت في المقتطف البحث الطريف عن قبائل التوارج فاستوقف نظري ما جاء فيه عن سيادة المرأة فيها حتى لتختار لنفسها زوجها وينتسب ابناؤها اليها دون والدهم لأني كنت منذ بضعة شهور في حوار في موضوع من هذا القبيل مع بعض الاصدقاء بصدد ما نشر في الصحف عن حركة قام بها الرجال في احدى بلاد آسيا للمطالبة بحق المساواة مع النساء وقد اختلفت آراؤنا حينئذٍ في تعليل هذه الظاهرة الاجتماعية الشاذة وكنت احسب اني سأجد في هذا البحث الجواب الشافي لما فيه اختلفنا والتعليل المقنع لشذوذ المرأة عن النظام الطبيعي الذي يجعل للرجل حق اختيار الزوجة لانهُ اقوى من المرأة جسماً واقدر لذلك على اخضاعها لرغباته وقسرها على طاعته . فاذا الكاتب لم يعرض بالاسف لهذه المسألة بل رأيتهُ يصف المقام الذي نالتهُ المرأة التارجية بالرفعة ويعرفه بانهُ هو مقام المرأة الغربية من حيث مساواتها بالرجل من غير ان يبين عن العوامل التي رفعتها الى هذا المقام او يعلل خروجها في أمة تدين بالاسلام عن القاعدة التي تجعل الرجال قوامين على النساء. ولعله لم يبحث في ذلك لانهُ لا يقر شذوذ مركزها بل يصرح بانهُ دليل الرقي

على اني لست أرى سيادة المرأة من الحضارة في شيء ولاهي آية على الرقي كما يذهب الكاتب الا وسيلة من الوسائل البدائية التي جأ اليها الانسان الاول لاتقاء المجاعة وصورة من صور عديدة التي تغلبت عليها علاقة الرجل بالمرأة في بعض البيئات شذوذاً عن المألوف تبعاً لاختلاف الاحوال فيها عن المعتاد. وسأحاول في هذا المقال بسط ذلك ما يتسع له المقام

قبل ان يعرف الانسان الزراعة او يهتدي الى وسيلة اخرى لتوفير اسباب المعيشة طبقاً لحاجته كان عرضة للقحط والمجاعة وكان اذا ضاقت باحدى القبائل سبل المعيشة في رحب مجرتها الى مجرى الماء حيث تقوم دون الارتحال موانع طبيعية تضطر الى البقاء حيث هي محصورة ثم ترى لها من الضيق مخرجاً بأن تقاص الاستهلاك وتأخذ لذلك بأبسط الوسائل ومما عرف من هذه الوسائل البدائية قتل الاطفال او تعهيرهم وتعدد الازواج

واكثر شيوعاً قتل الاطفال فقد ذكر العلامة داروين» في كتابه «تسلسل الانسان» ان شعوباً كثيرة كادت تتعرض من ممارستها لهذه العادة وهو يرى ان تعدد الازواج نتيجة لها اذ لما كانت البنات اكثر من يقتل من الاطفال أتى على هذه الشعوب وقت لم يجد الرجال نساء بنسبة عددهم فاضطر كل بضعة منهم الى الاشتراكة في امرأة واحدة وعنده « ما من علة تكفي لقتل الشعور الطبيعي العام بالغيرة والقضاء على رغبة كل رجل في الاستئثار بامرأة سوى قلة النساء»

لكن يُرَدّ على هذا بأن العرب في الجاهلية كانوا يئدون البنات ولم يصيروا الى الاشتراكية في النساء بل هم من اشد الناس غيرة على النساء . واعتقد لهذا ان لا صلة بين العادتين وان كلاً منهما نشأت في بيئة تختلف عن الاخرى . اما قتل الاطفال فمن عادات البدو يمارسونها في فصل الجفاف الذي تقل فيه الاقوات والكلاء فيضطرون الى الارتحال للغزو والتماساً للرعي . ويقتلون الاطفال عندئذ اقتصاداً للزاد ينفقهم في رحلاتهم وهم في الغالب انما يقتلون البنات دون الاولاد لان هؤلاء اكثر انتاجاً واعظم نفعاً لقبائلهم من البنات . واني اميل الى الاعتقاد بأن تقديم الذبائح البشرية نشأت من هذه العادة وان الشعوب التي مارستها هي التي كان من عادتها قتل الاطفال ثم تعلمت الزراعة فلم تترك هذه العادة بل جعلتها من الدين وزلفى للآلهة ولبثت هذه العادة كذلك زمناً ثم استبدلت الضحايا البشرية بذبائح من اجناس البهائم . وبعض الشعوب يتخلصون من اطفالهم بالبيع بدلاً من قتلهم ومن الشعوب التي عرفت بذلك أمة الشركس . وأن في جمال صورهم وقرب بلادهم من امم مترفة غنية ما يعلل أخذهم بهذه العادة دون القتل

اما عادة تعدد الازواج فتكون في الاقاليم التي يعوز اهلها في أمور معاشهم على الحاصلات الطبيعية يجمعونها في مواسمها ويخزنون منها كفايتهم الى الموسم التالي . وفي العادة يتولى الرجال الجمع اما المرأة فوظيفتها حفظ المؤونة وتخزينها ومثل هذه الجماعات تعتمد كثيراً على حكمة المرأة وحسن تدبيرها في انقاذها من المجاعة . وذلك هو سر سيادتها التي تغالت فيها حتى استباحت لنفسها بحجة توفير الاقوات لقومها ان تتخذ آخذاناً كما تشاء يعاونونها في ذلك

وهذا النظام يشبه من بعض الوجوه نظام النحل في خلاياه فالمرأة في بيتها هي الملكة والرجال عندها كالارقاء . ويقل رضى الرجال بهذا لان طبيعة البيئة تقتضيه ولانهُ النظام الذي يكفل للقوم الفوز في جهادهم للبقاء . ولم تمنعهم الغيرة عن ذلك فما كانت العاطفة تقف حائلاً دون الرضى بنظام يقوم على غريزة دونها سائر الغرائز قوة هي غريزة حب البقاء

ومن نتائج تعدد الازواج انهُ يقصر التناسل على عدد قليل من الرجال لان المرأة مهما تعدد أزواجها لا تعطي نسلاً الا لواحد ويضيع غرس الآخرين سدًى فتقل نسبة المواليد تبعاً لذلك . ومع خطورة هذه النتيجة لدى الشعوب التي تجهل الاستقلال ووسائله لحفظ التوازن بين الانتاج والاستهلاك لست اظن انها في أخذها بعادة تعدد الازواج كانت ترمي اليها اذ لا يتصوَّر ان شعوباً في هذا الطور البدائي تكون من سمو الادراك بحيث تقدر هذه النتائج البعيدة بل انهُ من المحتمل ان تكون قد ادركت بعد زمن هذه الفائدة فكان ذلك من العوامل التي ساعدت على تدعيم هذا النظام ورسوخ اركانه

وقد كانت لسپارطه شريعة سنها ليكورغ تبيح الاشتراك في النساء بجوز بموجبها للشاب

الجيل اذا اشتهى امرأة جاره ان يستأذن منهُ ليضع في تربة زوجه الطاهرة غرسه فيأذن له ولا يرى انهُ اتى بذلك امراً ادًّا. ولم يكن الباعث على هذا النظام التعاون على توفير أسباب المعيشة كما هو الشأن عند غيرهم من الشعوب التي على الفطرة وانما هو نتيجة لانهماك الرجال في الحروب حتى كان أحدهم يقضي زهرة حياته بعيداً عن بيته وقد صارت للنساء بسبب ذلك على ما رواه ارسطو السيادة في بيوتهن حتى كان الرجل لا يخاطب زوجه الا بقوله سيدتي او مليكتي ولا بد انهن اصرفن لسبب نفسه مع هوى نفوسهن فتخذن اخداناً . ولا ريب في ان هذه الحالة كانت مثاراً لمشاحنات كثيرة وخصومات بين الرجال فلما جاء ليكورغ وكان جل غرضه تعزيز الروح الحربية لم يعنه من الامر الا القضاء على هذه المشاحنات وكان من تدبيره لذلك تلك الشريعة التي اشرت اليها التي جدع بها انف الغيرة فأزال اسباب الخصومة بين الرجال وقد نجح في ذلك نجاحاً بيناً من آياته انتفاء معنى الزنا من اذهانهم. وقد كان للرومان شريعة سنها لهم حكيمهم نوما تخول للرجل الذي يكثر اولاده ان يتخلى عن زوجه لجاره الذي لا خلفة له اذا طلبها اما الى اجل مسمى او لغير اجل وهي اشبه ما تكون بشريعة طلاق لكن بلوطارخوس في الموازنة بين ليكورغ ونوما يساوي بينها وبين شريعة الاول الآنفة الذكر ويصفها بأنها مثلها تبيح الاشتراكية في النساء مع فارق هو ان شريعة ليكورغ تبيح للرجل ان يدخل على المرأة المزوجة في بيت زوجها ولم يكن ذلك جائزاً في شريعة نوما الا بعقد مع زوجها كما تقدم ومع اعتراف بلوطارخوس بأن هذا العقد قناع يخفي وراءه اشتراكية لا ريب فيها يقرر افضلية شريعة نوما لتقريرها هذا العاقد

وظاهر من قصر حق النزول عن الزوجة على من يكثر اولاده ان الشارع كان يرمي الى تخفيف تكاليف الحياة عن عاتق الفقير بتقليل نسله . ولعل نوما وجد النساء الفقيرات يتبذلن للكسب خلسة من ازواجهن وكانت جرائم كثيرة ترتكب من الغيرة وخشي اذا بقي الحال على هذا ان تشتعل قلوب الفقراء بالحقد على الاغنياء لاعتدائهم على اعراضهم وان يضاعف لهم ذلك مرارة الفقر واشفق من عواقب هذا على السياسة الحكيمة ان يصف بها تباين الطبقات فسن هذه الشريعة علاجاً لذلك كله

ورأي فيما يتعلق بالتوارث انهم كانوا قبل الاسلام يبيحون تعدد الازواج من الفقر ولاضطرار الرجال ان يتغيبوا طويلاً عن بيوتهم للغزو . ومن آثار ذلك عندهم سيادة المرأة ونسبة الابناء الى الام دون الاب وقد تكلمت فيما سبق عن العوامل التي تمكن للمرأة من السيادة في عشيرتها . اما نسبة الابن الى امه فسببها انه في حالة تعدد الازواج يتعذر ان يعرف الاب على وجه التحقيق . ومع انهم قد ابطلوا بالاسلام تعدد الازواج فقد بقيت هذه العادة لاتصالها بتقاليدهم ولان سيادة المرأة من دعائم نظامهم الاجتماعي

اسيوط ناشد سيفين

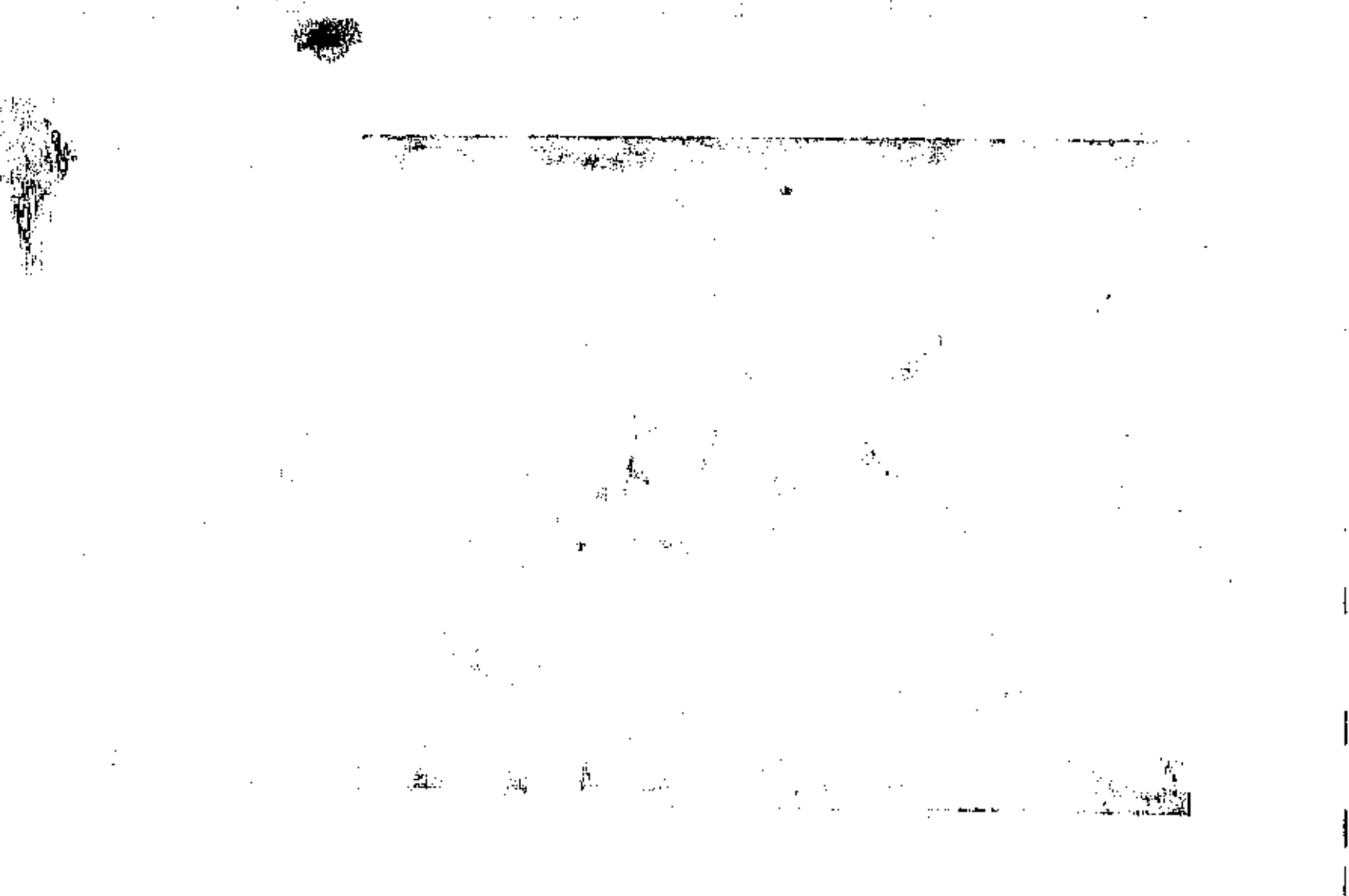

الآنسة ايمي جنسن

التي طارت وحدها على طيارة خفيفة من طراز موث من انكلترا الى استراليا .
وقد اشرنا الى ذلك في مقتطف يوليو الماضي صفحة ١١٦

مقتطف يوليو ١٩٣٠ امام الصفحة ٢١٥

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي نعرج فيه على كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام والملابس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونبغاتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

احاديث الطبيب الصحية

للدكتور شحاتيبي

١ — السرطان وأسبابه

لا تزال اسباب السرطان الاولى مجهولة او محاطة بحجب كثيفة — بخلاف الاسباب الثانية المهيجة التي تحرض على ظهوره ولا سيما في النساء فانها اصبحت معلومة وفي الامكان دفعها وملافاة ما ينتج عنها من خطر . ومن النادر ان ينشأ السرطان سرطاناً في بدء تكوينه اي لا يتكون من اغشية وخلايا سرطانية في بداءة نشوئه سواء كان ذلك على سطوح الجسم او في الاعضاء الداخلية . وانما ينشأ عن ورم مهما كان صغيراً في حجمه او بثرة او قرحة او جرح اهملت مداواته ولم يبرأ وهذه وان تكن اولى مهيآته فانها في هذا الدور ليست بسرطان وهي قابلة للمعالجة والشفاء . ولكنها في الغالب تهمل ولو نالت من العناية والاهتمام على قدر ما تستحقه لقل انتشار السرطان ولعدم ظهوره بأقل من عشرين سنة . اي ان المراقبة الدقيقة واتخاذ شروط الوقاية من هذا الداء الوبيل لمدة عقدين من السنين كافية للتغلب عليه ونحو أثره من الوجود

الوقاية من سرطان الرحم

وقد يظهر هذا الداء في المرأة في اي سنة من سني حياتها وقد تصاب به الفتاة ايضاً وهذا نادر . ومعظم الحالات بين سن الاربعين والخمسين وتزيد عدد وفياته على وفيات الامراض المعدية مجتمعة . وليس من عضو في الجسم بمنجاة منه ولكن الاعضاء التي هي اكثر تعرضاً للاصابة به هي الثدي في المرأة العقيم والرحم في المرأة الولود

ودلت الاحصاءات على ان ثلث الحالات مصابة بالرحم وان ٩٥ في المائة من هذه

الاصابات في نساء ولدن اكثر من ولد . والذي يؤيد هذه الاحصائية ما نشاهده في الحالات الاكلينيكية بعد الولادة فانه من النادر جداً ان تضع المرأة مولوداً من غير ان تصاب بجرح او خدش صغير او كبير في جزء من قناة التوليد او عضو من اعضاء التناسل. وأكثر الاعضاء تعرضاً لهذه الجروح والخدوش عنق الرحم فقد ثبت ان ٧٥ في المئة من الحالات السرطانية تنشأ عن جروح في عنق الرحم اهملت ولم تداوى . وانت ترى مما تقدم ان مسؤولية الوالدة خطرة جداً وخطورتها آتية من الاعباء الملقاة عليها وليس عليها في ازاء هذه الاعباء الا ان تعمل بحسب ارشادات الطبيب والنظام الذي وضعه لها وهي حامل . وعليها بل على من حولها من أهل ان يراعوا ذلك النظام ويعملوا على تنفيذ ما ورد فيه من شروط ولا سيما الخاص منها بعد الولادة . فالجروح التي تحدثها عملية الولادة يجب ان تداوى في الحال وما الاهمال في مداواتها الا سبباً كبيراً لداء السرطان وعاملاً قوياً على انتشاره . فاذا اردت ان تكوني بمأمن من هذا الداء وعواقبه الوخيمة فما عليك الا ان تأكدي من سلامة جسمك خصوصاً بعد الولادة من الجروح واذا كان ثمة جرح ولو كان خدشاً بسيطاً يجب ان يداوى وان يعتنى به الى ان يزول اثره . وقد ثبت من درس بضعة آلاف حالة انه لا ينشأ السرطان في رحم تداوى من تمزق حصل فيه وشفي منه وبالعكس اذا لم يداوَ هذا التمزق فانه يكون صالحاً لاثارة ذلك المرض المخيف . ومن اصلح الطرق لوقاية المرأة من داء السرطان هي ان تعنى بجميع الجروح والخدوش والتمزقات المتسببة عن الولادة عناية تامة وقد قيل ان العناية بها عبارة عن تأمين المرأة على حياتها

الوقاية من سرطان الثدي

اما سرطان الثدي فليس من السهل تعيين اسبابه فهي كثيرة ولكل منها ظروف واحوال خاصة . فظهور كتلة صغيرة فيه صلبة وغير مؤلمة لا تكون في اول نشأتها سرطاناً وانما تكون مقدمة لذلك المرض . وافضل ان تنزع في هذا الدور وهي بريئة من ان تترك الى حين يشتبه بها . والالم لا يرافق السرطان عادة في دور تكوينه ولذلك لا يصح ان يتخذ نذيراً له بحال . والمرأة التي تشعر بالالم من ورم ظهر في ثديها تكون في الغالب بمأمن من السرطان ولا يكون ذلك الورم بطبيعته الا خراجاً عادياً لا خوف منهُ . والمعروف عن السرطان في دور تكوينه انهُ غير مزعج وغير مؤلم ولا يصير كذلك الا بعد ان تتشعب اصوله ويكبر حجمهُ وتنعدم كل وسيلة فنية في دفع خطره ويقطع كل رجاء من مداواته . فتجاهل الاورام الصلبة الصغيرة وتركها وشأنها من غير معالجة او استئصال خطر يجب ان لا تستهدف له امرأة وان يعمل على ملافاته ودفع ما ينشأ عنه من عواقب سيئة

٢ — واجبات القابلة

دعيت لمعالجة بعض النساء من الطبقات الفقيرة فهالني ما أصبن به من امراض ناتجة عن جهل القوابل غير المتعلمات فرأيت ان اكتب كلمة عملية في هذا الموضوع أخاطب بها تلك القابلة :

قبل ميعاد الوضع بثلاثة اسابيع زوري الحامل في بيتها مرة في النهار ولاطفيها وشجعيها واذكري لها حوادث يشرح لها صدرها . وفي خلال زياراتك ادرسي احوالها وأحوال من في البيت معها وارشديها الى امور ينبغي ان تعلمها حتى تتمكني من ثقتها . فيهون عليك ان تلقي عليها اسئلة تدركين من الجواب عنها مقدار ارتياحها الى مكالمتك . تفقدي بنفسك ثياب الجنين وثيابها عند الوضع وبعده وما يجب وجوده ساعة الولادة وبعدها من الاربطة والقطن المعقم والحفاضات والوسائد والاواني من صحون ومغطس او حوض صغير وحقنة ورباط الحبل السري وعقاقير لتعقيم الماء . واتقي للولادة غرفة واسعة مطلقة الهواء خالية من الستائر والفرش ليس فيها الا طاولة لوضع الادوات عليها . وتغسل القاعة او تبخر بحرق الكبريت فيها بعد سد منافذها ٢٤ ساعة . وتغسل الطاولة بالماء الفاتر والصابون جيداً ثم تجفف وتغطى بملاءة نظيفة معقمة . ويلزم للحامل سرير تلد عليه فاذا تعذر وجوده ففرشة فوقها مشمع وشرشف وبطانية وفوق هذه الفرشة طراحة توضع تحت مقعدة المرأة ومشمع وملاءات لامتصاص السوائل التي تخرج في اثناء الولادة . وبعد انتهاء الوضع ترفع الطراحة وما عليها ويبقى ما تحتها كما وصفناه . ولا اخالك تجهلين ان المدة الكاملة للولادة من ابتداء الطلق الى انتهائه في بكريات الولادة اطول منها في الوالدات . فالاولى تستغرق من ١٨ ساعة الى ٢٢ والاخرى من ٨ ساعات الى ١٠ وقد يختلف هذا التعديل

عند ما تنون الضحاب الى بيت الحامل في وقت المخاض خذي معك قميصاً طويلاً او كسوة شبه مريول من الكتان الابيض معقمة ومقراضاً (مقصًّا) لقص الحبل السري وقليلاً من الحامض البوريك ولفافة قطن معقم . وحالما تدخلين البيت قابلي اهله بالبشاشة ثم اقتربي من الحامل وسري اليها سؤالك عن نوع الطلق والوقت الذي ابتدأ به ومدة النوبة والفترة بين النوبات فاذا كانت الفترة نصف ساعة تكون مدة النوبة نصف دقيقة والالم خفيف . ومتى حصلت النوبة وكانت الحامل ماشية واضطرت الى الوقوف والاستناد الى ما تجده بجانبها وترتسم على وجهها علامة التألم لكنها تزول عنها بسرعة . واذا كان قد مضى عليها في هذا الدور بضع ساعات اشيري عليها بالمغطس او الاستحمام بماء فاتر وان تلبس ثياباً نظيفة . وبعد قليل لابدَّ من الحقنة الشرجية بماء فاتر مع مقدار من الزيت في المستقيم

وعندما يشتد الالم ويتكرر الطلق مرة كل عشر دقائق وتمكث النوبة دقيقة وأحياناً يرافق هذا الدور اعراض اخرى مثل تكرار التبول والشعور بحيث تظنه ماء الرأس يجب ان تذهب الحامل الى فراشها ويجب ان يكون بالقرب منك الماء الحار والفانر ومغطس صغير او حوض لاجل الطفل الذي ستستقبليه مع بقية الادوات التي ذكرناها من شاشف وقطن ووسائد

والعادة في الشرق ان تجلس الحامل على كرسي تسهيلاً لقذف الجنين من جوفها وهذا وهم وخطأ فضلا عن الاضرار التي تنشأ عنهُ. والافضل ان تستلقي على ظهرها توفيراً لقواها ودفعاً للخطر الذي ينجم عن جلوسها في الكرسي . وتكونين انت قد لبست قميص التوليد وشمرت عن ساعديك الى فوق الكوع وجئت بمن يصب لك الماء الفاتر فاغسلي يديك وساعديك بالماء والصابون الى الكوع وقلمي اظافرك قبلاً وليطل وقت غسل يديك خمس عشرة دقيقة واغسلي يديك بمحلول الحامض البوريك وهو الوحيد الذي يمكنني وصفه لك مع وجود سواه افضل منهُ ولكن لا بأس به فضعي مقداراً كبيراً بوعاء يسع لثماء فاتر . ومتى صار الطلق مصحوباً بالم اشد من السابق وطالت مدة النوبة دقيقة ونصف وسمعت للمرأة الحامل صراخاً شديداً استعدي للعمل الذي دعيت اليه فاجلسي بجانبها . وقوي عزيمتها بكلام ترتاح اليه . وفي بدء هذا الدور ينسكب في الغالب ماء الجيب فتنظفي جسمها منهُ . واشير عليك باستعمال الجس الخارجي فقط فاذا شعرت بتمدد عنق الرحم واندفاع الرأس الى الخارج مع كل طلق نبهي المرأة ان لا تصرف قواها في الطلق الاعتصابي الا متى رأيتِ الرأس ابتدأ في الظهور فدي يدك اليمنى من تحت فخذها اليمنى واسندي الاجزاء الواقعة هناك بكفك عند كل طلق . وعند بزوغ رأس الجنين امسكيه بيدك الثانية واعترضي مروره فجأة وكلما مددت يدك الى جسم المرأة اغسليها بالماء المعقم ولا تلمسيها بدون ذلك . واياك ان تستعملي الجس الداخلي فان الطبيب مع الوسائط التي يتخذها للتعقيم والتطهير يحجم عن الجس الداخلي الا بظروف قاهرة . وقبل ان يتقدم عليه يصرف نصف ساعة في غسل يديه لعلمه ان الولادة رغم هذه التحوطات لا تنجو من خطر العدوى

وعندما يظهر الرأس جسّي حول عنقه اذا شعرت بحبل السرة ملتفاً عليها. لا تخافي ولا يظهر عليك الوجل بل قولي للمرأة ان تطلق طلقاً صناعياً وانزعي الوسائد من تحت رأسها بحيث يكون استلقاؤها على ظهرها مستوياً . وفي بضع دقائق يُحلُّ المولود من عقاله واذا تأخر وكان الحبل السري ينقبض فلا تخافي عليه فالطبيعة تساعده على النجاة انما اجتهدي أن تخلصيه بمرور اصبعك بين الحبل والعنق وامسحيه الى فوق الرأس . واذا عجزت عن ذلك وكانت علائم الاختناق قد بدت على وجه الجنين ولم يكن بقربك طبيب فاربطي الحبل السري

ربطاً محكماً رباطين يبعد الواحد عن الآخر قليلاً وقصي الحبل بين الرباطين فيخرج الجنين بسرعة تسمعين بكاء الطفل عقب ولادته بمدة قصيرة. وهذا البكاء اشارة على وجوب قطع الحبل السري اذ لم يعد في حاجة الى الغذاء بواسطته . فربطي الحبل السري على بعد بادخال اصبعك بينه وبين السرة ربطاً متيناً. واربطه رباطاً ثانياً يبعد عن الاول قليلاً واقطعي الحبل بالمقراض المعقم وسلمي الطفل الى من يعتني به كما يجب ولا حاجة الى انتظار خروج الخلاص حتى تربطي الحبل السري وتقطعيه . فقد يتفق ان لا يخرج الخلاص الا بعد نصف ساعة او اكثر

وبعد ذلك الزمي جانب الوالدة ومري يدك على بطنها واضغطي بلطف على جسم الرحم فيتنبه الى وجوب قذف الخلاص . وعند خروجه افحصيه جيداً بعد ان تنظفي جسم المرأة وترفعي من تحتها الخرق الملوثة وفي ثالث يوم لولادتها اعطها شربة زيت خروع ولا تشيري عليها بالاكل الاعتيادي قبل مرور اسبوع . اما الطفل فادهني جسمهُ بالزيت واغسليه بالماء الفاتر والصابون ثم طهري السرة ورمي عليها قليلاً من الحامض البوريك وغطيها بقطن معقم برباط على وسطه لحفظها ولا يتغير هذا الرباط الا عند وقوع قلفة السرة بعد ثلاثة الى اربعة ايام

٣ — امراض الاسنان وتأثيرها في الجسم

الحالة الثامنة : امرأة عمرها ٤٠ سنة اصيبت في شهر فبراير سنة ١٩٢٤ بالتهاب حاد بالمفاصل تضاعف بالتهاب حاد كلوي ولم يسمح لها بغير اللبن طعاماً وقد تحسنت صحتها كثيراً على هذا الغذاء وذهب الورم او كاد عن اطرافها السفلى الى حد السرة ولما عاينها مادن بعد مضي ستة اشهر وجد ورماً خفيفاً في القدمين وعثر في البول على اسطوانات وزلال وكريات حمراء . وكانت قد اجريت عملية استئصال اللوزتين من بضع سنين وخلعت ثلاث اسنان في مدة مرضها الحالي واتضح من البحث ان ثلاث اسنان اخرى دب فيها النخر وفقدت قوة الاحساس فخلعها وزرع الجراثيم التي عثر عليها فيها ثم حقن بما استنبتهُ منها ارنبتين وبحث بعد ثلاثة ايام في جثتيهما فوجد كلى الارنبتين متضخمة ملتهبة وباهتة اللون وبها نزف والمفاصل ملتهبة وكذلك عضلات القلب والعين والمعدة. وبعد مضي شهران على خلع الاسنان شفيت المريضة

الحالة التاسعة : تلميذ في مدرسة الطب عمره ٢٤ سنة قال انهُ وهو في الثانية عشرة شعر بان قلبهُ يسرع في ضرباته واستمرَّ على ذلك مدة ثم عاد الى سابق عادته ولم يكن من سبب يربط هذه الطارئة على القلب وانما لما عاودتهُ وهو في سن ١٨ سنة وجد خراجاً في جذور سن . وفي مايو ١٩٢٥ عاودتهُ هذه النوبة وظلت بضع ساعات وكان قد شعر بألم بسن الضاحكة فخلعها وحقن بما استنبتهُ من الجراثيم التي وجدها فيها أرنبتين واظهر البحث في جثتيهما تزفاً في عضلات القلب وفي أكتوبر عاودتهُ النوبة القلبية ومات بها واظهر البحث الرسمي التهاباً بعضلات القلب

باب الزراعة والاقتصاد

سد كولدج

اقلعت من اسبانيا سنة ١٥٢٨ حملة لتحتل بعض مجاهل اميركا الشمالية الى الغرب من فلوريدا . نزل ثلاثمائة رجل من هذه الحملة في القسم الشرقي مما هو ولاية تكسس الآن وساروا غرباً فاجتازوا تكسس ثم تشيواوا ثم سونورا ثم بينالوا الى بلدة سان ميكال عند ساحل الباسيفيكي بغرب المكسيك. استغرقت هذه السفرة ثماني سنوات لكثرة ما اعترضهم من المشاق والاهوال ولم يسلم من الرجال بعد الغرق والمرض والقتل غير اربعة واحد منهم عربي

وصل الاربعة الى سان ميكال سنة ١٥٣٦ وروووا في ما رووهُ انهم سمعوا باخبار شعب على جانب عظيم من الثروة لهُ مدن عامرة وزراعة ناضرة واقية للري منظمة الى غير ذلك من ادلة العمران والغنى . فاضاف الاسبانيون في المكسيك هذه الاخبار الى الاحاديث التي كان يأتيهم بها بعض الهنود الاميركيين وقام في اذهانهم ان الى الشمال منهم بلاداً اغنى من المكسيك ويبرو يكثر فيها الذهب والفضة والحجارة الكريمة وأطلق على هذه البلاد اسم « سيبولا » او « مدن سيبولا السبع »

شاقت هذه الاخبار مندوسا الحاكم الاسباني الى اكتشاف « المدن السبع » فسيّر من جهة كلّيا كان سنة ١٥٣٩ يشايعها الراهب ماركوس دي نيزا والراهب اونوراتو والعربي اسطفان وثمانية من الهنود بمرض اونوراتو قبل ان يبعدوا فتخلف وواصل الباقون المسير الى بعض جهات سونورا حيث اوعز دي نيزا الى دليلهِ العربي ان يسبقه فيرتاد المجاهل امامهُ ويأتيهِ باخبارها . فاصطحب اسطفان اعواناً من الهنود الاميركيين وسار الى أريزونا يكتشف البلاد ويهيّىء طريق دي نيزا

هذه حكاية اكتشاف اريزونا مختصرة ومنها تبيّن ان قبيلة اليها التي اكرمت اسطفان ثم دي نيزا عند مرورهما بوادي نهر هيلا الاسفل على جانب من التمدن يحرثون الارض ويبيعون الى السلم وهم على ذلك حتى يومنا هذا

وفي اواسط القرن الماضي استولت على اريزونا الولايات المتحدة الاميركية في اثناء

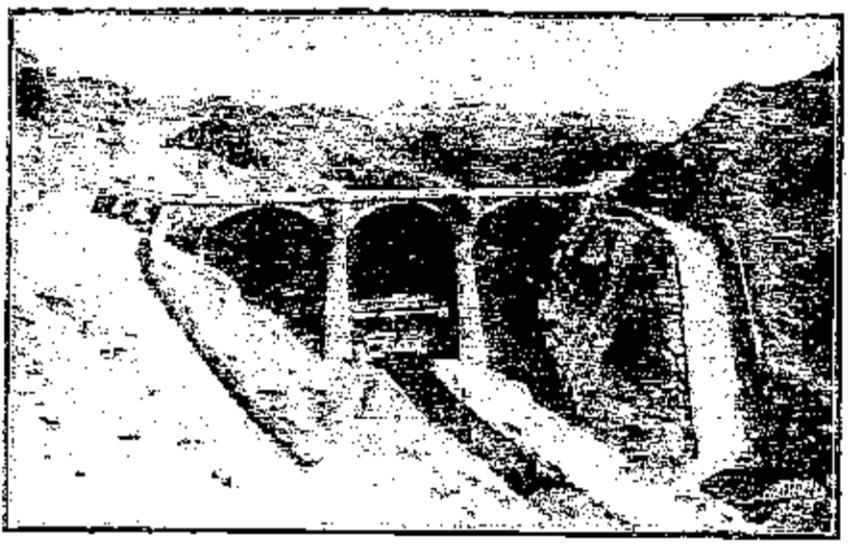

سدّ كولدج من الامام

سدّ كولدج من الوراء

تبسطها وامتدادها الى الاوقيانوس الباسيفيكي واخذ البيض يزدادون فيها ويستصرونها . ثم كثر الذين حلّوا في وادي نهر هيلا الاعلى وحوّلوا كثيراً من ماء النهر الى مزارعهم فقل الماء في مزارع البيض على توالي السنين وشحّ رزقهم ولكنهم بقوا على ولاء البيض

واتت جماعة من البيض ان يروا البيض يجف زرعهم ويسمهم الضيم فقاموا يدعون الى رفع الحيف ويسعون لدى حكومة الولايات المتحدة لتنصفهم وانضم الى هؤلاء الانصار الملاكون من البيض الذين يعوزهم الماء فكان من وراء ذلك ان انفقت الحكومة ٥٠٥٠٠٠٠٠٠ من الدولارات اي مليون جنيه ومائة الف فبنت سد كولدج ليخزن ماء الفيضان من نهر هيلا فتروى به ارض الهنود وعلاوة على ذلك مساحات واسعة من ارض البيض

وموقع السد في قضاء هيلا بأواسط اريزونا في مكان يرتفع ٢٥٣٦ قدماً عن سطح البحر . وقد بني بالسمنت المسلح على شكل جديد ابتدعهُ احد مهندسي الحكومة للاقتصاد في مواد البناء . فهو مؤلف من ثلاث قبب متلاصقة كل قبة منها بشكل قطعة من بيضة . وفي داخل القبة الوسطى بيت الكهربائية يولّد منها ما يعادل ١٠٥٠٠٠ حصان من القوة . وفوق القبب جميعها طريق من العدوة الواحدة الى الاخرى

ويبلغ علو السد ٢٢٠ قدماً من مجرى النهر وطوله عند اعلاه من العدوة الواحدة الى الاخرى ٨٨٠ قدماً . ومتى ارتفع الماء وراءه الى الحد الاعلى كان منه بحيرة طولها نحو ٢٥ ميلاً . ويكفي ما يسعه من الماء لري ١٠٠٥٠٠٠ فدان اذا انقطع المطر ثلاث سنوات

احتفل بتدشين السد في رابع مارس (اذار) من هذه السنة واشترك بالاحتفال المستر كولدج رئيس الولايات المتحدة السابق الذي سمي السد باسمه وألقى خطبة الافتتاح داعياً الى الانفاق من الثروة التي ستنشأ عن الري في وجوه ثلاثة ترقية الحياة الدينية ونشر المعارف وتحسين المعيشة البيتية . وقام خطيب من قبيلة اليما فذكر الناس ان قومه اطعموا من جاع من البيض في بلادهم وآسوا من مرض ودفنوا من مات وثبتوا على الولاء . وعقد الصلح لاول مرة في التاريخ بين قبيلتي اليما والاباتشي اذ اشترك ممثل من كل منهما مع المستر كولدج في تدخين « غليون السلام » . وشهد الحفلة خلق كثير سمع كلهم ما القي من الخطب بواسطة مكبرات الصوت التي بثت بين الصخور على مسافة ميل ونصف

اما الارض التي ستروى فتبدأ عند بلدة فلورنس على ٦٥ ميلاً من السد وتمتد الى بلدة كاسا غراندي . وفيها آثار اقنية تدل على عمران قديم وشعب كان على جانب عظيم من الحذق في الري والزرع عمر البلاد من قبل اليما

وديع تقولا
ابو نادر

مياسي اريزونا

تربية النحل المصرية

وحظنا منها

بقلم الدكتور احمد زكي ابو شادي
سكرتير (رابطة ممكة النحل) ومحرر مجلتها

اصبحت السياسة الاقتصادية المحور الذي يدور حوله تقدير الحكومات ونجاحها، ولا عبرة بكل ما عداها، فهي الرائد وهي الغاية وإن تنوعت المظاهر والمبادئ التي تحوم حولها

والناس في هذا الوقت يعانون من الأزمات المالية المتتابعة ما يجعلهم ينصرفون اكثر من ذي قبل عن الكلاميات والنظريات الواهية. فلا غرابة إذا تنبهوا الى مصادر أرزاقهم وقوتهم المادية والتفتوا الى إنماء الصناعة وتحسين الزراعة والتجارة. ولا بدع إذا بحثوا عن موارد جديدة للدخل: وفي مقدمة هذه الموارد التي تهم قطاعها مصر وغيرها من الأقطار الزراعية في الشرق الادنى بل في العالم العربي تربية النحل ودودة القز والدواجن وأشجار الفاكهة وحفظ الخضروات والثمار وإعدادها للتصدير. وهذه الصناعات الزراعية كلها ميسورة النجاح في مصر وفي الأقطار المجاورة على الأقل — وإن تكن في مهدها — لو أنها تلقى من مساعدة الحكومات ومن يقظة الاهالي المعاونة الكافية. ونحن في سبيل هذه الدعوة الواجبة نجتزئ في إخلاص هذا النقد البريء

وحسبنا هنا ان نقصر كلامنا على تربية النحل، إذ من المؤلم حقاً أن قطراً زراعياً كمصر لم يصدر في العام الفائت مثلاً سوى ١٫٧٩١ كيلو جراماً من العسل في حين أن الوارد اليه في المدة ذاتها كان ٥١٫٩٥٤ كيلو جراماً من العسل اشتركت بلاد غير زراعية في تصدير جانب غير قليل منه إلينا!! فما علة هذا العجز المخجل الذي يلوح انه منتشر في الممالك الأفريقية وفي جميع الاقطار الناطقة بالضاد؟ وهل من الممكن مداواة هذه الحالة وخدمة النهضة الاقتصادية؟

عندي أن سبب هذا العجز يرجع أولاً الى عجز الحكومات في سياستها الانشائية. وما من شك في ان النهضة الحكومية هي رائدة النهضة الاهلية في بلادنا الشرقية كما

صورة منحل عصري في زيلاندا الجديدة التي هي في طليعة الممالك الحافلة بالنحالة العصرية — ويلاحظ حسن تنسيق الخلايا ورونق المنحل البالغ حدّ الكمال

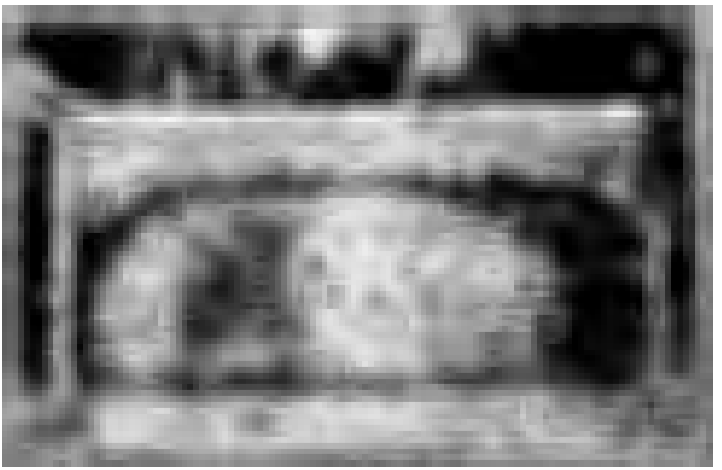

صورة إطار ذي قرص صناعي من الألومنيوم وهو غاية ما وصل اليه العلم الحديث في تربية النحل . ويرى القرص ممتلىء حضنةً (في الوسط) وعسلاً (في أعلا القرص)

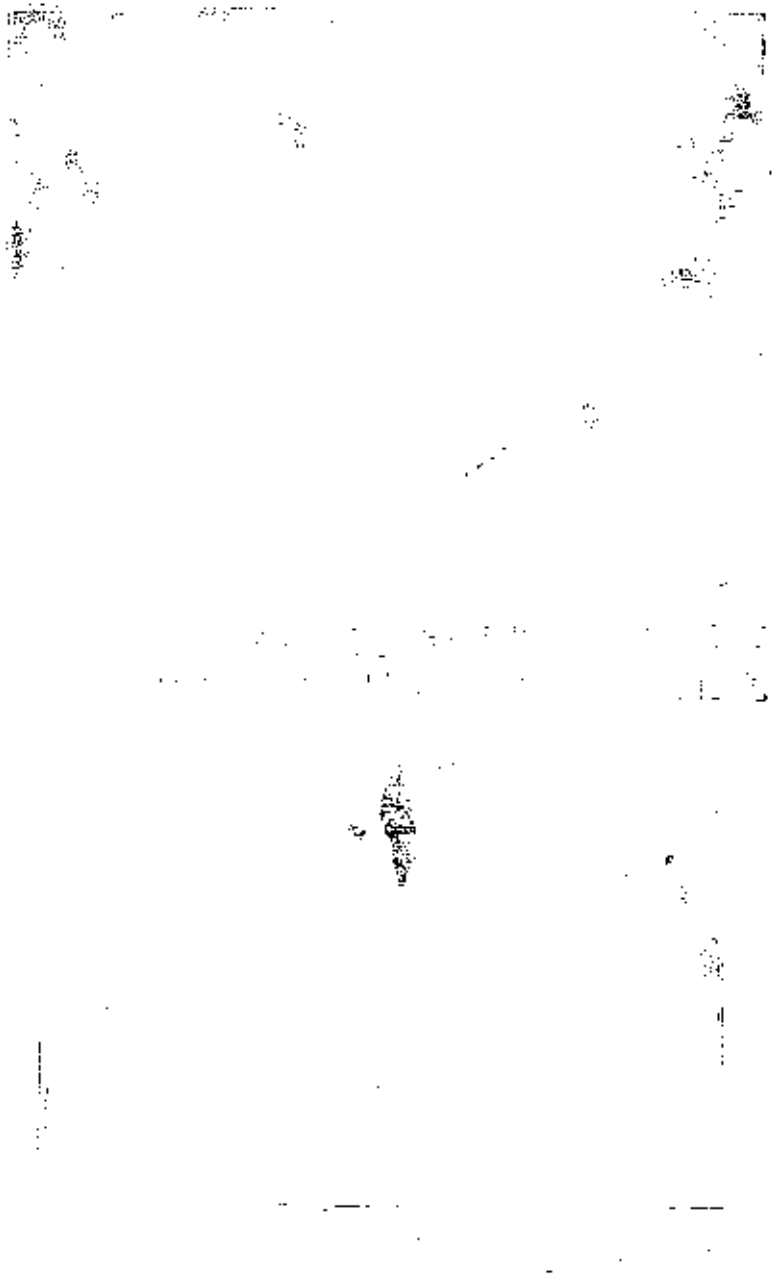

شاهدنا في تركية. وها هي جمهورية لبنان لما قامت تسترجع شهرتها القديمة في تربية دودة القز كان رائدها الى الاصلاح حكومتها الوطنية التي عقدت في الربيع الماضي مؤتمراً للحرير في بيروت فما هو مبلغ المساعدة التي تقدمها حكوماتنا الشرقية للنحالة في بلادنا؟ الذي أعلمه هو ان هذه المساعدة لا وجود لها، اللهم إلا في مصر. ولكن ما هي حقيقة هذه المساعدة، وهل هي جديرة بأن يقتدى بها؟

***

يتولى الآن فرع تربية النحل التابع لوزارة الزراعة في مصر بيع الخلايا الانجليزية المقاييس والنحل القبرصي والخلاسي (في الغالب) لمن يشاء شراءها من المبتدئين او النحالين، كما يقبل تدريب المتعلمين الى حدٍ ما ويقوم بلا مقابل بالتفتيش في المناحل. وكل هذه مساعدات طيبة ولكنها محدودة القيمة. فاذا كنا نريد نهضة صحيحة فيهات ان تجدي هذه الوسائل، بل لا بدَّ لنا من وسائل اخرى فسألة نذكر اهمها فيما يلي:

(١) تحريم استعمال الكوائر الطينية بل وكل خلية غير عصرية اي كل خلية ليست محتوية على اقراص في أطر متحركة — ذلك لأن الخلايا غير العصرية هي في حكم الصناديق المقفلة التي لا يمكن معرفة محتوياتها والكشف عنها لتبين مبلغ سلامتها او مرضها ودرجة يسرها او عسرها. فمن الخطر على سلامة النحل في مصر استمرار وجودها. ومثل هذا يقال عن الاقطار الاخرى التي ما تزال تستعمل الاساليب السيئة. وقد جربت حكومات رشيدة وسائل القضاء على هذه الاساليب فلم تجد انجح من التشريع الذي يحرم وجودها تدريجياً، بشرط ان يكون هذا التحريم مصحوباً بالتشجيع العملي للاساليب العصرية

(٢) تكوين الجمعيات التعاونية لنشر النحالة العصرية وتشجيعها بالقروض والاعانات، إذ تدل الخبرة على نجاح الجمعيات التعاونية حتى في البيئات المتأخرة بعكس حالة الافراد، وهذا رأي يؤمن عليه العالم الفاضل الدكتور ابراهيم بك رشاد مدير قسم التعاون بوزارة الزراعة

(٣) استعمال الخلايا والادوات الاميركية (بدل نظائرها الانجليزية) لانَّ هذه الخلايا والادوات الاميركية أصبحت اعمّ الاستعمال والانتشار. وهي أرقى مما عداها علميًّا، وأوفر انتاجاً وأرخص ثمناً. وقد أصبحت أمريكا مركز الثقافة العالية لتربية النحل، فمن الغبن الفاحش لنا قطع صلاتنا بها والاعتماد بدل ذلك على المصانع الانجليزية

(٤) الاهتمام بالنحل الايطالي والكرنيولي، وهما أصلح ضروب النحل من الوجهة التجارية ولهما منزلة عالية، ويهمنا بنوع خاص النحل الكرنيولي لانهُ غاية في الوداعة والهدوء فضلاً عن نشاطه الممتاز. فهو نحل صالح جدًّا للاطفال وللسيدات وللمبتدئين

بوجه عام . ومن الاساءة للنحالة في أيّ قطر أن يحرّم انتشارها فيه ، فمن الضروري إذنْ ايجاد التسهيلات الكافية لجلبها من بلادها مع اتخاذ الحيطة اللازمة لمنع نقل الامراض. وهذا امر ممكن تحقيقهُ فيما اعتقد . ومهما بلغ اهتمامنا في المستقبل بتوليدها في بلادنا فلن نستغني عن التجديد من الخارج ، فما بالك ونحن لم نعمل بعد شيئاً يذكر في هذا المجال ، ولا تزال طوائف النحل الإيطالي والكرنيولي في مصر قليلة جدًّا ؟

(٥) تخفيض التعريفة الجمركية على أدوات النحالة أسوة بغيرها من الادوات الزراعية حتى تجلب من الخارج بسهولة ما يعوزنا منها : مثل الاقراص الصناعية وفرازات العسل ونماذج الخلايا التي يراد أن يُصنَع مثلها عندنا الخ . وأمَّا الاكتفاء بما تجلبهُ الحكومة وتوزعه فلا يطمئنا الاعتماد على النفس ، ولا يساعد على تنمية التجارة الحرّة وتكوين تجار نابهين ، فضلاً عن ترك النحالين تحت رحمة موظفي الحكومة واهوائهم

(٦) تشجيع جمعيات النحالة والمعارض والمؤتمرات وفي مقدمتها مؤتمر النحالة الاممي المراد عقده بالقاهرة في فبراير المقبل اثناء اقامة المعرض الزراعي الصناعي ، والمأمول أن يشترك فيه ممثلون لأمم مختلفة تبادلاً للآراء والخبرة والمشورة

(٧) تكوين لجنة استشارية حرّة من الخبراء غير الموظفين لتسترشد بها الوزارة

(٨) إنشاء معهد علمي للنحالة جامعاً بين البحث والتعليم ومرتبطاً بعامل وزارة الزراعة

(٩) تحريم جلب العسل من المناطق الموبوءة في الخارج وتشجيع الانتاج المحلي وتصريفه

(١٠) الاتفاق مع مصلحة السجون على صناعة ما يُستطاع صناعته محليًّا من أدوات النحالة ليبعها للجمهور بسعر مناسب تشجيعاً لتربية النحل في مصر

***

لخصنا من تربية النحل العصرية إذنْ ضئيلٌ وما نزال نمهدُ في دور التقاط ، ولكننا لا نريد ان يطول هذا الدور حتى لا يصح لزاماً لنا ..... واذا عرف القارئ انَّ عدد الخلايا العصرية في مصر لا يتجاوز الالف وأنَّ عدد الكوارة يبلغ نحو ثلثمائة الف كوارة وأنَّ كلَّ خلية عصرية هي بمثابة عشر كوارة في إنتاجها ، أدرك مبلغ التأخر والفوضى الحاضرة عندنا في حين أن مصر كانت في طليعة الامم عناية بالنحالة منذ فجر التاريخ . هذه مرآة الاحوال عندنا ، وفيها دروسٌ للامم الشرقية الاخرى التي تريد أن تأخذ بأسباب النهضة في هذا المجال المفيد

مكتبة المقتطف

خطرات نفس

للدكتور منصور فهمي — استاذ الفلسفة في الجامعة المصرية — طبع بمطبعة المعارف بمصر صفحاته ٢٢١ قطع وسط بنط ٢٤

« احب مصر لان كلّ ما يتصل بي من خير انما هو من فضلها وبركاتها . احب مصر لاني احب آمالاً تولّدت فيّ منها . ولاني احب خيراً يوحيه اليّ ما فيها من شرّ . ولاني احب صالحاً يوحيه اليّ ما فيها من فاسد . ولاني ادرك ان فيها نقصاً يحبب اليّ الكمال . احب مصر لاني ارى فيها مزرعة واسعة ضعفت ارضها وهرم شجرها المثمر واساءت الحشائش المفسدة الى نبتها الطيّب . فلعلّي اصلح فيها باعاً من الارض . ولعلي اعين فيها نبتة نافعة على النماء . ولعلي استمتع يوماً فيها بثمرة ناضجة . احب مصر مستودع عظام ودماء انا جزء منها . ومستودع تاريخ وأحلام لي فيها جميعها نصيب . ومستودع قلوب تحنو عليّ وتتصل دقاتها بدقات فؤادي » ص . ٨١

هذه هي عقيدة الدكتور منصور فهمي الوطنية . ونعم هذه الوطنية الرشيدة التي يرتفع عليها الانسان الى مستوى اعلى من مستوى الوطنيات الطاغية المكتسحة لصدور الشعوب المستفزة لما في الطبائع البشرية من ميل الى النزاع والحرب

«في عربة من عربات الترام الذي أكاد أركبه كل يوم لأذهب الى عملي، اجتمعت فئة من الراكبين : فيهم أم مصرية ومجانبها طفلها الصغير ، وفيهم بعض رجال من اعمار مختلفة، وفيهم سيدة خليعة ، وفيهم عامل الترامواي . أما الأم فكانت مثلاً في الاحتشام توجه الى صبيها نظرات الحنون ، وكانت تارة تصلح لهُ من ملبسه وتارة اخرى تحدثهُ في وداعة ورحمة . بالاختصار كانت كأنها ترعى فيهِ أملها المرتجى، وسعادتها الثابتة ، ونفسها السابغة، فلا تكاد نفسها وحركاتها تتوجه إلاّ اليهِ والى ما يهمهُ . واما الرجال الجالسون فكان بعضهم مكبًّا على المطالعة في الصحف، وبعضهم يتحدثون فيما بينهم في شؤون لهم ، والبعض يرعى شيئاً في نفسهِ من فكرة عارضة تشغل الرأس او امر ذي بال

« أما الخليعة المكحّلة فكانت تلوي في حركات مصنوعة لتلفت النظر الى نفسها وكانت تارة تشمّر الازار عن بعض ساقها ، وتارة اخرى تكشف الثوب عن بعض ذراعيها ، وهرة

تبدي زينتها ، ومرة اخرى تحاول أن تتحدث مع العامل ، او مع من حولها من غير حاجة ماسة الى مثل هذا الحديث

«أما عامل الترام فكان في ثوب عمله الاصفر مأخوذاً في واجبه ذاهلاً بذلك عما عداه

«سار بنا الترام شوطاً ثم اخذت الخليعة تستوقفه بصوت وعبارات وإشارات كان من شأنها أن تلفت نظر الجالسين ولكن بامتهان واحتقار . فلما شرعت في النزول التفت البعض الى البعض ثم التفتوا اليها التفاتاً يدلُّ على امتعاضهم من تلك الصورة المخجلة . ثم قطع الترامواي بعد ذلك شوطين وقامت السيدة المحترمة أم الصبي لتأهب للنزول فأخذ الجالسون في عونها وعون ولدها في صورة من التقدير والاجلال لاحتشامها

«في الصورة التي مثلتها السيدة الخليعة ، والصورة التي مثلتها السيدة الجليلة ، وفي موقف الناس حيال الصورتين ظهر لي القانون الخلقي في هيئته الصامتة . . . . »

هذا هو إمعان الدكتور منصور فهمي الخلقي وهو في بساطته وبلاغة ايجازه افضل في النفس من مئات الخطب في تحليل المبادىء الادبية ونشوئها وتطوّرها

«الجمال خطيب صامت لا يرغب ان يتحدث الغير عنهُ اذ في صمته كل فصاحة وفي سكوته كل بيان . الجمال معنى طلق لا يريد ان يحدّ ولا ان يعرَّف لان الحدود والتعاريف من سفاسف الامور والجمال لا يتصل بهذه السفاسف

وقال في نهاية مقالة بليغة عنوانها: الذكرى الاديب « يا صاحب الجبين النوري والذهن المكدود . انك تموت بعد الحياة وتسكت بعد الخطاب . وانك تجدُ الملائكة تهيء لك عقوداً مما نقتهُ من لآلىء ودرر . فاذا كان في عقدها خرزة صغيرة من خزف — فاعلم انها دليل هذا اليوم الذي هبطتَ فيه من عالم الادب الرفيع فشاركتَ الناس لحظة في ترهاتهم وأباطيلهم »

هنا يتلخص مبدأ الدكتور منصور فهمي في الفن والادب ! « الجمال معرفة والله اعرف المعارف » . والادب هو « تعبير عن شخصية الادب — وشخصيتهُ — مجموعة ما انطوت عليه نفسهُ من آراء ومشاعر ودرجات من النشاط . فلماذا يغير ما في نفسه من افكار . . . ولماذا يستبدل بعواطفه التي تشبعت بها سجيتهُ عواطف اخرى . ولماذا يزيف ارادتهُ التي تلتئم وطبيعتهُ وعواطفهُ ويتخذ ارادة مغايرة لها »

هذه مقتطفات من «خطرات نفس» تبين عن نواحي مختلفة من آراء المؤلف . ولكنها نواحٍ تراها اذا جلست الى صاحبها مجتمعة فيه اجتماع اتساق وانسجام . فهو وطني غيور ولكن بالمعنى الذي بسط في عقيدته الوطنية ، وهو في نقاء صفحته وسموّ خلقه مثال حيّ

لجلالة القانون الحقي الصامت. فاذا اضفت الى ذلك عقلاً ذكيًّا صقلهُ العلم والاختبار ونفساً حسّاسة طبعتها الفلسفة بطابع الحكمة ادركت ان «خطرات نفس» بما فيه من صور الحياة والنفس كتاب قلما تقع على مثله كلّ يوم . اقرأهُ وأنت كمدود الذهن تجد راحة . او اقرأه وأنت حزين تجد تعزية . او اقرأهُ وأنت ثائر تجد هدوءًا وطمأنينة . واملي ان تقرأهُ

ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى

تأليف محمد عبدالله عنان — صفحاته ٤٤٥ صفحة مزينة بالصور التاريخية — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية — على نفقة لجنة التأليف والترجمة والنشر — وثمنه ٣٥ قرشاً صاغاً

هذا موضوع تاريخي قضائي روائي . فهو تاريخي لانهُ يتناول فترة خطيرة من تاريخ الكنيسة (ديوان التحقيق) وطائفة مشهورة من الشخصيات التاريخية من ماري ستوارت الى تشارلس الاول الى فولتير الى لويس السادس عشر الى ماري انطونيت الى لويس السابع عشر الى دريفوس . وحول كل شخص من هؤلاء وغيرهم ممن ذكرت محاكماتهم تدور حوادث عصرهم وتقاليده وأمانيه شعوبهم وآمالها. وهو قضائي لان المحاكمات تمت في مجالس القضاء وان صحّ فيها قول الدكتور هيكل في المقدمة حيث يقول : « ففي هذه القضايا لم يكن المحققون الذين حققوا محققين . ولم يكن القضاة الذين حكموا قضاة . ولم تكن هناك فكرة العدالة يقصد الى تحقيقها . بل كان هذا كلهُ تمثيلاً مسرحيًّا يصوّر مهزلة فاجعة تملها شهوات اولي الامر وليس فيها للقانون والقضاء والعدالة سوى الاسم » . وهو روائي لان كل فصل من فصوله يحوي من عناصر الرواية والحيلة الروائية والسرّ المدفون الذي يتطلع اليه القارىء ما يفوق اكثر الروايات غرابة وتفنناً في استنباط المدهشات والمفاجئات

وللاستاذ عنان اسلوب يغريك بالقراءة فهو يجمع الى جزالة لفظه ومتانة تركيبه تلك الروح الحقية التي تمتاز بها كتابة الاديب. وهو يكتب بسليقة الصحافي البارع الذي يعرف ان يسوق لك النبأ حتى يملك عليك مآخذ الفكر فلا تلتفت الاّ الى استطلاع نهايته . وعسى يرى القارىء ان هذا الكتاب ليس كتاب المؤرخين والقضاة والمحامين فقط بل هو كتابٌ يجد فيه كل مثقف بهجة وفائدة . تقول بهجة رغم استيلاء « الجانب الحيواني المفترس في الانسان على جانب البصيرة المضيء منهُ » رغم استيلاء « التعصب الديني على التسامح » و« الملك المستبد لا يرضى الى جانبه من ينازعهُ ملكهُ ولو كان . . . اخاً لهُ وابناً » لان النفس على رغم تثقيفها وتهذيبها لا تزال تتهيج او تستثار بمظاهر التنازع والتناحر على اختلاف صورها . وأما الفائدة فآتية من ناحية الاطلاع على بعض جوانب التاريخ المظلمة والاعتبار بحوادثه وما اسفرت عنهُ من العبرة والذكرى

معجم الاحلام

تأليف اسبرو جبري — طبع بمطبعة المقتطف والمقطم — صفحات الجزء الاول ١٤٦ قطع المقتطف

هو كتاب يشتمل على مباحث علمية فلسفية في اصل الاحلام ومنشئها . والمذاهب المختلفة في تحليلها . واقوال العلماء والفلاسفة والمفكرين فيها . ويلي ذلك معجم كامل مرتب على حروف الهجاء في تفسير اشهر الاحلام وما يبنى عليها . ونحن اذا كنا في شك من فائدة تفسير الاحلام بالطريقة المتبعة في هذا المعجم — ورأي المقتطف في الاحلام معروف — فاننا لا نرتاب في ان المباحث التي يشتمل عليها نصف الكتاب الاول تتضمن ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الانسان النفسية والعقلية. اما المعجم فلا يخلو من فكاهة وطرافة

الذخيرة الى المعاد

في مدح محمد وآله الامجاد — نظم المتمم بولاء العترة — الشيخ سليمان ظاهر الحلي
صفحاته ٣٦٨ قطع وسط — طبع بمطبعة العرفان بصيدا

يعرف قرّاء المقتطف الشيخ سليمان ظاهر الحلي شاعراً مجيداً يقتص المعاني النادرة ويلبسها من اللفظ العربي حلة فاخرة. وعهدهم بقصيدته البليغة في عيد المقتطف الخمسيني غير بعيد

ولكن الشيخ سليمان اكثر من شاعر بليغ . هو حكيم راسخ العقيدة نبيل الخلق وكتابهُ « الذخيرة » انما هو ترجمان عن عقيدته الراسخة وخلقه النبيل المتين . فالذخيرة تشتمل على ثماني عشرة قصيدة في مدح النبي محمد عليه السلام وآله الامجاد . وقد قدّم لكلّ قصيدة وعقّب عليها ببحث فيما تناولهُ من المطالب الدينية والروحية والغرض من كل ذلك اقامة الدليل على صحة اركان الدين الحنيف واثبات اثر الالحاد في تقويض دعائم العمران . والى القارىء ابياتاً من قصيدته الاولى

ما الكون الا شاعر ولأنت يا ... معنى الكمال المحض بيت قصيدهِ
ابياتهُ قد أحكمت اوزانها ... من در بحر بسيطهِ ومديدهِ
ورديّة في الافق زهر نجومهِ ... منظومة نظم العقود بجيدهِ
والموج في التيار بعض لحونهِ ... وهزيم رعد المزن بعض نشيدهِ
قل للذي اتخذ الهوى معبودهُ ... فأضلّهُ ولواهُ عن معبودهِ
او ما ترى الاكوان خاشعة لهُ ... طرّاً وشاهدة على توحيدهِ
هو فالق الاصباح من غلف الدجى ... واثبت مستراً بحب حصيدهِ
ومعيد جسم الخلق بعد فنائهِ ... ومنير نجم الافق بعد خمودهِ

والقصيدة كلها على هذا النسق من جزالة اللفظ وبلاغة المعنى

قصص الاطفال

القصة الثانية — تاجر بغداد — بقلم كامل كيلاني صفحاته ١٠٤ — قطع صغير بنط ٢٤ — بالشكل الكامل — والصور الكثيرة — نشرته مكتبة النجاة

فـلا تعلّمْ صغيرَ القوم معصية فذاك وزرٌ الى امثاله عدلك
فالسلك ماأسطاع يوماً ثقبَ لؤلؤةٍ لكن اصاب طريقاً نافذاً فسلكْ

في هذين البيتين يلخص أبو العلاء فيلسوف المعرّة وشاعرها أحدث الآراء الفلسفية في تربية الاطفال . ان جانباً كبيراً من مدارس فلسفة النفس على أختلافها يرجع في تعليل الافعال النفسية المختلفة الى درس عهد الطفولة والمؤثرات التي أثرت فيه . وهذا الدكتور ادلر النمسوي يقيم كل فلسفته النفسية على هذا الاساس . وهذا الدكتور وطسن الاميركي يقول اعطوني الطفل ساعة ولادته واعهدوا اليّ في تربيته وأنا الزعيم لكم بأن اخرج لكم الرجل الذي تشاؤون

ومما لا ريب فيه ان الطفل العربي كان ولا يزال مهملاً كلّ الاهمال من هذا القبيل. فالكتب التي يستطيع الطفل المبتدىء ان يطالعها فتحبب اليه المطالعة وترسخ فيه النزعات الخلقية العالية تكاد تكون معدومة الاثر . رأى ذلك الاستاذ كيلاني في ما يتناوله ابنهُ من كتب المطالعة فآلمهُ هذا النقص فنشط الى اخراج قصص الاطفال . وقد اشرنا الى الجزء الاول منها حين ظهوره في السنة الماضية . ويسرُّنا ان يكون المؤلف قد لقي من التأييد والتشجيع ما حملهُ على اخراج الكتاب الثاني الذي بين ايدينا . وهو يفوق سابقهُ بحكم ما كسبهُ المؤلف من الخبرة في اعداد الكتاب الاول

القصة شرقية يسهل على ذهن الطفل الشرقي فهم صورها . وهي مكتوبة بلغةٍ عربية سليمة ليس للفظ الحوشي اي نصيب فيها . وهي ذلك كامل الشكل . تزينها صور كثيرة تمكن الصور الكلامية في عقل القارىء وتكفل اقبالهُ على الاستزادة من المطالعة . ثمَّ لكل جزء من القصة اسئلة يوجهها المدرس الى الطفل ليدرك مدى فهمهِ لما يقرأ . فهي في رأينا تسدُّ الحاجة الى امثال هذه الكتب في المدارس والبيوت . وعسى ان نرى من الاقبال على هذا الكتاب مايحمل المؤلف وغيره من المؤلفين على العناية بهذا الضرب المفيد من التأليف

ذخيرة المتأدب

تأليف الاديب اللغوي الاستاذ ادوار مرقص مدرس البيان والانشاء في مدرسة الحكومة التجهيزية باللاذقية واحد اعضاء المجمع العلمي السوري . وهو يشتمل على فوائد لغوية

كالمترادفات والمثنات والفروق وقيود طوائف من الالفاظ كما يحتوي على كلمات جامعة وأمثال وحكم وقصائد من نظم المؤلف وفكاهات عن اهل الفصاحة ولطائف من جهة المعنى والاعراب . ومن ابياته البليغة في قصيدة له « على مدخل الحسين» قولهُ

يقولون لي ان الشباب نضارة فقلت الى العليا كهولتنا ادنى
فلو انهُ زهر لكانت ثمارهُ ولو انهُ لفظ لكانت لهُ معنى
وفي كل طور للحياة محاسن اذا نحن في استخراجها منهُ أحسنا
فالطفل محقور ولا الكهل عاجز وما ذمَّ شيخٌ في تجاربهِ السنّا

وقد طبع الكتاب بمطبعة كومين باللاذقية وثمنهُ ثمانية قروش مصرية عدا اجرة البريد

تأثيرات سياحة

تأليف موسى كريم — صاحب مجلة الشرق العربية في البرازيل — صفحاته ٢٩٢ — قطع صغير مصور

هذا الكتاب يشتمل على وصف عام لما شاهدهُ الصحافي السوري البرازيلي الاستاذ موسى كريم في رحلتهِ الى البرتغال واسبانيا وفرنسا وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر

لم تتح لنا معرفة المؤلف لما زار مصر من سنتين ولكننا عرفنهُ في مجلة الشرق صحافيًّا متفنناً بارع الحيلة يبتكر الاساليب ليسبغ على مجلتهِ رونقاً يجعلها في ايدي القرَّاء والقارئات آية فنٍّ وآية أدبٍ . ويظهر لنا مما نقرأهُ فيها ان مكثها في سان باولو اصبح موئلاً لطائفة كبيرة من كبار الكتاب والشعراء في الجالية السورية البرازيلية كما ان صفحاتها مجلى لعرائس افكارهم

لقد تعودنا قراءة كتب السياحة التي يكتبها ابناء الشرق الذين اتيحت لهم زيارة بلدان الغرب ولكن قلما قرأنا كتاب رحلة في الشرق لاحد ابنائهِ المغتربين زاروهُ بعد غياب طويل . وهذا ما فعله الاستاذ كريم . فانهُ عالج الكتابة والصحافة العربية والبرازيلية برهة في بلاد البرازيل كان اتصاله الوحيد ببلاد آبائهِ واجدادهِ الرسائل الخاصة والصحف . فلما زار سوريا ولبنان وفلسطين ومصر بعد هذا الغياب الطويل رأى فيها من آثار الانقلاب في كل مناحي الحياة ما حملهُ على وضع هذا الكتاب في وصفهِ وتقدمهِ . فنحن الذين يجارون هذا التحول ويندفعون في تيارهِ قلما نستطيع ان ننظر اليهِ نظراً مجرَّداً . ومن هنا تأتي فائدة هذا الكتاب . لانستطيع ان نقول انهُ درس واف لحالة بلدان الشرق السياسية والاقتصادية والادبية وانما يشتمل في صفحاتهِ على لمحات صادقة في هذه الحالات . وهذا جلُّ ما ينتظر من مسافر بيت على رحيل

﴿ البرق الادبي ﴾ يشاره الخوري المشهور « بالاخطل الصغير » شاعر عربي مبدع واديب له في ميادين النقد الادبي جولات صادقة . انشأ البرق قبل الحرب العالمية جريدة اسبوعية ادبية فلم تلبث حتى اصبحت معرضاً لآثار الادباء والشعراء في البلاد العربية — وطالما ترددت على صفحاتها اسماء الرصافي والعازار وامام العبد وغيرهم . ثم خاض صاحبها ميدان السياسة فاصدر البرق يومية فأفسدت السياسة ما بناه الادب . فعزم من عهد قصير ان يعود الى اصدارها ادبية وحسناً فعل . ومما ينشره فيها صور ادبية بليغة لبعض الادباء الذين اتصل بهم وراسلهم . فنشر حتى الآن ثلاث رسائل في الادباء المذكورين آنفاً

﴿ غادة حمانا ﴾ وضع هذه الرواية المصرية الشائقة الكاتب الروائي المعروف الاستاذ محمود طاهر حقي اثر زيارته ربوع لبنان . وقد حبس ثمن النسخ التي تباع منها على مستشفى السل في بحنس ببلبنان فاستحق بذلك اعظم الثناء من الادباء والاهلين لما يبدو في عمله هذا من ادب جم وكرم ونبل . وسعي عملي لتوطيد اواصر الاخاء بين لبنان ومصر . وهي تطلب من المطبعة المصرية بشارع الخليج الناصري بالفجالة بمصر

﴿ تهذيب الاخلاق ﴾ لابي زكريا يحيى بن عدي الفيلسوف السرياني الشهير (٨٩٧ — ٩٧٤) م عني بنشر وتعليق حواشيه الاستاذ مراد فؤاد حقي رئيس تحرير مجلة « الحكمة » التي تصدر في القدس . صفحاته ستون بقطع المقتطف وقد طبع بمطبعة دير مرقس للسريان بالقدس

﴿ مع الحقيقة ﴾ وهو بحث في تطبيق الفروع والمظاهر على الاصل . هذه الرسالة هي الحلقة الثالثة في سلسلة من المباحث الفلسفية الصوفية التي عني بوضعها الاديب نجيب اشيا وعنوان الحلقتين السابقتين هما « في ظلال الحقيقة » و« وراء الحقيقة » . صفحات الرسالة ٩٦ قطع صغير وقد طبعت بالمطبعة التجارية الحديثة بشارع الدواوين ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

﴿ دليل الاصطياف والسياحة ﴾ اخرجت شركة السياحات الشرقية دليلها السنوي للاصطياف في لبنان فاذا هو سفر يشتمل على نحو ٢٨٠ صفحة من القطع الوسط فيه فصول كثيرة عن جغرافية لبنان واقليمه وتاريخه وآثاره وفوائد الاصطياف فيه . يضاف الى ذلك وصف قرى الاصطياف المشهورة وما فيها من وسائل راحة المصطافين ورفاهتهم . وجداول كثيرة بطرق السفر براً وبحراً واجورها . وقد طبع بمطبعة المقتطف والمقطم ويشتمل على صور كثيرة

﴿ القربان ﴾ مجلة علمية ادبية اخلاقية تصدر في حلب « سوريا » مرة في الشهر بصور ورسوم عند اللزوم لصاحبها ومنشئها القس اغناطيوس سمد . صندوق البريد ٣٧٠

باب الأخبار العلمية

الخواتم الذهبية واسوداد الاصابع

اذا صُنعت الخواتم والاساور من صنف معيّن من الذهب تركت في الاصابع والارساغ اثراً ضارباً الى السواد ذلك ان الذهب التي معدن لين لا يحتفظ بشكله الخاص في الحلى الذهبية المختلفة مدة طويلة ويذوب بكثرة الاحتكاك. لذلك يعمد الصوّاغ الى مزج الذهب بمعدن آخر ليخرج الخليط صلباً قاسياً. فالذهب الذي عياره ١٨ انما هو خليط ٧٥ في المائة منهُ ذهب تقي و٢٥ في المائة فضة ونحاس

في هذه الاخلاط الذهبية تتولد مركبات كيريتية على اثر تفاعل معادن الاخلاط بما يتصل بها من كبريت الهواء او العرق الناضح من الجسم. وهذه المركبات تعرف «بالكبريتيد» وهي التي تترك اثراً اسود في الارساغ والاصابع والجيوب. والغريب ان هذه المركبات لا تتكون في كل الاحوال على الاطلاق لان مقدار الكبريت في العرق الذي يُفرز في مختلف الناس متفاوت. هذا هو الرأي الذي اذاعتهُ الجمعية الطبية الاميركية

نور الشمس وحفظ الحلويات

يؤخذ من تصريح للاستاذ درسل من معهد ماساريك الصحي بجامعة براغ ان الحلويات والشوكولاته يجب ان تلفّ بورق شفاف بعد معالجتهِ ببعض المواد الكيماوية لكي يخترقهُ نور الشمس. وذلك لان المكروبات تفضل ان تعيش في مكان مظلم رطب. فاذا لُفّت الحلويات والواح الشوكولاته بالورق الفضي تمّ للمكروبات ما تريد. اما اذا لُفّت بالورق الشفاف المذكور لم تجد المكروبات داخلها مرتعاً خصباً. وهذا لا يعني ان الحلويات المكشوفة لنور الشمس افضل من الحلويات الملفوفة بالورق الفضي. لان الحلويات المكشوفة تلوّث بالمكروبات من شدّ ما تتناولها الايدي ومما يسقط عليها من الذباب الناقل للمكروبات

عيد كبلر

يحتفل بانقضاء ثلاثمائة سنة على وفاة العالم الرياضي والفلكي المشهور جوهان كبلر في ١٥ نوفمبر القادم. وسننشر لهُ حينئذٍ ترجمة وافية

جون مايسفيلد

شاعر العرش البريطاني الجديد

مقتطف يوليو ١٩٣٠ — الاخبار العلمية

شاعر العرش البريطاني

اشرنا في مقتطف مايو (صفحة ٦٠٠) الى وفاة الدكتور روبرت بردجز شاعر العرش البريطاني . وقد وقع اختيار المستر مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية على المستر جون مايسفيلد ليخلفهُ في هذا المنصب فكان موفقاً في هذا الاختيار على ما يرى النقاد والادباء من الانكليز

مايسفيلد شاعر وروائي في آنٍ واحد. ولد سنة ١٨٧٥ في مدينة لڤربول فقضى عهد حداثته في بلدان مختلفة يعمل اعمالاً متباينة وكان بحاراً فحبَّب ذلك البحر اليهِ فنظم فيهِ اشعاراً هي غاية في البلاغة وتوَّ الشعور ودقة التصوير . وقضى شطراً من حياته في اميركا قيل انهُ كان يعمل فيها كخادم في خمارة بنيويورك . ثم نشر مجموعة قصائده الاولى التي دعاها « اناشيد الماء الملح » سنة ١٩٠٢ وتلتها مجموعة اخرى سنة ١٩٠٣ ثم نشر ثلاث روايات نثرية بين ١٩٠٨ و ١٩١١ وتلا ذلك ثلاث قصائد قصصية وروايتان تمثيليتان شعريتان غاية في الابداع فلما ظهرت ثبت لنقاد الادب تفوق شعره وروايتهِ التمثيلية الشعرية على رواياتهِ النثرية . وتوالت بعد ذلك القصص والاشعار من قلمهِ السيَّال فاحتلَّتهُ في المقام الاول بين شعراء الانكليز المعاصرين وكتَّابهم . وفي الجزء التالي من المقتطف سنترجم لهُ بضع مقطوعات من شعره على صعوبة ترجمتها لان الروح الانكليزية

الرائد كارل ايلسن

فقد رواد القطبين رائداً من اصلبهم عوداً وأشجعهم قلباً وأبرعهم في ريادة المناطق المتجمدة بالطيارة . ففي ٩ نوفمبر الماضي قام ايلسن برحلة جوية ثانية الى السفينة نانوك المحصورة بالجليد على مقربة من كاب نورث بسيبريا . فلما لم يبلغها ارسلت النجدات للبحث عنهُ فعثروا على جثتهِ وجثة رفيقهِ على مقربة من طيارتهما في موقع يبعد نحو ٩٠ ميلاً الى الجنوب الشرقي من كاب نورث المذكور

وهو اميركي من اصل نروجي وكان اسبق الناس الى استعمال الطيارة في الاسكا فقاده ذلك الى إنشاء شركة غرضها توزيع البريد بالطيارة في تلك الاصقاع النائية التي يفصل الجليد بين قراها على مدار السنة تقريباً . وسنة ١٩٢٦ انضم الى الرحَّالة السر هيوبرت ولكنز وطار معهُ الى المناطق المتجمدة الشمالية . وفي سنة ١٩٢٨ ساق ايلسن طيارة ولكنز من الاسكا الى سبتسبرجن في خطر مستقيم تقريباً فوق مفاوز الجليد الشمالية . وفي السنة التالية ذهبا معاً الى القارة المتجمدة الجنوبية حيث طارا في شهر ديسمبر مسافة ١٢٠٠ ميل فوق مفاوز الجليد فاتتا بطيرانهما ان قراها مسلند (ارض غراهام) ارخبيل جزائر يسدُّ الجليد المضائق بينها فحسبها الروَّاد الى ذلك الوقت شبه جزيرة

الصرفة تتطلب فيها كفايته الخاصة بوصف البحر او مشاهد الطبيعة في الريف الانكليزي

اجور الاساتذة الاميركيين

اشترك سبعة من رؤساء الجامعات الاميركية في بحث موضوعهُ «اجور الاساتذة في معاهد العلم الاميركية» عهد اليهم به مجمع تقدم العلوم الاميركي . فتناول البحث جامعات ييل وهارفرد وولايات اوهايو ومشيغن والينوي ووسكنسن وكالفورنيا بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٢٥ ووضعوا تقريراً مسهباً بذلك . وقد عني الاستاذ نوز من اساتذة جامعة الينوي بكتابة مقالٍ على اساس هذا التقرير لنشرتهُ «مجلة العلم» قال فيه ان اساتذة الجامعات والكليات الاميركية لا ينالون قسطهم العادل من ارتقاء البلاد ونماء ثروتها مع ما لهم من الاثر الكبير في مدّ اسباب هذا الارتقاء والنماء . ففي خمس وعشرين سنة زادت الاجور في اميركا زيادة اسمية تبلغ مئتين في المئة وزيادة فعلية تتراوح بين ٥٠ في المئة و ٥٧ في المائة . ولما كانت الزيادة الاسمية في اجور الاساتذة لا تزيد اكبرها على ١٢٠ في المائة فالاجور التي كانوا ينالونها سنة ١٩٢٥ هي في الواقع اقل مما كانوا ينالونهُ سنة ١٩٠٠ . اي ان استاذاً كان ينال راتباً سنويًّا قدرهُ ٤٠٠ جنيه يجب ان ينال الآن ١٢٠٠ جنيه اذا تبع راتبهُ سير الاجور والرواتب في اميركا . ثم اشار الى ان معامل البحث في الشركات الكبيرة تدفع اجوراً اعلى جدًّا من الاجور التي تدفعها الجامعات . فاذا لم يقع ما يمكّن الجامعات من زيادة اجور اساتذتها لم تتمكن من الاحتفاظ بأكثرهم . وخير مثال راتب استاذ من الطبقة الاولى في جامعة اميركية يجب ألاّ يقلّ عن اربعة آلاف جنيه في السنة

مصحة في بلون

حار اصحاب الاموال في ابتداع الطرق الغريبة لتطبيق المعارف العلمية الحديثة رغبة في الكسب مستندين الى ان الطبيعة البشرية تتوق الى تجربة كل جديد خارج على المألوف

ومن اغرب المقترحات التي قرأنا عنها بناء مصحة للسلولين في الجانب الاعلى من بلون كبير تكون جدرانها من السلولويد او اية مادة اخرى لا تحجب اشعة الشمس وخصوصاً اشعتها التي فوق البنفسجي فيؤمها المسلولون بدلاً من الصعود الى الجبال في طلب الهواء التي واشعة الشمس المنعشة . فيحلق بهم البلون فوق النيوم بضعة ايام ينال في اثنائها المستشفون كلّ عناية طبية علاوة على التمتع بالهواء الطلق الخالي بالاوزون وباشعة الشمس التي لا يحجبها الغيم ولا الغبار . والغريب ان اول من قدم هذا الاقتراح عالم فرنسوي يدعى شارل جوليو . ويؤخذ من تصريح الدكتور اركستين رئيس شركة جودير زبلين الاميركية ان في النية بناء بلون من هذا القبيل

التلفون المبصر

لما شاع التلفون البعيد المدى حسب الناس ان استباط وسيلة تمكن المتخاطبين به على مسافة بعيدة من رؤية احدهما للآخر يكون منحة عظيمة للانسانية . وكانت المصاعب التي تحول دون تحقيق ذلك حينئذ مما يتعذر تخطيه . اما وقد استنبطت الطرق المختلفة للتلفزة ونقل الصور فصار في الامكان العود الى تحقيق الامنية الاولى . ففي ٩ ابريل الماضي جُرِّبت في معامل شركة بل التلفونية تجربة حضرها جمهور من الصحافيين تمكن المتخاطبان في اثنائها من رؤية احدهما الآخر مع ان الواحد كان في بناية والثاني في بناية اخرى . ذلك ان احدى غرف المخاطبات التلفونية جهزت بمصباح يلقي شعاعة زرقاء على وجه المتكلم فتنتقل صورته بطرق التلفزة العادية الى الغرفة الاخرى التي فيها المتكلم الآخر وتظهر على لوحة فيها . وتنقل صورة المتكلم الآخر بالطريقة نفسها الى الغرفة الاولى . والغرفتان مضاءتان بنور بنفسجي لا تأثر به البطرية الكهرنورية (الكهربائية النورية) التي تنقل ما في الشعاعة الزرقاء المنعكسة عن وجه المتكلم من اختلاف في قوة نورها وضعفه

ولما كانت السماعة المستعملة عادة في آلات التلفون تخفي جانباً من وجه المتكلم فلا يستطاع نقل صورته كاملة ، أُخفيت قطعة السماعة التي يتكلم فيها المتكلم في جدار الغرفة . واما البوق الذي يسمع به فيستعمل كالعادة

الملكة تفرتيتي

بعد كتابة السطور المنشورة تحت الصورة الملوَّنة التي صدرنا بها هذا العدد جاءتنا الانباء البرقية من اوربا بأن المفاوضات لاسترجاع هذا التمثال النفيس قد وقفت وان الحكومة الالمانية قد رفضت التسليم باخراج التمثال من بلادها . ولكن المفوضية الالمانية في القاهرة اشارت بالتريث في تصديق الخبر حتى تجيء الانباء الرسمية بنتيجة هذه المفاوضات

رواية كاملة تنقل بالتلفزة

نشرت جريدة التيمس في عددها الصادر في ٢٣ مايو ان جمهوراً عدده خمسمائة شهد في احد مراسح نيويورك رواية مثلت على ميل منهم في بناية الشركة الكهربائية العامة ونقلت مشاهدها بالتلفزة كما نقلت اصوات الممثلين بالتلفون اللاسلكي . ومما اضحك الجمهور وحملهم على الاستغراب الشديد ان احد الممثلين قدم المرسح بعد تمثيل الفصل الاول . فلما جاء دورُ يشترك فيه مع رفيق لهُ نقلت مشاهد الرفيق وكلماتهُ بطرق التلفزة فكانا يمثلان معاً مع ان الواحد يبعد ميلاً عن الآخر . ويقال ان الصور التي ظهرت على لوحة التلفاز هذه تفوق في صفائها وثباتها الصور المتحركة في عهدها الاول

الطيران التجاري عبر الاتلنتيكي

يظهر ان خط الطيران التجاري الاول بين البلدان القائمة على جانبي المحيط الاتلنتيكي سيكون خط بلونات لا خط طيارات . فقد تكوَّنت شركة دولية لبناء ثلاث بلونات على طراز البلون غراف زبلين اثنان منها يُبنيان في بلدة اكرون بولاية اوهايو الاميركية والثالث يبنى في المانيا . فتم للشركة اسطول من اربعة بلونات « الغراف زبلين » احدها. وينتظر ان يتضح هذا الخط سنة ١٩٣٢ لنقل الركاب والبريد والبضائع . وقد اختيرت مدينة بلطيمور الاميركية ومدينة اشبيلية الاسبانية لتكونا طرفي هذا الخط في الولايات المتحدة واوربا على الترتيب . ومن اشبيلية يسافر الركاب الى مختلف مدن اوربا بالطيارات . وينتظر ان تستغرق الرحلة من بلطيمور الى اشبيلية يومين ومن اشبيلية الى بلطيمور ثلاثة ايام . اما اجرة السفر فتضعف مثيلتها في البواخر

مؤتمر للكيمياء الفروية

يعقد في جامعة كمبردج في آخر سبتمبر واوائل اكتوبر المقبلين مؤتمر لاشهر المشتغلين بالكيمياء الفروية وتطبيقها على علوم الحياة. وهذا المؤتمر يختلف عن غيره من المؤتمرات العامة. ذلك ان لجنة جمعية فراداي التي عنيت باعداده دعت نفراً معيناً من العلماء الباحثين في هذا الموضوع وطلبت اليهم ان يضعوا رسائل في الموضوعات التي اختصوا بها لكي توزع على الاعضاء المدعوين لدرسها وتمحيصها والمناقشة فيها مناقشة مجدية لدى تلاوتها

ومن الذين دعوا السر وليم هاردي نائل جائزة نوبل الكيماوية والاستاذ هِل والدكتور جورتر من اساتذة جامعة منسوتا الاميركية والاستاذ بجْبود (بركسل) والاستاذ يوْلي (فينا) والسر جولند هبكنز مكتشف الفيتامين والدكتور ولمر (كمبردج) والاستاذ لوس (بلطيمور) والاستاذ بترز (اكسفورد) والاستاذ كواستل (كمبردج) والاستاذ برتن (تورنتو) والاستاذ ديكلو (باريس) والاستاذ اويلر (استوكهلم) والاستاذ فروينداخ (برلين دالم) والاستاذ كروبت (اترخت) والاستاذ اوستوالد (ليبزغ) والاستاذ سورنسن (كوبنهاجن) والاستاذ سشدبرغ (اسالا). وينتظر ان يقسم البحث الى قسمين الاول يتناول « التوازن في المواد البروتينية » ويرأسهُ السر وليم هاردي والثاني يدور على « بناء المادة الحية » ويرأسهُ السر فردريك جولند هبكنز

الرحالة نانسن

نشرنا في العدد الماضي نبذة عن الرحالة نانسن وطرفاً من سيرته ولم تتمكن من نشر صورته لضيق الوقت فنشرناها الآن

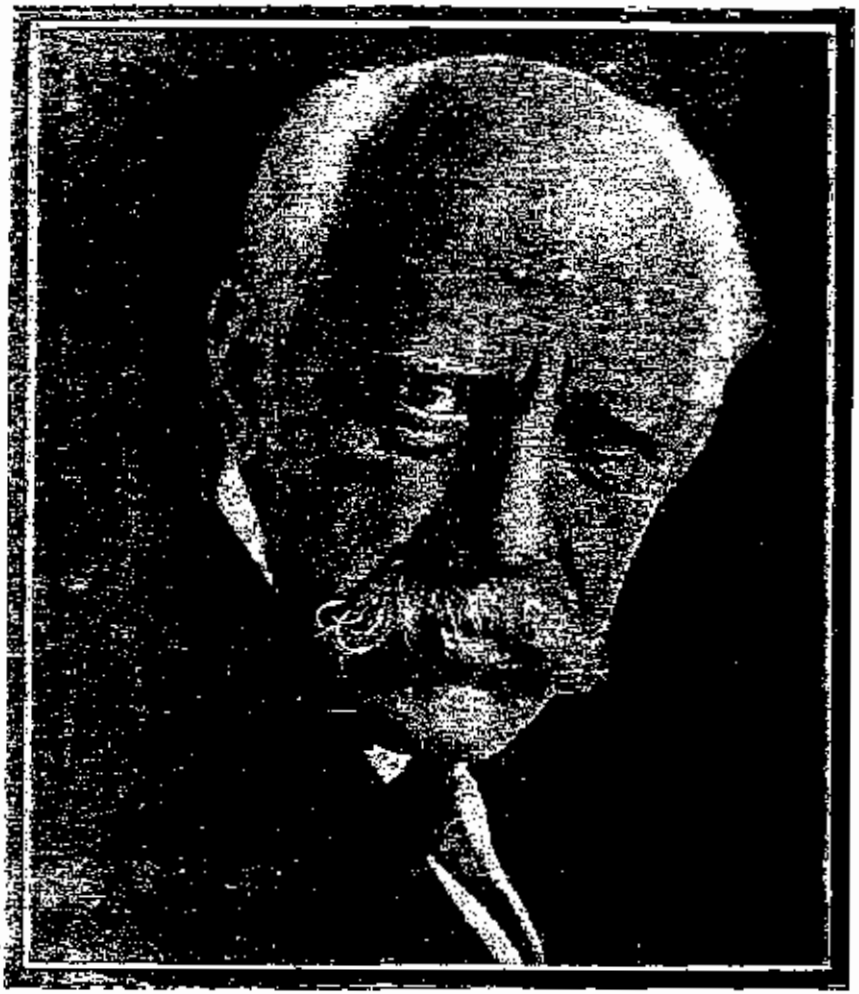

فردجتوف نانـن

Dr. Fridjtof Nansen

رحّالة وفيلسوف ومحسن للانسانية

(١٨٦١—١٩٣٠)

متتطف يوليو ١٩٣٠

الطيران من اوربا الى اميركا

اشادت صحف اوربا واميركا بالفوز الثاني بالطيران فوق الاوقيانوس الاتلنتيكي من اوربا الى اميركا وهو الفوز الذي احرزته الطيارة « الصليب الجنوبي » التي نزلت على الارض في ميناء جرايس بنيوفوندلند فأعادت ذكرى الفوز الاول الذي احرزته الطيارة بريمن بطياريها الثلاثة كوهل وهونفلند الالمانيين وفتزمورتز الارلندي من سنتين لما عبرت هذا المحيط من اوربا الى اميركا . وأطرت الكبتن كنجسفورد سمث رائدها الذي اعد معدات المحاولة الثانية ووفق في تنفيذها مما يدل على ان في الوسع عبور الاتلنتيكي بطيارات مجهزة بغير محرك واحد وآلة تلغراف لاسلكي

ولطيارة « الصليب الجنوبي » تاريخ مجيد فان صاحبها الكبتن كنجسفورد سمث الاسترالي طاف بها اولاً الاوقيانوس الباسفيكي من سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة الى سدلي باستراليا وطار بها في السنة الماضية من استراليا الى مطار كريدون بجوار لندن في اقصر مدة عرفت حتى الآن وهي ١٢ يوماً و ١٤ ساعة و ١٨ دقيقة وقد عبر بها الآن الاوقيانوس الاتلنتيكي

ابتدأ طيرانه عبر المحيط الاتلنتيكي صباح ٢٤ يونيو من ارلندا الى نيوفوندلند وكان معه في الطيارة اثرت فانديك اندليل الجوي الهولندي المشهور والكبتن سول الارلندي والمستر ستاج وهو عامل تلغراف لاسلكي. غادرت الطيارة بورت شرنوك بقرب دبلن في الساعة الرابعة والنصف من صباح اول امس وكانت تواصل ارسال الاشارات اللاسلكية في طريقها ولكنها تتوقف احياناً عن ارسال هذه الاشارات مدة تبلغ احياناً ساعتين فتهلع القلوب خوفاً عليها لكثرة ما سبق هذه المحاولة من نكبات بين الطيارين. ولكن القلوب رقصت طرباً قبل ظهر امس لما جاءت الاخبار بوصول الطيارة الى نيوفوندلند ونزولها سليمة بالذين فيها على الارض

وقد شوهدت هذه الطيارة في الساعة ١٠ والدقيقة ١٣ من صباح ٢٥ يونيو تطير على ارتفاع قليل فوق نيوفوندلند وهي تبحث عن ميناء جرايس لتنزل فيه. ولكن الجو كان ملبداً بالضباب ولقي الطيارون صعوبة عظيمة في تعيين المكان المعد لنزولهم وحدث ايضاً ان البوصلة اختلت وطرأ خلل على الجهاز اللاسلكي فلم يتيسر لمحطة اللاسلكي في راس رايس ان تدل الطيارة « صليب الجنوب » على الطريق الذي تسير فيه وأضاع الكبتن كنجسفورد سمث وقتاً في دورانه حول الجهة الجنوبية الشرقية من نيوفوندلند قبل معرفته للمكان الذي وصل اليه . ثم عاد الجهاز اللاسلكي الى العمل ولكن البنزين كان ينقص نقصاناً مطرداً ولما نزل الى الارض قال : « لولا التلغراف اللاسلكي

العجيب لما استطاعا قط ان تنجو من غائلة الضباب ». والطيارة تتمون الآن من البرين وينوي الطيارون بعد ذلك ان يستأنفوا طيرانهم في الحال الى نيويورك

جمعية تهذيب الشبيبة السورية

في جامعة بيروت الاميركية جمعية تضم طائفة كبيرة من اساتذة الجامعة ومدرسيها واقاضل مدينة بيروت وسراتها اسمها « جمعية تهذيب الشبيبة السورية » وغرضها جمع المال من اعضائها بالتبرع واتفاقه على الشبان النابغين الذين يحول فقرهم دون تلقيهم العلوم في المعاهد العالية . وقد كان لهذه الجمعية في السنة المدرسية المنصرمة ٢٦ تلميذاً تنفق عليهم في معاهد بيروت المختلفة الوطنية منها والاجنبية ، الدينية والعلمانية ، الاميركية والانكليزية والفرنسوية على السواء

وتقيم هذه الجمعية الكريمة حفلة ادبية سنوية تدعو لمخاطبة فيها من ترى دعوتهم من الادباء والشعراء او المشتغلين بالعلم والتعليم في بلدان الشرق العربي رجالاً ونساء حتى اصبح منبرها منبراً ثقافيًّا عامًّا تردّدت عليه اصوات الريحاني ومطران وابي ماضي وحافظ ابراهيم والشاعر والاميرة نجلا ابي اللمع وعيسى والسوداء وغيرهم . وقد اقامت حفلتها السنوية (١٩٣٠) في مساء ٧ يونيو الماضي في متدى وست هول ببيروت فحضرها جم غفير من ادباء بيروت وكرامها يتقدمهم وزيرا المعارف والداخلية ومحافظ المدينة وجمهور من الصحافيين والاساتذة . وكان خطباء هذه الحفلة الدكتور منصور فهمي استاذ الفلسفة في الجامعة المصرية فالقى محاضرة نفيسة تدور على موقف الشرق حيال حضارة الغرب . والنائب اللبناني الشيخ يوسف الخازن فالقى خطبة فكهة في الجنون والنبوغ . والنائب العلوي الاستاذ محمد سليمان الاحمد الشاعر المعروف « ببدوي الجبل » فانشد قصيدة عصماء موضوعها « نظرات في الحقيقة » . ورئيس تحرير هذه المجلة فالقى خطبته المنشورة في هذا العدد بعنوان « الطابع العلمي في التعليم الحديث » . ونأمل ان نشر محاضرة الدكتور منصور فهمي النفيسة في العدد الاول الذي يظهر بعد العطلة الصيفية

مقياس لاسلكي دقيق

بنى مهندسو مصلحة المقاييس والموازين الاميركية مقياساً لاسلكيًّا دقيقاً يستطيعون ان يقيسوا به طول الامواج التي تستعملها المحطات اللاسلكية المذيعة في اميركا وعددها يبلغ ٦٠٠ محطة . ذلك ان الحكومة الاميركية قد عينت لكل من هذه المحطات طولاً خاصًّا للامواج التي تذيع بها حتى لا يفضي تشابه بعض هذه الامواج في طولها الى الاختلاط والتشويش في ما يذاع منها

المستر مكدونلد والجمعية الملكية

الجمعية الملكية بلندن جمعية علمية لا يختار للانتظام في سلكها الا العلماء . ولكن في دستورها مبدأ يخول لرئيسها ومجلس ادارتها حق انتخاب الرجال الذي يستطيعون ان يخدموها بما لهم من المقام الاجتماعي أو النفوذ السياسي . وقد سبق لهذه الجمعية فانتخبت للانتظام في سلكها خمسة من رؤساء الوزارات البريطانية في أثناء تقلدهم لرآسة الوزارة وهم المستر دزرائيلي (١٨٧٦) والمستر غلادستون (١٨٨١) والمستر اسكوث (١٩٠٨) والمستر بلدون (١٩٢٧) وقد رشح الآن لهذه العضوية المستر رمزي مكدونلد

مجموعة المرسل فورد الاثرية

كان المرحوم الدكتور جورج فورد كبير المرسلين الاميركيين في لبنان يقيم في صيدا وقد بنى على عضبة قريبة منها منزلاً فخماً وعني بجمع طائفة نادرة من الآثار القديمة النفيسة شاهدناها سنة ١٩٢٢ فاعجبنا بما جمعهُ من النقود القديمة والآنية الخزفية والانصبة والنواويس . وقيل ان الحكومة فاوضتهُ قبل وفاته بشتراها ودفعت لهُ نحو ٣٠ الف جنيه ثمنها ولكنهُ ابى بيعها بأقل من ٨٥ الفاً . فلما توفي وفتحت وصيته وُجد انهُ اوصى بوهب مجموعته الاثرية للمتحف اللبناني مشترطاً الا ينقل منها شيء ما الى خارج لبنان . وقد اطلعنا في مجلة الحارس الغراء على ان هذه الوصية قد تمت برضا ارملة الفقيد فكافئها الحكومة بوسام الاستحقاق وبمثله لقنصل الولايات المتحدة الذي كان لهُ يدٌ بيضاء في هذا العمل

ترميم مدفن هارفي

نشرت جريدة التيمس في عددها الصادر في ٢٦ من ابريل الماضي رسالة للسر جون روز بردفورد رئيس كلية الاطباء الملكية بلندن دعا فيها قومهُ الى التبرع بالمال لترميم برج كنيسة هستد حيث يرقد هارفي مكتشف دورة الدم لان هذا البرج تهدم سنة ١٨٨٢ ولم يرمم . والمبلغ اللازم لهذا العمل ٥٧٠٠ جنيه جمع منها حتى الآن ١٥٠٠ جنيه

والرسالة المذكورة موجهة الى الاطباء والجمعيات الطبية في كل العالم لأن هارفي في نظرهم جميعاً من آباء الطب الحديث . والتبرعات يجب أن ترسل الى

Dr. Arnold Stott, 58 Harley st. London.

ويجب ان تكون لامر Harvey Memorial Fund.

نعسى أن يعنى بذلك الاطباء الشرقيون وجمعياتهم الطبية ليدرك الغربيون اننا نرفع العلم وتقدير العلم فوق اعتبارات السياسة والدين

عطلة المقتطف

يحتجب المقتطف عن الظهور في اول شهري اغسطس وسبتمبر ويعوّض المشتركين بكتاب نفيس موضوعهُ « العلم في الثلث الاول من القرن العشرين » ثم يعود الى الظهور في اول اكتوبر القادم

الجزء الثاني من المجلد السابع والسبعين

صفحة
١٢١ العلم والله — أحوار بين اينشتين وعالمين آخرين
١٢٨ اختي المريضة في البيد . لشاعر القروي
١٢٩ احمد تيمور باشا . للسيد خير الدين الزركلي (مصورة)
١٣٣ وداع الربيع . للآنسة (مي) زيادة
١٤٦ الطابع العلمي في التعليم الحديث . خطبة للؤاد صروف
١٤٧ هل في النشوء ارتقاء . لادوار فارس
١٥١ حول مرب شعبي كبير . للدكتور احمد فريد رفاعي
١٥٨ كيمياء النور البارد . للدكتور نيوتن هارفي
١٦٢ الشرع الدولي في الاسلام . للدكتور نجيب الارمنازي
١٦٧ الراديو ومزاياه الاجتماعية . لمحمود خليل راشد
١٧٢ اسطورة الخليقة البابلية . لنقولا زيادة (مصوّرة)
١٨٠ محمد بن موسى الخوارزمي . لقدري طوقان
١٨٥ العلم والشعوذة في قياس الذكاء . للدكتور حسن عمر
١٩١ محسن شرقي كبير (مصورة)
١٩٥ روايات الاغاني . للدكتور زكي مبارك
٢٠٠ اليود عنصر حيوي
٢٠٤ القياس الدموي وسلالة المصريين . للدكتور محمد شرف
٢٠٨ أغاني الصيف . للدكتور ابو شادي

٢٠٩ باب المراسلة والمناظرة * الفارابي وحركة الارض . حول نشأة فن المقامات . وأدالبات والاشتراكية في النساء
٢١٥ باب شؤون المرأة وتدبير المنزل * (مصورة) السرطان واسبابه . واحيات التابلة . امراض الاسنان وتأثيرها في الجسم
٢٢٠ باب الزراعة والاقتصاد * سدكولنج (مصورة) تربية النحل العصرية
٢٢٥ مكتبة المقتطف
٢٣٢ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٩ لبذة (مصورة)

أضخم البالونات المسيّرة في جوّ القاهرة

لا يصدر هذا الجزء من المقتطف وتتداولهُ أيدي قرّائهِ الاّ ويكون البالون البريطاني المسيَّر رقم ١٠١ قد وصل الى القطر المصري في طريقهِ الى الهند وربط بسارية الاسماعيلية. وذلك توطئة لتنظيم السفر الجوي بين انكلترا والهند كما ابنا في الاخبار العلمية صفحة ٣٥٥

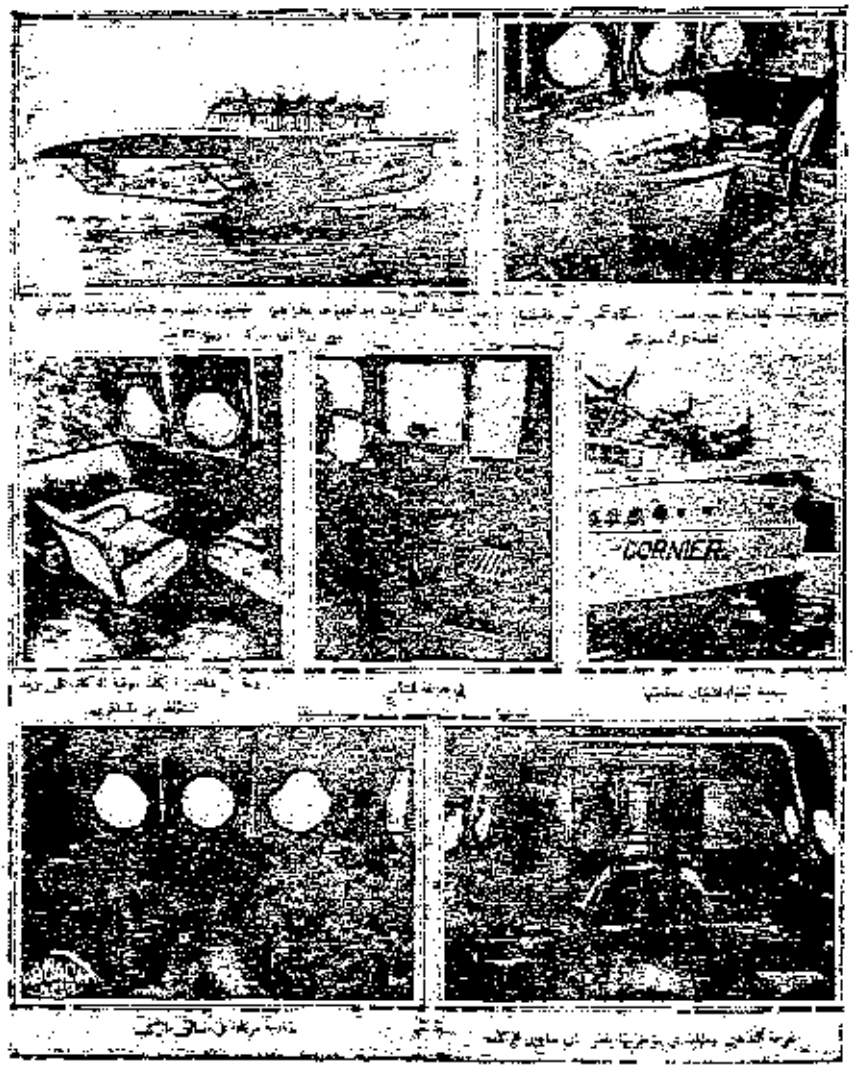

طيارة دورنيه التي اعدت لاجتياز المحيط الاتلنتيكي من مرفأ بشبونه بالبرتغال الى نيويورك في ثلاث مراحل . ويمتاز ان تحمل عشرات من الركاب وبضعة اطنان من البريد والاشعة

مقتطف اكتوبر ١٩٣٠ امام الصفحة ٣٤١

دولار ٧٧